

أنور الجندی

المجتمع الإسلامي المعاصر

في مواجهة رياح السموم

دار الاعتصام

المجتمع الإسلامي المعاصر

في مواجهة رياح السموم

أنور الجندى

دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل إلى البحث

المجتمع الاسلامي المعاصر

إن التغريب والغزو الثقافي المتسلط من خلال قوى كبرى هي الاستعمار والصهيونية والماركسية تهدف إلى غرضين كبيرين :

الأول : هزيمة العقل الإسلامي بإذاعة الإلحاد والنعتيل من خلال نظريات هدامة وإيدولوجيات مادية تستهدف إعلاء الفكر البشري والتشكيك في العقائد والأخلاق والقيم التي قدمتها رسالة السماء .

الثاني : تقييض المجتمع بذر الإباحية والفساد وتدهير الأسرة المسلمة وضربها بإقامة الخصومة بين الرجل والمرأة وبين الآباء والأبناء وبين الشباب وأدوات الترفيه واللهو وخاصة المسرح والسينما والإذاعة والتلفزيون والصحافة .

وقد وفينا الهدف الأول بدراسات واسعة وتحاول في هذا البحث مواجهة هذا الهدف الثاني الخطير ، كاشفين عن تلك التحديات الخطيرة والأعاصير التي تحمل رياح السموم .

هذه التحديات المنطلقة من معسكر الاستعمار على نحو من الانحاء والمنطلقة من معسكر الماركسية على نحو آخر والمنطلقة من معسكر الصهيونية ثلاث تحديات خطيرة تنفق في الهدف والغاية وتختف في الأسلوب والطريقة

وهي في مجموعها تستهدف إخراج المجتمع المسلم من طبيعته وقيمه وأسلوب حياته الذي بناه الإسلام وكوّنته رسالة السبيل إلى منهج بشري مضطرب شديد الإضطراب ، وكان أشد ما فرض عليه أسلوب البيت الغربي ، وهو ما أطلق عليه اسم « التفرنج » ، خروجاً عن تقاليد المسلمين وأسايلهم في الطعام والشراب والزواج والتعامل ومواجهة الحياة وهي في مجموعها أساليب تقوم على الرحمة والحب وتتبع من الفطرة ثم جاءت المدرسة الاجتماعية لتقول أن الزواج ليس من الفطرة وأن الدين والخلق ليس من الفطرة ! وكما افترضت أن الأخلاق الناجمة التي هي من صميم الدين ، عادات وتقاليد تخضع للتعبير مع أهواء المجتمعات واختلاف العادات والأزمنة .

ثم جاءت الماركسية لتجارب الأسرة حرباً عواناً ولتخطئها وتعمل على تدميرها ، وتنشئ مفهوماً اجتماعياً تستبدل به وجودها ، وجاءت فردية تنفسي مفهوم المجلس ويجعله مصدراً للعلاقات ثم جاء ماركس لينفسي مفهوم المعدة والطعام ويفسر به المجتمعات والحضارات وأخرجت الحضارة المرأة من بيتها ودفعتها إلى ميادين العمل نهاراً وإلى المراتص وغلب الليل مساءً أفدمت الأسرة تدميراً وطرحت إلى المجتمع أجيالاً من الشباب الذي فقد الحنان والأومة والذي عاش في أحضان الخادومات والمرضعات حيث غاضت بنابيع الرحمة وحل محلها لون من القسوة والعنف دفعه إلى الرفض والعمل على تدمير المجتمع الذي لم يقدم له ما يتطلع إليه من أشواق وآمال

لقد طرحت الحضارة الغربية سمومها إلى أفق المجتمع الإسلامي ، من خلال ثلاث تيارات عاصفة عنيفة ، عندما سقط المجتمع الإسلامي في براثن النفوذ الأجنبي فعاش أسيراً لنفوذ الحضارة المادية بأساليبها وإيدولوجياتها وقرضه عليه من خلال مناهج التعليم والتربية والثقافة فلسفتهم المادية والإباحية بانطلاقها إلى هدم قيم الدين والأخلاق فأصبحت هذه

السلطات مبرراً لفساد المجتمعات وانحرافها عن الأسس التي بنيت عليها على أساسها الإسلام .

في سنة الاقتباس بين الأمم أمر طبيعي ولكن الاقتباس الذي فرضته سطوة الاستعمار والنفوذ الأجنبي هو من أخطر ما واجه المجتمعات الإسلامية التي لم تكن تملك إرادتها في الاختيار لما يوافق طبيعتها ورفض ما لا يتفق مع قيمها . ولهذا تشكلت المجتمعات الإسلامية تشكيلاً خاطئاً خلال النفوذ الأجنبي الذي فرض عليها ثمار أخطائه وفساد تجربته وبعد أن انخرم النفوذ الأجنبي ما تزال المجتمعات الإسلامية عاجزة عن التحرر أو استعادة شخصيتها والنسألها .

إن ميزة الإسلام الكبرى أنه بنى المجتمع الإسلامي من نقطة الصفر ، وأنه صنع مجتمعه الخاص منفصلاً عن المجتمع الوثني وانشأه نشأة مستأنفة فقد خلع أبنائه ماضيهم كله وانصروا في مفهوم الإسلام الأصيل وقد حول عقيدتهم وتقاليدهم وقيمهم واخرجهم من الجاهلية بكل مفاهيمها .

ثم كان أبرز ما أعطى الإسلام للبشرية كلها : تحرر الفرد من عبودية المجتمع وعبودية الإنسان وعبودية الوثنية والمادية وما يتصل بهما من جبريات وفيرد وجهه ربانياً لا يستعبد نفسه إلا لربه وحده كما جعل للقيم سلماً ثابتاً لا يتغير ولا يخضع للمواطف والآهواء ولا للبيئات والعصور . ثم كان الإسلام شرعة شرعها الحق تبارك للأنسان ولم يتركه يشترع لنفسه . بينما جاء المجتمع المعاصر في ظل الحضارة الغربية ليستنسخ أموره ومطامعه في فرض شريعة زائفة .

يقول الفقيه الفرنسي ريجي في مؤلفه السيادة والحرية :

كيف يملك البعض إرادة البعض ويقيد هذه الإرادات ويسو عليهم

ويغرض عليهم القواعد والنصوص ، وكيف يمكن أن يكون من البشر
للشئ من يعطى حق التشريع ، لا بد أن تكون هناك جهة أعلى من البشر
هى التى تمنح البشر قوانينها .

ومن الحق أن يقال أن الإنسان جزء من عصره ولكن دون أن يفصله
ذلك عن أصله الثابت المتمتع العقيدة وضوابطها وون أن يقطعه ذلك
عن رسالته وأمانته ومسئوليته أمام بناء الحياة والتقدم ، على أن لا يفضيه
هذا التقدم إلى الانحراف نحو المادة وحدها وأن يجعل كل حضارة وعصره
قرب العاملين يدتخى به رضاه ويستهدف به إفاة المجتمع الربانى والاستعلاء
على الشر والارتقاء إلى مقام الحياة الأخرى :

وهم بهذا الفهم يعارضون النظرية البشرية :

هذه النظرية الباطلة التى دمرت المجتمعات الغربية اليوم وخلقت أزمة
الإنسان الحديث . تلك النظرية المتمثلة فى النفسية الفرويدية . والنظرية الجماعية
لدوركايم والنظرية الاقتصادية لماركس ، والنظرية الوجودية لساوتر ،
والنظرية البرجماتية القائمة على المنفعة .

وعلى المسلمين اليوم أن ينظروا إلى تجربته المجتمع الغربى بعين منتوحة
لقد تنقلت البشرية بين نظم عديدة : الفردية والجماعية والأعمالية والماركسية
وجريت المتاع الحسى المنطق بلا غاية أو هدف وجربت الإيمان بكل إله
من صنع الإنسان والإنسان المتأله والإلحاد بكل إله .

وقد عرف العصر الحديث تجاوزات خطيرة : بمفاهيم ترمى إلى عودة
الإنسان إلى الرق ، وإلى الجير ، وإلى الوثنية ، وإلى حيوانية المجلس
والطعام والانحراف عن الفطرة والطبيعة الإنسانية الأصيلة .

لقد كان هدف الدعوات الهدامة إعادة الإنسان إلى الرق وإعادة الفكر إلى الجبر وإعادة البشرية إلى الوثنية ، ورد الإنسان إلى حيوانية الطعام والجنس والقضاء على الفطرة الطبيعية الأصلية للإنسان بعد أن حرره الإسلام من ذلك كله وفتح له الطريق إلى إنسانيته المندمعة إلى القيم العليا .

واليوم تطرح القوى ذات النفوذ هذه المذاهب الهدامة في أفق المجتمع الإسلامي وتزين آراء فرويد ودارون وهيجل في هدم كل عقيدة دينية وتفجيع جماعة الساخطين والخناس والهييز والعبت واللامقول ، عن طريق ذلك الركام الضخم من الكتب والمسرحيات والقصص والأفلام .

ومن أخطار التحديات التي طرحها الفكر الوافد في أفق المجتمع الإسلامي : تلك الفكرة المسمومة « عبادة الحياة » ودعوة الناس إلى الإنكباب على الدنيا محاولون إشباع نهمتهم منها ولا يفكرون في الآخرة

وكانت محاولات إسقاط الأسرة ، وانقول بأن القيمة للمجتمع من الفسبات الخطيرة التي ترفضها الفطرة ويرفضها العلم .

وهناك شبهة القول بأنه ليس هناك فارق بين الشرق والغرب أو بين الأمم والشعوب ، الذي قد يكون صحيحاً من ناحية التكوين الإنساني العام ، ولكنه يكون فاسداً أشد الفساد من ناحية الثقافات والعقائد ، فقد تكونت لكل أمة خصائص متميزة وإتجاهات مختلفة .

ولقد كان المجتمع الإسلامي بطبيعته قائماً على الفطرة الجامعة ، بين العقل والقلب والمادة والروح ، والدنيا والآخرة بينما سيطرت على المجتمع الغربي (إنتشاره) مدمرة تحول بينه وبين التكامل ، وقد دخل المجتمع الغربي مرحلة الأزمة منذ وقت طويل ، بعد أن عجزت الحضارة الغربية

أن تعطى سكينه النفس أو طمانينة الحياة ، وينادى كل المجتمع الإسلامى فى نهاية عصر التبعية وبدا عهد الترشيد .

فالمسلمون وإن كانوا قد خضعوا زمامنا فى ظل النفوذ الأجنبى إلى مفاهيم ليست مفاهيمهم ، فإنهم قد تنبهوا اليوم بعد التجربة المريرة فى الخضوع للنظرة الليبرالية أو النظرة الماركسية أن الطريق أمامهم مغلق ، وأنهم قد خسروا أكبر خسارة ، وأنهم وقعوا فى براثن الهزيمة والتسكية والتسكسة ضنات طويلة وأن لا مخرج لهم إلا بالتقاس المنايع والعودة إلى الأصالة وعليهم أن يقدروا أن منهجهم الاصيل هو طريقهم الوحيد ، وأن لهم منهجاً متميزاً فى الاجتماع يقوم على مفهوم أخلاقى .

ويفرق الإسلام بين الأخلاق التى هى جزء من الدين وبين التقاليد التى هى من صناعة المجتمعات ، وتقرر بأن التقاليد العامة لا يجوز أن تنبع من منابع غير إسلامية فالأزياء والزىارات والإختلاط وشئون الأفراح والموت والأمور العامة والأسرة والبيوت وكل ما يتصل بها من شئون يجب أن تستمد مفهومها من الأصالة الإسلامية وأن يرفض المجتمع الإسلامى كل تقاليد مجلوبة ومستوردة ولست تابع من دين آلامه أو تقاليدها الأصلية .

والإسلام مفاهيم أصيلة فى شأن المرأة والأسرة والعادات والملابس ، ويرفض ما تنقله المذاهب الواحدة من أن الجلس عملية بيولوجية لا علاقة لها بالأخلاق ، ويرى أن عفاف المرأة والبكارة أصول أصيلة ، وتقرر أن لا صلة بين المذاهب الاجتماعية والحقائق العلمية فالحقيقة العلمية تثبت فى المعامل أما المذاهب الاجتماعية فهى نظريات وفروض تخطئ وتصيب وتصلح القوم ولا تصلح لآخرين وهى ليست إلا استجابات لتحديات مجتمعات خاصة أو عصور بعينها وأنها لا تصلح لتسكون قوانين عامة صالحة للبشرية .

واقف حاولت القوانين الوافدة التي فرضها النفوذ الأجنبي على المجتمع الإسلامي أن تحمي الربا والزنا وبذلك أفسدت الأجيال وهددت وجود الأسرة وبدأ خطر ذلك كله في الهزائم المتوالية أمام الغزو الأجنبي والرحف الاستعماري والصهيوني والماركسي الذي لا يتوقف وكانت أخطر المحاذير التي تهدد المجتمع الإسلامي اليوم : إنما تأتي عن طريق العجز عن تأمين الحدود والضوابط وما تنطلق منه افلام ومسرحيات الجريمة والجنس وعلينا أن نتساءل ماذا حققت دعوى البرالية والماركسية اللتين فرضتا على المجتمع الإسلامي ثم تبين فشلا ما : هل حقق الماركسيون حرية الطعام وهل حقق البراليون حرية الفكر ، وهل كان على المسلمين أن يختاروا بين الطعام وحرية التفكير ، مع أن الإسلام حقق لهم حرية الطعام وحرية التعبير معا . ذون أن يكلفهم صراع الطبقات أو تدمير الأخلاق .

الباب الأول

رياح السموم التي طرحتها النظريات المادية

- أولاً : أثر الروافد الثلاث : الاستعمار والصهيونية والماركسية .
- ثانياً : هدم الأسرة المسلمة .
- ثالثاً : محاولة القضاء على وظيفة المرأة الأساسية .
- رابعاً : محاذير تواجه رسالة الامومة .

الْقَضِيَّةُ الْأُولَى

أثر الروافد الثلاث

(الاستعمار والصهيونية والماركسية)

منذ بدأت سيطرة النفوذ الاستعماري الغربي على العالم الإسلامي ، حاول الفكر الغربي (الليبرالي الديمقراطي) السيطرة على المجتمع الإسلامي ، كان هذا الفكر مسيحيا كرسيا ، له جذور يونانية ومفاهيم رومانية تقوم على :

(أولا) الاستعلاء بالجنس واللون وتنظر إلى الشعوب الإسلامية على أنها شعوب ملونة متخلفة .

(ثانيا) السيطرة الاقتصادية التي كانت تدفع النفوذ الغربي إلى سرقة ثروات هذا العالم الإسلامي ومواده الخام عن طريق إعداد حكام وأمرائه ووسطاء يمكنونهم من نهب هذه الثروات .

(ثالثا) العمل على دوام السيطرة الاستعمارية وامتدادها وذلك بتطويع القيادات والأمة للخضوع لأمنلوب العيش الغربي والتبعية للفكر الغربي .

ومن أجل تحقيق هذا الهدف كان لابد من إحتواء المجتمع الإسلامي من خلال مفاهيمه الاقتصادية والسياسية والدينية .

ولذلك فقد طرح النفوذ الأجنبي منذ اللحظة الأولى فكرة فصل الدين عن السياسة وإعلاء شأن العلمانية بمفهوم (اللادينية) التي تقر إتحاذ

القانون الغربى الوصى نظاما للمجتمع فى مشئون القضاء ونظام الربا فى مجال الاقتصاد والنظام الديمقراطى الغربى فى نظام السياسة والعمل على حجب الشريعة الاسلاميه بكل معطياتها ومن ثم فقد فتح القانون الوصى الباب واسعا أمام رباح السموم التى اجتاحت المجتمع الإسلامى (وفى مقدمتها الخمر والربا والزنا) وسرعان ما تحطمت الحضارة التى كان عرفها المجتمع الإسلامى خلال قرون ثلاثة عشرة متصلة منذ بزوغ الإسلام فلأول مرة توقفت الحدود والضوابط والقواعد والنظم الإسلاميه .

وهكذا طرح فى أفق المجتمع الإسلامى (أسلوب العيش الغربى) تحت اسم الحضرة والمدنية والتقدم وارتفعت أقلام رعاة النفوذ الغربى لتدعو المسلمين إلى الأخذ بأسلوب « التفرنج » ، لأنه هو الطريق الوحيد إلى الحصول على الحرية والاستقلال ، وبينما كان المسلمون يدفعون النفوذ الأجنبى والاحتلال العسكرى بكل ما يملكون من وسائل الجهاد ويستشهدون كان زعمائهم يقبلون أساليب الغرب فى السياسة والاقتصاد والتعليم ويمكنون لها فى المجتمع الإسلامى وعاش كرومر فى مصر ربع قرن حتى تمكن من تخريج الطبقة المتفرنجة التى قبلت التعاوف مع الاستعمار لتكون البديل لوجود الاستعمارى السياسى ولتحمل لواء أهداف « التفرنج » ، كاملة فلما تحقق ذلك انسحب الاستعمار العسكرى مطمئنا إلى أنه أقام من الوطنين من يعمل من أجل تأكيد وجود « المدنية الغربية » ، والحضارة :

لم تكن محاولة طرح أسلوب العيش الغربى فى المجتمع الإسلامى باستعمال الوسائل الحديثة هى المقصود فإن المجتمعات تستطيع أن تعيش من الأساليب المادية ما تراه صالحا لها ، وكان الهدف كان أبعد من ذلك ، كان وضع المجتمع الإسلامى فى حالة التبعية والإحتواء للغرب ، ونقل الجماعة الإسلاميه إلى حالة جديدة من شأنها أن تمزق الأسرة :

١ -- بالسهرات الصاخبة والخمر ويتصل بهما مامن اختلاط الرجال والنساء .

٢ -- التخفف من التماسك الخلقي وفتح الباب أمام الرشوة باسم الهدية في مقابل خدمة مقدمة على حساب المجتمع .

٣ -- الولع بالترف ، والزخرف ، والأواني ، والزينة ، والتحف والموسيقى والتخفف من جذيات الحياة وخلق طابع التحلل والرخاوة .

٤ -- خلق بوع من الاعجاب بالغاصب وتقليده والتعلم في مدارسهِ والإنبعاث لبلاده والاعجاب بأبطاله وكل هذا كان من شأنه أن يحطم في الجماعة روح الخشونة والصلابة والقوة بحيث تصبح عاجزة عن مواجهة النفوذ الأجنبي والغزو الخارجي ومقاومة السيطرة الأجنبية المتغلغة :

ومن شأن هذا كله أن يجري تحريفا خطيرا في فهم الاسلام ، فقد استطارت دعوات الاستشراق والتبشير إلى القول بأن الاسلام دين عبادي لا هو في محض لا علاقة له ، بالنظم الاجتماعية والسياسية وبذا سرى روح مسيحي كنسي في محيط الاسلام حتى وجدنا من يقول أن الاسلام بخير ما دامت المساجد مفتوحة والموالد مقامة ، أما التنظيم الاجتماعي الاسلامي فقد حجب حجباً تاماً خلف الابدولوجية الغربية الليبرالية الديمقراطية الرأسمالية

وسيطر التعليم الغربي الذي صاغ أجيالا من المؤمنين بالديمقراطية الغربية نظاما للحكم ، والاقتصاد السياسي الربوي منهاجاً للتعامل وعن طريق التعليم انطلقت ايدولوجيات أخرى في مجال الفلسفة الاجتماعية والنفس والأخلاق استمدت مفاهيمها من مدرسة الفلسفة الاجتماعية التي أنشأها (دوركايم) والتي كانت تستهدف سيطرة النظرية المادية والفلسفة الماركسية على الفكر الاسلامي .

فلم يلبث المجتمع الاسلامي ان دخل مرحلة أشد خطراً حين أصبح الفكر الماركسي هو منهج السياسة والاقتصاد والاجتماع في بعض المجتمعات الاسلامية بديلاً للنظام الغربي الديمقراطي الرأسمالي ومرة أخرى خضع التعليم لدراسات الماركسية والنظريه الماديه وأصبح الاقتصاد هو التفسير الوحيد للمجتمع والحضارة والتاريخ .

وقد أمكن عن طريق التعليم والثقافة والصحافه إحتواء المجتمع الاسلامي في نظريات غربية وافدة ولابدولوجيات غربية وماركسية أخطرها الماركسية والفرويدية والوجودية حيث تفسر الماركسية المجتمع تفسيراً اقتصادياً وحيث تفسر الفرويدية المجتمع تفسيراً جنسياً وحيث تفسر الوجودية المجتمع تفسيراً فردياً :

ومن خلال ذلك طرحت نظريات خايرة : منها نظرية التطور المطلق ونظرية نسبية الاخلاق ونظرية لائنظرية الاسرة ووجدنا كلا من ماركس وفرويد يحاول أن يقدم منهجاً اجتماعياً كاملاً من خلال فرعية الاقتصاد التي هي قطاع من الفكر الانساني لا يستطيع أن يفرد بنفسه بتوجيه الحياة ولا كذلك فرويد من خلال فرعية النفس .

وكذلك خاضت المناهج والدراسات الغربية من خلال سيطرة المفهوم المتأدى عليها في قضايا لم تستطع أن تقدم فيها الرأي الصحيح ، وكان أبرز هذه القضايا قضية الإنسان نفسه ، وهل هو حيوان يخضع لقوانين الحيوان أو يخضع لتطبيق منهج العلوم التجريبية عليه ومنها قضية الدين ، وهل نزل من السماء أم خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها ، على النحو الذي طرحه دور كايم وغيره ونقله إلى أفق الفكر الإسلامى طه حسين وغيره .

ولقد كان من وراء تجارة الغرب المصدرة إلى عالم الإسلام يقوم على الربا والمحرمات والخمر والمخدرات والسموم فقد كانت الأخلاق عتقة في سبيل نجاح هذه التجارة فكان لابد من أن يطرح في أفق العالم الإسلامى دعوى حارة إلى هدم الأخلاق وتدمير القيم حتى تزخر علب الليل والكازينوهات وتجارة الجنس والفساد ولا بد من الدعوة إلى الترف والرفاهية والانحلال لامتناع روات الأمم الإسلامية عن كل طريق : عن طريق النفوذ وعن طريق الربا وعن طريق الفساد وقام في العلم الإسلامى مجتمع اللهو الذى أعانت على قيامه كل الأيدولوجيات الغربية والماركسية واليهودية التلودية وفي سنوات قليلة لم تتجاوز العشرة من وصول ركب الاستعمار أمكن للبرابن وتجارة الخمر وتجارة الرقيق الأبيض من الاستعلاء على نصف روات المسلمين .

وكانت أخطر التحديات التى واجهت المجتمع الإسلامى ومؤامرة برتوكولات صهيرن ، التى تخدمها الناس ونحاول تحقيق هدفها عدة مؤسسات منها الماركسية والشيوعية العالمية . ومنها مدرسة العلوم الاجتماعية التى تدرس في الجامعات على أنها علوم أساسية .

ذلك أن الأيدلوجية التي تقدمها اليهودية العالمية للسيطرة على العالم كله تستهدف تدمير القيم الدينية والأخلاقية وإفساد المجتمع بالتملل والإباحية وهي تطلع مخططاً خطيراً للشباب ، يقول البروتوكول التاسع ، « فاما شباب الجوريم (غير اليهود) فقد فتناهم في عقولهم ودونخنا رؤوسهم وأفسدناهم بتربيتنا إياهم على المبادئ والنظريات التي نعلم أنها فاسدة مع أننا نحن الذين لقنهم ما تربوا عليه ، البروتوكول التاسع ، وهناك إشارات متعددة إلى تدمير اليهود لانجاح النظريات الدارونية والماركسية والنيشسية .

ولقد وضحت خطة الصهيونية العالمية في تدمير المجتمع في ذلك المخطط الذي جرى تنفيذه مما أطلق عليه إنشاء العادات الجديدة وإيقاد العواطف والاستثارة والاستفزاز والتبرم من شئون الحياة (وذلك كله حتى يصبح من المستحيل على أى شخص أن يعلم أين هو من هذا المعترك الذي خاض فيه وقد عم الناس اليأس والبلبلة ،

وهكذا نجد أن اليهودية العالمية الطامعة في السيطرة على العالم والتي أصبحت قادرة منذ سنوات على اختواء الفكر الغربى والتي تسعى حثيثاً لإفساد المجتمع الاسلامى . نجدما تطرح مخططاً غاية الخطورة يبدأ من نقطة الانهيار التي قام بها النفوذ الاجنبى الامتعاى . ولقد كان لسيطرة اليهودية العاليه على مجالات الاعلام العالمى والسينما والمسرح وكل ما يطرح في باب القصص والمسرحيات من مفاهيم مسخومه أبعد الأثر في خلق أخطر تعديدين في حياة المجتمع الاسلامى الحديث بهما (الجنس والجريمة) .

يقول الدكتور أحمد محمد خليفة (إن هناك ظاهرة حديثة ألت بالمجتمع تلك هي أن عددا أكبر من الشباب قد انزلق إلى هوة الجريمة ، وإن الرأى في تحليل هذه الظاهرة قد تعصب إلى فريق يلقي اللوم على سياسة التوسع

في التعليم حتى كان من نتيجتها أن الطلبة الذين ينتمون إلى أسر رقيقة الحال اندمجوا في أوساط أكثر اقتداراً و ثراء فشعروا بالعجز عن مواجهة الحاجات التي يتطلبها مستواهم الجديد فاندفعوا للحصول على المال ولو من غير الطريق المشروع ، وفريق يرى ظروفًا أخرى اجتماعية و تربوية منها ضغط الإغراء الجنسي ومؤثراته على الشباب في الوقت الحاضر ، ومنها مظاهر التبرج التي جعلت النساء يكشفن أكثر مما يخفين والأشرطة السينمائية ولون معين من الصحف والمجلات وخاصة قصص المتعة ودعوة الانطلاق والتحلل والرضا الجسدي ،

« هذه الدوامة الهائلة التي تقدمها الحضارة الحديثة تفقد الشباب توازنه وتبدل تفكيره مما يعجزه عن العمل ويقعده عن الإنتاج ، وفي البلد أندية وحانات فيها من السكر والقمار والدعارة ما ينتج الجريمة لا محالة ، فملك الأماكن مغارس للجرائم لا بد أن نغني بها وإن ينفعنا سن القوانين والإكثار من الشرطة . وإن العلاج الحقيقي هو إصلاح الأنفس ومواجهة هذه الآراء الدخيلة وتمكين الأخلاق القويمة التي هي عماد كل إصلاح .

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

ذلك لأن مرض الانفس هو المرض الدائم ، هو مرض الوطن ، فإذا عولج سهر الاستعمار لتكوين كيانات النفس في مجتمعاتنا العصرية على أساس يضمن له استمرار ضعفنا فقد رسم لمدارسنا المناهج والتقاليد التي اقتصر فيها على التعليم الشكلي دون التوجيه النفسي ، حرص الاستعمار على إيقاظ شهوات الناس وهذه آفة الأندية والحانات ودور المقامرة وأسواق الدعارة .

وقد كانت هذه المرافق كلها بما كان يسمى نظام الحماية الأجنبية أما

الصحافة فقد تطورت إلى صناعة تجارية تدفع الضرائب وتستلم أهواء الجماهير وشهواتهم بما تقدمه لهم فنشأ مجتمع الملامى والسينما نالحة وتمجيد لا عيبها ، وقد قلدت السينما الصحافة في استلهاهم أهواء الجماهير وقال إن على البلاد أن تبني كيائها الروحي والفكري والمادى ،

وهكذا نجد أن المجتمع الاسلامى قد وقع تحت سيطرة النفوذ الاجنبى فانحرف عن طريقه الطبيعى وقد نشأت تلك التحديات الخطيرة في مجال الشباب والمرأة والطفولة والأسرة وكان لهذا أثره الكبير في الاخطار التى هى بمثابة الانحراف عن منهج الاسلام في بناء المجتمع .

الفصل الثاني

هدم الأسرة المسلمة

ركزت الفلسفات المادية ومناهج العلوم الاجتماعية والدعوة الماركسية ومذاهب التحلل والإباحية الغربية المبنية من خلال القصة والمسرحية والرواية السينمائية والتي تستمد مفاهيمها من آراء فرويد وماركس وسارتر وغيره على هدم الأسرة بصفة عامة وحين تطرح هذه المفاهيم في أفق الفكر الإسلامي فإنما تكون بمثابة أخطر التحديات التي تواجه المجتمع الإسلامي .

ومنذ سنوات طويلة نجد محاولة هدم الأسرة الإسلامية عمل ضخم منظم لا يكشف عن هدفه ويتخفى وراء عبارات براقة لامعة كتمجيد المرأة وحرية الجنس وعمل المرأة ، وخلق البدائل المختلفة كصديق الأسرة وسهرات أندية الليل وإيجاد البديل عن الزواج الطبيعي وجوب منع الحمل وغيرها من وسائل تستهدف ضرب الأسرة في الصميم .

وقد كان لهذه العوامل أثرها في دخول (الأسرة المسلمة به مرحلة حرجية في محاولة لازالة قناعاتها وتعرية وجودها وتصويرها بصورة فردية حتى تستهين نفوس الرجال والنساء بها .

والواقع أن الأسرة بوصفها حصن المجتمع كله تتعرض لمخاطر وأخطاء كثيرة من أبرزها محاولة تجاهل الأسرة كأساس للبناء الاجتماعي كله في الكتلة الشرقية حتى لا تكون فاصلا بين الفرد والدولة ، وحتى لا ينال التعلق بها والارتباط بعراطفها من تعلق الفرد بالجماعة الكبرى وولائه لها ،

ولا ريب أن هذا الاتجاه من شأنه أن يزلزل كيان المجتمع كله ويعرضه للزلل ولا يحصى وجود الجماعة الكبرى .

(ثانيا) خطأ النظرية التي تحاول أن تقول بأن وظيفة الأسرة قاصرة على مجرد إشباع الاحتياجات الجنسية والعاطفية للزوجين ، ذلك لأن مهمة الأسرة تتمثل في الأساس إنشاء وتربية واحتضان النشء ورعايته وإيصال القيم والمثل التي تحفظ للمجتمع استمراره وتطوره .

(ثالثا) محاولة جعل استقلال المرأة اقتصاديا من عوامل تعتبر علاقتها بالرجل وبالأثرة بما يصدها عن رعاية الطفل والبيت وتعهدهما والالتقاء بهم إلى الخدم ودور الحضنة ولا بد أن ذلك ستكون له آثاره العميقة في المعانة العاطفية لهؤلاء الأبناء نتيجة لنقص الحنان الطمئني الذي لا تقضيه إلا قلوب الأمهات .

(رابعا) خطر تعدد مراكز السلطة داخل الأسرة بين الوالدين مما يوقع الأبناء في حيرة نفسية تشتت عواطفهم وتبدد آمهم النفسي الذي يستمدونه من مكانة (الأب) باعتباره المصدر الأساسي للسلطة .

(خامسا) قصور الأسرة الجديدة عن رعاية كبار السن من الأباة والأهل والفقراء والبعداء .

(سادسا) صراع الأجيال داخل الأسرة مما يؤدي إلى اهتزاز القيم والمعايير السلوكية بما يفقدها دورها في الضبط الاجتماعي وتوجيه الفكر والسلوك مما يعرض الأسرة للتفكك .

هذه المحاذير ترجع إلى تلك المحاولات التي قامت بها مدونة العلوم الاجتماعية والماركسية لمحاولة هدم الأسرة ، بالإضافة إلى الدعوات المثارة إلى

تغيير العلاقات غير الشرعية بين الرجل والمرأة ، وإعلاء شأن الجنس ،
والدعوة الصارخة إلى إخراج المرأة من بيتها واستغلالها اقتصادياً مما أدى إلى
سقوط الغيرة من أجل الزوجة وسقوط العطف من أجل الآباء والأهل .

ولا ريب أن الدعوة إلى هدم نظام الأسرة هي أخطر التحديات التي
واجهت المجتمع الغربي وكانت مصدر أزمة الاجتماعيات القائمة اليوم ، وهي
تهدد المجتمع الإسلامي تهديداً شديداً ، مما يتطلب العمل المتصل على حماية
الأسرة المسلمة من تلك الأخطار الواقعة ، وذلك بالنظر إلى الركائز الحقيقية
الفطرية التي قعدها لها الإسلام بحيث أصبحت الأسرة في المجتمع الإسلامي
أكبر من كونها مجرد وسيلة لتحديد النسل وقرينة الآباء وإعدادهم للقيام
بمورم في الحياة الاجتماعية .

فالأسرة - كما يقول الدكتور محمود حسين في كتابه الأسرة ومشكلاتها -
كجماعة وظيفية تزود أعضائها بكثير من الاشاعات الأساسية من بينها
تحوفر مسالك الحب بين الزوجين وبين الآباء والأبناء وكذلك بين الأطفال
أنفسهم .

ولقد كانت الأسرة المسلمة ولا تزال هي البؤرة الوحيدة لتشكيل الحياة
العاطفية والجنسية والاجتماعية للمزوجين ، ولا يأتي الخلل إلا من خرق هذا
الجدار ومن تنوء علاقات جنسية خارج الأسرة ، ومن وراءها . ولا ريب
أن شيوع ذلك سواء بالنسبة إلى حياة ما قبل الزواج أم بالنسبة إلى فترة الحياة
الزوجية هو إضعاف للأسرة وإفساد لتكوينها وخرق لجدرانها .

ويقرر الباحثون أن الأسرة المسلمة تنطلق من نظام فكري كوني يقرره
التصور الإسلامي في الخلق (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)
ويقر به التصور الإسلامي اجتماعياً ونفسياً وعقلياً على حد تعبير الأستاذ

محمد العربي الناصري ومن هنا فإن محاولة فهم نظام الأسرة إنما هو بمثابة معارضة لحقيقة قائمة عميقة الجذور قربة للعالم لا سيال إلى مواجهتها بالحذف والإزالة عن طريق طرح مجموعة من الافتراضات على طريق التعداد لنظرية دارون وماركس . وفرويد . وديوركايم ذلك أن الأسرة تعتبر النظام الانساني الأول في تقدير علماء الاجتماع ومن وظائفها استمرار النوع والمحافظة عليه . وقد صمدت الأسرة في وجه مختلف الأحداث والتحديات يقول الدكتور عثمان خليل عثمان : أن للأسرة نصيب كبير من الفطرة آيته ذلك المزاج الدافع إليها من غرائز الجنس وحب البقاء وعواطف الأمومة والأبوة والنبوة والأخاء والرحم مع ما يفتعل من خلال هذه المشائج المتعددة من مودة وحب ورحمة) وقد صمدت الأسرة الإسلامية في وجه التيارات الغربية الوافدة التي تحاول اعتبار الزواج مجرد رابطة عقدية مدنية كسائر العقود المدنية وتحجزها من السند الديني والعقائدي التي تحميها من عواطف الزمن ومخاطر الانحلال .

ومن أجل هذا كان على المجتمع الإسلامي أن يحمي نظام الأسرة ويوفر لها أسباب الاستقرار ويساعدها على القيام بدورها وأداء وظيفتها

وقد فصل الإسلام أحكاما شاملة للزواج والأمومة تتناول الجانب الشخصي والمالي منذ بدأ الخطبة إلى عقد الزواج إلى واجبات الزوجين والأبناء والأقربين إلى النفقات والطلاق والميراث والوصية وما إلى ذلك وهي أحكام ملزمة ترتبط بالعقيدة وبالحلال والحرام .

ومن هنا يتبين فساد محاولات استقطاب ولاء الفرد للدولة عن طريق إيماده عن الأسرة ؛ أو وضع الأسرة في مواجهة المجتمع ، وفساد القول بين تعلق الفرد بالأسرة يضعف ولائه للجماعة الكبرى ، وقد سقطت نظرية أفلاطون هذه التي جددتها الماركسية سقوطا شديدا ولم تصدق حين زعم أفلاطون بأنه حتى للأطفال منذ ولادتهم أن ترعاهم الدولة بدلا من الوالدين .

وقد تنبه كثير من الباحثين إلى هذه التحديات المحقة بالأسرة المسلمة نتيجة لتقليد الغرب ولسريان ذلك الفكر المسموم الذي حملته دعوات المادية والشيوعية وكشفوا عن أهمية الأسرة من حيث أنها الحصن الذي يقوم المجتمع لبنائه ، وأنها هي القادرة على توفير الافراد المسلحين بالمعرفة والعادات وتقاليد المجتمع ووسائل التعامل والتفاعل في حياته بالقدر اللائم لتوافقهم الاجتماعي والنفسى ومن هنا جاء ذلك الرفض الكامل للمفهوم الذى تقدمه النظرية المادية الأسرة ، على النحو الذى عرفته فلسفات المزدكية فى القديم والنازية والشيوعية فى التاريخ الحديث وبالرغم من كل هذه المحاولات فقد بقيت الأسرة وستبقى لأنها صادرة عن الفطرة السكينة فى الطبيعة البشرية ولولا ذلك لاستطاعت المحاولات المتكررة على مر التاريخ من أن يقضى عليها فقد نشأ من النظم السياسية على مر التاريخ ما حاول القضاء عليها وسوف تبقى صورة ما أصاب الأسرة الغربية من تفكك يهدد بالقضاء على المجتمع بأسره ، علامة حذره أمام الأسرة المسلمة فقد جاءت اليوم أبحاث العلماء تنذر بالخطر تقول مجلة تايم (١٩٧٠/١٢/٢٨) .

إن الأسرة الأمريكية غارقة فى شتى ضروب المشاكل الاجتماعية بما أصبح يهدد مستقبل الأمة الأمريكية بأسرها وإن نحو أربعة آلاف متخصص فى شؤون الأسرة والطفل قد أصدروا توصياتهم بسرعة تلاقى أسباب التدهور الأسرة الأمريكية وأن الأسرة لم يعد لها الآن وظيفة ولم تعد بالضرورة الوحدة الأساسية فى المجتمع وأن تحلل الأسرة ينتهى إلى تحلل المجتمع بأسره وأن هذا شبيه بما حدث فعلا فى أثينا فى القرن الذى أعقب الحرب اليونانية وفى روما فى منتصف القرن الثانى بعد الميلاد . ويتساءل علماء الانثروبولوجيا بناء على الواقع فى المجتمع الغربى هل تبقى الأسرة ، ويجب ريتشرد فارسون أنه لم يعد للأسرة وظيفة .

هذه الصورة القائمة للأسرة في الغرب من شأنها أن تضع أمام المسلمين علامات التحذير الشديد من الإنباع وداء السموم التي تقدمها مفاهيم مديسة المفهوم الاجتماعي (هوكايم) أو فرويد أو سولز أو ماركس وكلها ترمي إلى هدم المجتمع عن طريق هدم الأسرة .

إن هدف التغريب والاستعمار والماركسية والصهيونية العالمية هي تعويض المجتمع بتعطيم الأسرة السليمة ونشر الاباحية ، وأنه يتخذ لذلك عددا من الوسائل منها تعليم المرأة المسألة في مدارس الإيساليات وفرض الأزياء الغربية وأساليب الزينة ، والدعوة إلى الاختلاط وتقليب تيارات أدب الفتوة المجون وإخراج المرأة من المنزل إلى عمل لا يتفق مع طبيعتها وفطرتها واستغلالها اقتصاديا ونفسيا .

وقد استطاع أن يؤثر في وظائف الأسرة ، فانحباب الأولاد أصبح مهددا بالدعوة إلى تصديد النسل ، والوظيفة الجنسية التي تمنح المرأة علاقة طبيعية مشروعه مهددة بحرية الجنس والوظيفة الأخلاقية في تربية الأبناء القائمة على احترام الكبير وعمل الخير والعطف على الضعيف مهددة بالرفض المطلق وظاهرة التمرد على الوالدين ، وظاهرة الفهم المختلط بمعنى الحرية عند الفاشية ولا ريب أن ظاهرة الحيرة والتمزق التي تواجهها الأسرة للسلسلة اليوم إنما هي نتيجة الأخذ بسليات الحضارة المادية ومحاولة تقليد المجتمع الرأسمالي الذي يقوم فيه الزواج بغير عقود وحيث يوجد الرجل الثاني في المخدع وصديق العاملة والإنحراف الجنسي أو تقليد المجتمع الماركسي من حيث إنكار الأخلاق في العلاقة الجنسية أو تقبل فكرة البديل عن الأسرة .

وعلى المسلمين أن يلتزموا منهمجهم الاصيل في الأسرة فقد حرصت الشريعة الإسلامية على نقاء الحياة الزوجية وسلامتها وحث على حق العشرة ودعا إلى الإبقاء على رابطة الأسرة وإجاز الطهر في حالة طهر حتى يتأكد

الإنسان أنه طلق زوجته وهو في حالة لا تنعه من الاتصال بها وحتى تكون هناك إمكانية رجعة الزوجة في فترة القدرة بدون مهر جديد ولا شهود .

وقد جاء نظام الزواج لاشتراك فردين في حياة واحدة لغاية واحدة دون أن يقضى على فردية الاثنين ولا يطلب صهر أحدهما في الآخر (ولهن مثل الذى عليهن" بالمعروف وللرجال عليهن درجة) فالمائلة قائمة أما هذه الدرجة المميزة فليست إلا تلك القوامة (الرجال قوامون على النساء) وليست هذه القوامة سلطة أو سيادة وإنما هي توجيه وقيادة ولم يجعلها الإسلام في جانب الرجل إلا أن الرجل بحكم تكوينه في طبيعته ذو مسؤولية في الحياة الخارجية لا يستطيع المرأة بحكم طبيعتها أن تقوم بها .

الفصل الثالث

محاولة القضاء على وظيفة المرأة الأساسية

هناك محاولة استهدفت هدم الأسرة وتدمير المجتمع ووضع المرأة في غير موضعها الطبيعي تلك هي القول بالمساواة بين الرجل والمرأة في التركيب الجسمي والبيولوجي الادعاء بأنها يمكن أن تقوم بعمل الرجال وأن تتحمل من وظيفتها الأساسية، هذه المحاولة من بين الخطط التي رسمتها القوى التلمودية الصهيونية لتدمير المجتمع الإنساني وقد كان الإسلام قد كشف منذ أربعة عشر قرناً عن تلك الفوارق في الطبيعة والتركيب بين الرجل والمرأة، وأبان عن الوظيفة الطبيعية للرجل والمرأة، وقد تدب إلى ذلك بعض العلماء المشتغلين بالطب والعلوم البيولوجية أمثال اليكس كاريل الذي أعلن أن الاختلافات بين الرجل والمرأة ليست في الشكل الخاص للأعضاء التناسلية وفي وجود الرحم والحمل، بل هي ذات طبيعة أكثر أهمية من ذلك، إن الاختلافات بينهما تنشأ من تكوين الأنسجة ذاتها ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيميائية محددة يفرزها المبيض، وقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية عن الأنوثة إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجلستان تعليماً واحداً وأن يمنحا سلطات واحدة ومسؤوليات متشابهة. والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل فكل خلية من خلاياها تحمل طابع جنسها والأمر صحيح بالنسبة لأعضائها ولجهازها العصبي. والنساء وحدهن - من بين الثدييات - هن اللاتي يصلن إلى نموهن الكامل بعد حمل أو اثنين كما أن النساء اللاتي لم يحملن لسن متزنات توازننا كاملاً كالوالدات فالأمة لازمة لاكتمال نمو المرأة. إن على النساء أن ينمىن أهليتهن تبعاً لطبيعتهن وأن لا يحاولن تقليد الذكور فإن دورهن في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال فيجب ألا يتدخلن عن وظائفهن المحددة.

وهكذا كشف الغرب الحقيقة ولكنه عاجز عن الاستجابة لها ، فعلى المجتمع الإسلامى أن يكون قادراً على أن يحتاط دون السقوط فى نفس الهوة الخطيرة . وعليه أن يعرف أن هناك مؤامرة مدبرة حملت المرأة حملاً إلى أوضاعها التى تعيش فيها الآن وكان من ورائها قوى تريد أن تستغلها إقتصادياً واجتماعياً وأنها لم تسكن رغبة فى ذلك . وقد ساقَت المرأة سوقاً إلى المصانع والأسواق هذه الحملة تمثل الآن فى تلك الدعوة المسمومة المسعورة التى تحملها الصحف ويحملها عدد من كتاب التغريب تهال لكل عمل يخرج المرأة عن الفطرة أو تؤدى إلى تدمير الأسرة ، تحت ذلك الاسم المثير (تحرير المرأة) .

إن الهدف من وراء هذه الظواهر البراقة هو خلخلة البناء الداخلى للأسرة وتقويض دعائمها ، وإخراج المرأة من رسالتها ومهمتها الطبيعية وإعدادها لمهمة أخرى ذات بريق أخاذ ولكنها لا تحقق إلا تدمير المجتمع .

وقد جرت المحاولة أساساً على تبييع التعليم وخلطه بين الذكور والإناث فلم يَقم تعليم مستقل خاص للمرأة يوجه أساساً لتكوينها كأم وزوجة وصاحبة بيت ومسئولة عن الأسرة وحامية لنظامها فى المجتمع واقتصرت الأنظمة الوافدة على تخريج عدد من حاملى الشهادات . فكانت وجهة المرأة أن تعمل لتكون صاحبة مورد دون أن تبحث ما إذا كان ذلك مطابق لطبيعتها أم مناقضاً لها ولذلك فإن من أكبر المحاذير بقاء التعليم على النحو الذى يجرى به الآن دون تقدير لتربية المرأة وتكوينها وإعدادها لمهمتها ويجب أن توضع الحقائق الخاصة بالفوارق بين الرجل والمرأة ، هذه الحقائق التى أثبتتها الدراسات العلمية والإحصائية والتجارب الاجتماعية أمام المجتمع المسلم ليكون على بينة من أن هناك ثمة فروق واسعة فى استعداد جنسى المرأة والرجل حيال أمور الحياة وشؤونها ، هذه الفوارق التى تكفل تحقيق كل منهما رسالته . ولقد كشف الإسلام عن هذا المعنى وأقر كل من الرجل

والمرأة لمهمة الطبيعة التي أعد لها فجعل من مهمة الرجل كسب العيش ووسائله في إدارة المصانع والتاجر والمزارع وغيرهما مما ينحو منحاهما وجعل مهمة المرأة إدارة المنزل وتهئية لوازم الأسرة والحمل والوضع والرضاع وتربية الأولاد والحنو عليهم ، الرجل للكسب والكد وتدير الحياة الخارجية وللرأة المملكة المنزلية وتدير حياة الأسرة وليس في ذلك انتقاص لأحدهما وإنما هي القسمة العادلة بينهما ولهذا خلق الرجل قوى الجسم قوى العضلات قوى الفكر واسع الحيلة وخلقت المرأة لينة الجسم لينة الشعور عاطفة كلها .

وإذا كان الإسلام قد انتقص من المرأة فجعل شهادتها بنصف شهادة الرجل فهو مجازاة لطبيعتها فالمرأة بعاطفتها لا بعقلها وتمتاز المرأة بعاطفتها ولا تمتاز بعقلها وهي مع ذلك سريعة النسيان لهذا لم يسو الإسلام بينها وبين الرجل في الشهادة وعلل ذلك بقوله تعالى (أن تضل أحدهما فذكر أحدهما الأخرى) فهو اعتبرها إنسانا ولكنه لاحظ الفرق بينها وبين الرجل وجعل الميل إليها أمرا عزيزا لما يترتب عليه من عمار الكون والميل أساس النسل والدنيا لا تقوم لغيره وليس الميل مقصود لذاته وإنما هو وسيلة لغيره وقد نظم له (لا لئلا) الكامل الصحيح وحدد له الحدود وأمر المرأة أن تستتر وأن لا تبدى مواضع الزينة فلا يليق بها أن تلبس ما يحدد العورة ولا ما يصفها فضلا عما يكشفها . ويديها وقد أجمعت الأمة على ذلك . أما كشف الوجه واليدين فإن أمنت الفتنة جاز لها ذلك وإلا فهو حرام أيضا ، وكما حرم الاسلام ذلك حرم الإسراف في الزينة فالمرأة التي تلبس ثوبا رقيقا يصف جسمها والمرأة التي تغير من خلق الله ملعونة (لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشئة والمستوشمة والنامصة والمتنصبة والمنفلجات للحسن المغيرات لحاق الله (النامصة : النافذة لشعر الجبين) . (المتفلجة : التي تفعل الفاج في أسنانها) .

كذلك يحرم عليها الخلوة مع ذي محرم لقوله ﷺ : ما تجل رجل وامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما ، ووقف الاسلام من هذه المسألة موقفا محكما محرم إبداء

الزينة والإسراف فيها وحرمة الخلوة والاختلاط لأنه يؤدي إليها أما إذا
باشرت المرأة حقوقها في حشمة ورفق من غير خروج على الحد المشروع فلا
مانع في ذلك من غير خلاف ، أما الذي عليه الآن من غشيان الحفلات
ودور السينما والتمثيل وشواطئ البحار وما إليها عارية متهتكة فهو أمر
لا يعرفه الإسلام ولا يرضاه الدين فهمة المرأة أن تكون زوجة صالحة ،
وأما صالحة تلزم تدبير بيتها ، تدبر شئون منزلها وتصلح من شأن زوجها
ولولادها . أن رفق المرأة يعتبر نهضة الأمة ولكن ليس أهميته كأهمية
إصلاح الأخلاق وتربية النفوس فليس معناه الخلاعة والإباحة والتهتك ولكن
معناه التهذيب الصحيح والتربية الفاضلة والعلم النافع .

إن مسؤولية المرأة التي تفرضها عليها طبيعتها ويحددها قانون الإسلام إنما
هي حماية الأسرة والقيام بالواجبات الأخرى ومن هنا يكون من المسؤولية
الاجتماعية البالغة إعداد المرأة المسلمة ثقافيا وخلقيا واجتماعيا بما يؤهلها لأن
تكون (أما) صالحة لتحمل المسؤولية التربوية المنوطة بها وأن يكون ذلك
في إطار كريم للزينة والزي وصيانة لحرمتها وحفاظا على تكريمها .

ولقد كان منطلق الشريعة الإسلامية هو حماية المرأة حماة تامه من أن
تكون تحت ضغط الحاجة مهددة في شرفها وعرضها ومن أجل ذلك أعطاها
نصيبا واضحا في الميراث وجعل لها حقا واضحا في المعاش والمساكنة واضحة
للإل بما لم تستطع أن تصل إليه المرأة الغربية حتى اليوم وما وصلت إلى القليل
منه بعد نزول القرآن بأكثر من أربعة عشر قرنا ولقد كان الإسلام يقصد
بذلك إلى حماية شخصية المرأة وكيانها بحيث تكون الظروف كلها صالحة لكي
تكون عفيفة ظاهرة ، وبذلك حال دون تطلع بعض القوي المضلة إلى السيطرة
على المرأة واستغلالها على نحو جنسي دخيس فأعلن سلامة المرأة في سلامه
كأنها وفي حماية عفتها لأن دمار نفسية المرأة من شأنه أن يهدم حياتها ويجعلها

خاضعه لأهواء الرجل ومطالبه ، وهذا ما استطاعت هذه القوى المضلة أن تحققه في المجتمع الغربي حين أذلت المرأة وجعلتها أداة متعة وعرضتها للاستغلال الجسدى والاقتصادى وقد أحست المرأة الغربية بدمرارة التجربة أنها تجرى ضد الفطرة ، وتتمنى عودتها إلى الأسرة والبيت .

وقد جعل الإسلام العفة هي قوة وجود المرأة ، والعفة أن تكون المرأة للزوج وحده ، دون غيره روحيا وجسديا وجعل أيما امرأة استعرضت فرت على قوم ليجدوا ربحها معصية ، كما أنكر تشبه الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وحرّم عليها أن تسافر سفرا يكون ثلاثة أيام فصاعدا دون محرم ودعاها منذ أن تبلغ المحيض أن لا يرى منها إلا وجهها وكفيها واشترط لها البعد عن مظاهر الزينة ودعاها إلى ستر الجسم وإحاطة الثياب به فلا تصف ولا تشف وحرّم الخلوة بالأجنبي مهما كانت الظروف .

وفضل الإسلام القول في المساواة على نحو يختلف عن أهواء البشرية الذى تحاول به الدعوات الهدامة تحطيم الأسرة وتدمير المجتمع .

فالمساواة في مفهوم الإسلام تقتضى توزيع الحقوق والواجبات بين الرجال والنساء على سبيل التكافؤ أو المماثلة الواضحة في قول الله تعالى :

(ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف)

وبذلك يرفض الإسلام مفهوم المساواة التى يقوم على تجاهل الفروق الواضحة بين الجنسين في الخلق والتكوين والموهبة والاستعداد . حيث اختص كل جنس بمواهب خاصة وقدرات معينة لا يقدر عليها غيره .

وقد أكدت الأبحاث العلمية والتجارب الصحيحة في مجال المجتمعات خطأ القول بالمساواة في كل أمر يتم بين الجنسين في القدرات والأعمال ، ذلك لأنه أمر لا دليل عليه في تكوين الفطرة ولا في تجارب الأمم بل قام الدليل على نقيضه في جميع هذه الاعتبارات .

ولا ريب أن (الأزمة) التي تمر بها المجتمعات العصرية بالإضافة إلى الأخطاء وسوء التصرف ترجع إلى التجاهل لفردية رسالة كل من الرجل والمرأة والخلط بينهما وعدم تقييم الفوارق ، من حيث أن كل جنس له وظيفه لا يصلح لها الجنس الآخر ، وخاصة في مسألة إنشاء الأسرة والطفل والأمومة والزوجة الحامية الراعية للنفس الإنسانية للرجل والخالقة لطمأنينتها هذا بالإضافة إلى أن الرجل إقْدَ تفوق في الأعمال التي تخصص فيها النساء كالطبخ والأزياء .

وان التفرقة بين الرجل والمرأة هي تفرقة عضوية اقتضتها حكمة الله لضمان استدامة حياة البشر وتكاملها . وليست تفرقة من حيث الجوهر والمعدن والعمل .

الفصل الرابع

محاذير تواجه رسالة الامومة

إن الفكرة المسمومة التي يحملها الفكر الغربي التامودي عن المرأة يتجاهل وظيفة المرأة الحقيقية ، كزوجة وأم وكيف أعدت لها شريعة الله منها صحيحا يحمي هذه الرسالة ويحول دون أن تكون المرأة سلعة أو أداة جنس وهوى ومن ذلك تلك الضوابط الخاصة بالاختلاط ودورها في بناء الطفل وفساد الوسائل البديلة كدور الحضانة وغيرها .

يقول الكسي كاريل : لقد ارتكب المجتمع العصري غلطة جسيمة باستبداله تدريب الأسرة بالمدرسة استبدالا تاما ولهذا تترك الأمهات أطفالهن لدور الحضانة حتى ينصرفن لأهولهن الخاصة أو مطامعهن الاجتماعية أو مبادئهن وهواياتهن الأدبية والفنية ودور السينما . انهن مسئولات عن إضفاء وحدة الأسرة واجتماعاتها التي يتصل الطفل فيها بالكبار فيتعلم منهم أمورا كثيرة لان الطفل يشكل نشاطه الفسيولوجي والعقلي والعاطفي طبقا للقبول الموجودة في محيطه إذ أنه لا يتعلم إلا قليلا من الاطفال الذين في مثل سنه وعندما يكون مجردا وحدة في المدرسة فانه يظل غير مكتمل) .

كذلك فقد اكتشف المجتمع الغربي فساد النظام الذي يقوم عليه بالاختلاط ومدى أثره في تدمير الأسرة حتى قال الفيلسوف برتراند رسل في كتابه (الاخلاق والزواج) : (هناك شرط مهم في دعم الحياة الزوجية ذلك هو خلق الحياة الاجتماعية من النظم التي تسمح بالمصادقة

والمخالط بين المتزوجين من الرجال والنساء سواء في العمل أو في المناسبات والحفلات وما شاكلها . أن العلاقات العاطفية بين المتزوجين وغير المتزوجين من رجال ونساء خارج دائرة الحياة الزوجية هي سبب شقاء الأزواج وكثرة حوادث الطلاق وليس عسيرا أن تجمع أمثلة كثيرة عن البيوت التي انهارت بسبب اتصال الأزواج والزوجات بغير شركائهم في الحياة الزوجية) .

وقد نعت السيدة مريم جبهة (الاوربية التي اسلمت) على النسائين أى دعاة تحرير المرأة المسلمة في العالم الإسلامى فهمم الخاطيء . لمعنى التحرر على أنه الاباحية المطلقة للنساء في الاختلاء بالرجال حيث شئن وإنى ذهبن ، بدون قيد ولا شرط ، وفي اختيار الأزياء غير المحتشمة وفي توظيفهن خارج البيوت في الاسواق والمسارح ودور السينما ، وفي مساهمتهن في الحياة العامة مهما تمزقت أراصر الأسرة وانتهكت حرمت العفة والاباء .

وتقول ذلك عن تجربة مثيرة مرت وتمر بها المجتمعات الاوربية والامريكية ، الغربية المتحررة وتدعو باخلاص بمد اعتناقها الاسلام ومعرفتها أحكامه وأدابه إلى أن يعرف النساء المسلمات نعمة الله عليهن بهذا الدين الذى جات أحكامه وأدابه صائنة لحرماتهن راعية لكرامتهن محافظة على عفافهن وحياتهن من الاتهاك وضياح الأسرة) .

ولاريب أن رؤية الاسلام صادقة وصحيحة لانها مستمدة من منهج ربانى لا يخطيء ، بينما تستمد النظرة الغربية منطلقاتها من الاهواء والمطامع ، وقد قرر الباحثون المسلمون أن المجتمع الإسلامى مجتمع فردى لا زوجى وأن الرجال لهم مجتمعاتهم وللنساء مجتمعاتهن ولقد أباح الاسلام للمرأة شهود العيد وحضور الجماعة والخروج فى القتال عند الضرورة الماسة ولكنه وقف عند هذا الحد واشترط له شروطا شديدة من البعد عن كل مظاهر الزينة

ومن ستر الجسم ومن إحاطة الثياب فلا تصف ولا تشف ومن عدم الحارة
بأجنبي مهما تسكن الظروف .

ولا ريب أن الستر في الملايس أدب من آداب الاسلام وإن تحريم
الخلوة بالأجنبي حكم من أحكامه وغض الطرف واجب من واجباته والعكوف
في المنازل للمرأة حتى في الصلاة شعيرة من شعائره والبعد عن الإغراء بالقول
والإشارة وكل مظاهر الزينة وخاصة عند الزوجة هو حد من حدوده ، وقد
حذر الاسلام من فتنه المرأة ، وهي أحب الفتن إلى نفس الرجل ودعا إلى أن
تسلم المرأة من فتنه الرجل (قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن
فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن
ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى
إخوانهن ، أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت إيمانهن أو التابعين غير
أولى الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء
ولا يضربن بخمرهن ليعلم ما يبدن من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها
المؤمنون لعلكم تفلحون) .

وهكذا كشف الاسلام عن محاذير دعوة الاختلاط التي هي
حلقة من حلقات المؤامرة الخطيرة الرامية إلى هدم الأسرة وتدمير المجتمع
وقد تبين من النتائج التي كشفت عنها التجربة الغربية مدى الآثار السيئة التي
ترتبت على الاختلاط والتي تربو ألف مرة على ما ينتظر منه من فوائد

ومن أخطر نتائج الاختلاط التبرج والفساد ، فلا ريب أن الاختلاط
من شأنه أن يؤدي إلى كل ما يتصل بالزنا والفوضى الجنسية وتكشف
المجتمعات الغربية ما كان من نتائج هذه الدعوة وفي مقدمتها

١ — عزوف الرجال عن الزواج لأن المرأة سهلة المنال بلا تكاليف
ولامتنويات .

٢ - منع الحمل والإجهاض مما أدى إلى تناقص السكان نتيجة لزيادة الوفيات على المواليد

٣ - ازدياد الأولاد غير الشرعيين ، ففي السويد يولد طفل شرعى بين كل عشرة أطفال ، وفي الدانمرك يولد طفل شرعى بين كل ثلاثة عشر طفلا ، وفي أمريكا يولد ٥٢ طفل غير شرعى فى كل ألف طفل

٤ - كثرة الأمهات غير المتزوجات

٥ - شبرع الأمراض السرية القاتلة كالسيلان والزهرى التى غدت من الأوبئة التى استفحل أمرها

٦ - ظهور جيل من الخفافس وهو شباب رافض لكل القيم هادم لما بقتة البشرية

وكل هذه نتائج طبيعية ومصير محتوم للتبرج والتمحل وقد أشارت الدكتور عميده كلية بنات جامعة الأزهر إلى أن الاختلاط الموجد فى الجامعات غير جامع الأزهر مريب وذريعة لجلب المفسدة وأن عدم الاختلاط هو الضمان الحقيقى للمحافظة على كرامة الفتاة ومنع الشبهات عنها والوسيلة الوحيدة لسد الطريق الذى يودى إلى الإحراف ، وهذا أيضا يحافظ على سمعة وعادات وتقاليد الأزهر فالإسلام كريم له قوانين وتشريعات تحاظر بها على كرامة المرأة وحياء المرأة ويحول بينها وبين الفقة والمفسدة ، وقالت نحن كجامعة أزهرية يهيمن عليها الدين الإسلامى رأينا أن نحافظ على أبناءنا بأن جعل لهم جامعة خاصة تتوافر فيها كل الامكانيات العلمية والتعليمية وإتاحة الفرصة أمام الفتاة لدراسة جميع العلوم فيما عدا مجالات معينة لا يتصور أن تمارسها الفتاة ودعت إلى ضرورة عدم الاختلاط إلى الحياة العملية فهناك الكثير من الأعمال يجب

الإلتزام الفتناء بممارستها ويجب كذلك أن تخصص لها وحدات خاصة من المواصلات وأن عدم الاختلاط ليس عقبة في حياة الفتناء العاملة لأنها في حياتها مع أسرتهاء وتحت إشرافها تختلط بالكثير من أقاربها وجيرانها وأيضاً القيم والمثل التي تتعلمها من خلال العلوم الإسلامية تساعدنا كثيراً على التكيف حسب المجتمع الذي تتواجد فيه والحرص على كرامته ،

وقد عانت القيم الإسلامية منذ وقت طويل إلى أن تتعلم المرأة ماهى في حاجة إليه بحكم مهمتها ووظيفتها التي خلقها الله لها وهى تدبير المنزل ورعاية الطفل

ولقد تبين للمرأة الغربية فساد الطريق الذى تسير فيه والذى ينتزعها من رسالتها ومهمتها فتقول الطيبية سالى . سويرنر . أن وجود الأم شىء حاسم بالنسبة للنمو الباكر للطفل ، أن من التضييل وعدم الانصاف القول بوجود أن ترتفع المرأة الذكية عن غرائزها الأمومية ويعود إلى العمل وتتساءل : هل تستطيع المؤسسات أن تحل محل الأم بديلاً ملائماً ، كما أن حليب الأم لا يمكن أن يستخرج منه فكذلك الأم ، أن معنى تحرير المرأة في نظرى هو أن تشعر المرأة بالثقة في نفسها في كونها امرأة في كونها أما

وتتساءل الكاتبة الأجنبية : هل من الممكن الجمع بين الأمومة والعمل وتجييب بأنه ليس من السهل ذلك ، أن الأمومة تعانى من الامتهان وأن اختيار البقاء في المنزل والعناية بالطفل قرار ليس من السهل اتخاذه في هذه الأيام ، أن النساء اللواتي لا يرغبن في الاشراف على تربية أطفال من يرتكبن خطأ فادحاً ، إذا اردت أن تقومى بالأمومة وأن تعملى فإن مجاحك سيتوقف على مدى استطاعتك تجاهل غرائز الأمومة ، لقد كنت برغم ثقافتى المهنية

غير مدركة إطلافا لقوة هذه الغرائز وللرابطة بين الطفل والام حتى رجعت إلى البيت مع رضيعي الاول .

على النساء ألا يبقين خجولات بعد الآن من أن يفاخرن بكونهن نساء وأن يستمتعن بالارتباكات الخاصة بالنساء مثل الامومة وعندما تشعر النساء أنه يلغى عليهن أن يجرن أنفسهن من خواصهن الانثوية المنفردات بها فانهن لا يحققن المساواة وإنما يفقدن الذاتية وإذا فكرت المرأة في أن تكون شخصا فاعليها أن لا تكون مثل الرجل .

ولقد كرم الاسلام الامومة فجعل زمام البيت بين المرأة ، فالمرأة راعية ومسئولة عن بيت زوجها والرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم ، وشخصية المرأة في نظام الاجتماع الاسلامي لا تفنى في شخصية الزوج فهي لا تفقد شيئا من حقوقها المكتسبة لفرد في الهيئة الاجتماعية البشرية ، وإن الفوارق الطبيعية عن الرجل والمرأة قد أعدت لصلاحية مهمة كل منهما ولم تعقها عن نشاطها الاجتماعي .

ويخص النظام الاسلامي بشدة على معاملة الزوجة معاملة حسنة (فامساك بمعروف أو تسريح بإحسان) و (عاشرهن بالمعروف) والرحمة بالمرأة واجبة حتى في حالة الكراهة (وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) وخياركم خياركم لنسائكم ، وقد حدد الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الرابطة بعبارة دقيقة (أن لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا ، فاستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئا)

لقد كرم الاسلام وحفظها من أن تكون سلعة لكل إنسان ولذلك فإن محاولة تقليدها المرأة الغربية ليس في حقيقته إلا محاولة تستهدف كرامتها وحلقها ودينها ، يقول بهذا الغريبات اللاتي اسلمن فتقول إحداهن : لقد

صدمنى من المرأة الشرقية أنها تصورت أن التمدن والتحضّر هو فى تقليد المرأة الغربية وقد نسيت أنها تستطيع أن تتقدم فى حدود تقاليدها ، أن الاباحية الغربية هى التى تهدم المجتمع فى أوروبا وأمريكا وأن الاختلاطية فى المجتمعات هى التى حطمت الاسرة وزلزلت الاخلاق .

وحين نرى بعض الدول الاسلامية والعربية تفرض ذلك بقوة القانون كما حدث فى تركيا وإيران وتونس تعرف إلى حد يمكن أن يكون الخطر الذى يواجهه الاسرة المسلمة والامومة والمجتمع الاسلامى كله .

يقول حان بول رو فى كتابه الاسلام فى الغرب : أن التأثير الغربى الذى يظهر فى كل المجالات ويقلب رأسا على عقب المجتمع الاسلامى لا يبدو فى جلاء أفضل مما يبدو فى تحرير المرأة ، ويبدو ذلك فى تقليد أوروبا فى المساواة المطلقة بين الجنسين فى الحقوق والواجبات ، وقال أن أوروبا تريد من العلمانية بأن لا تطفو على السطح فحسب ، بل ترغب أن تنفذ إلى قلب الخلايا العائلية ذلك أن النفوذ الغربى يعرف مدى ما يكتسبه من السيطرة على المرأة وإخراجها من طوابقها الاسلامية ، ومن العجيب أن تدعى المرأة المسلمة إلى ذلك فى الوقت الذى يضطرم فيه المجتمع الغربى بالازمات التى حطمت الاسرة وهندت المجتمع حتى تقول السكينة الامريكية (جرمين حرير) فى كتابها المرأة المستعبدة ، أن عصرنا يمثل أقصى مراحل الظلم والظغيان والاستبداد التى عرفتها المرأة منذ وجودها على الارض . أنها تغامر بلا دليل ولا مرشد فى ظلمات المجهول) .

وهناك من يعرف مدى أهمية المرأة التى تحيا بمفهوم الاسلام فى بناء المجتمع حيث يقول جان بول شارنيه (أن جميع المعتقدات التى حارب من أجل محوها علماء الدين المصلحين قد صنعت فى الواقع من المرأة المسلمة حصنا فعلا للإسلام ولما كانت المرأة تضمن استمرار النوع فإنها من أقوى الحواجز التى تحمى الاسلام من التفرج) .

الفصل الخامس

أخطار في وجه الطفل المسلم

إن هناك محاذير ضخمة ومخاطرة كبيرة تواجه الطفل في العالم كله ، وقد واجهت هذه الأخطار الطفل في الغرب وهي الآن تمتد إلى أفق المجتمع الإسلامي وتتلخص هذه المحاذير في أمرين : في أمر تكوينه وفي أمر تربيته . فالأم العصرية الآن قد تخلعت تماما من رضاة الطفل وحماية طفولته ليس بالغذاء وحده ولكن بالحنان والوجدان والعطف الذي يصنع وجود الطفل وتحفظ كيانه النفسي من الوقوع في الأزمات والتمزق .

وليس هناك تفرقة بين الأمرين : أمر التغذية وأمر العاطفة فان تولى الأم رضاة طفلها من شأنه أن تحقق تلك الحضانة العاطفية وفي السنوات الأخيرة وجهت الهيئات الطبية العالمية تحذيرات شديدة من انقطاع الأم عن الرضاة الطبيعية للأطفال وأنه ليس هناك بديل للبن الأم الغني بالبروتين . وكان النذير يعلن هذا الخطر في مواجهة المجتمع الإسلامي إذا توقفت سيدات قارة آسيا عن إرضاع أطفالهن فسوف يكون هناك حاجة ماسة إلى قطيع آخر من الماشية يبلغ ١١٤٠ مليون رأس لتعويض النقص في الألبان .

وفي مؤتمر الصيدلة الدولي الذي أقيم في باريس ١٩٧٢ أعلن عن أهمية حليب الأم في رضاة الطفل بما لا بديل له لصحة الرضيع ، ومدى الفارق البعيد بينه وبين حليب البقر وأشار الدكتور هرن لسترادن أن لبن الأم قد زود بعشرات من المعطيات الصحية التي لا يمكن أن توجد في حليب البقر . منها مادة كولوستروم وكريات حلويين وما يحتويه من نسب عالية من السكريات والحوامض مما لا يوجد في حليب البقر .

وأن الأم التي تغذى طفلها بحليب البقر إنما تفرض عليه زيادة في المواد البروتينية تفوق حاجته ثلاث مرات بينما تنقص حاجته من السكريات والأحماض التي لا يحتاج إليها عجل البقرة وتنتج لذلك فإن كل من السكبد والكلبتين لدى الرضيع المعدي بحليب البقر يصاب بالتضخم من جراء المجهود اللازم لتحويل المواد البروتينية . وأن نقص المواد السكرية والحوامض الدسمة في لبن البقر الذي يقدم للطفل من شأنه أن يوجد نقصا جوهريا في خلايا الدماغ البشري ، وما يصاعف الخطر أن خلايا الدماغ تتكون مرة واحدة في السنين الأولى من العمر ولا تتجدد . وأضاف الدكتور ليستراد حقائق جديدة لم تكن معروفة إلى وقت قريب وهي أن حليب الأم لا يشمل على عناصر غذائية فقط بل يشتمل أيضا على عناصر وقاية من الأمراض الجرثومية تشبه اللقاحات ومعنى هذا أن خالق الطفل - لا الطبيعة كما يقول الطبيب - قد ممكن الطفل الرضيع من الشهور الأولى من عمره من مقاومة بعض الأمراض الجرثومية .

ويتساءل الطبيب في الأخير : كيف يمكن أن تحجم الأم عن ترضيع طفلها إذا تأملت في هذه الفوائد التي لا تحصى في حليب ثديها ثم في هذه المساوىء والمخاطر التي لا تحصى في حليب البقر .

وقد اندلعت في السنوات الأخيرة في الغرب حملة شعواء على الرضاعة الصناعية تحت عنوان مثير : نعم للثدي لا للحليب الصناعي .

وكانت الدكتورة بامبلا ديفنز الباحثة بمعهد أبحاث الطفل بمدينة لندن قد انتهت من دراسة كل أنواع الألبان قد أعلنت تحذيرا للامهات من إرضاع أطفالهن لبن الأبقار وما في مستواها وقالت أن هذه الألبان تحتوي على نسبة عالية من الدسم الذي يصلح لعجول الماشية وحدها بينما ضرره يلحق بالإنسان الرضيع لأنه يؤدي إلى الإفراط في السمنة ويفتح الطريق في جسم الطفل إلى أمراض القلب وأن الرضيع الذي يعتمد على اللبن الصناعي أكثر تعرضا

للإصابة بإكزيما الجلد أو الربو وأمراض الجهاز النفسى الأخرى . والأهم أنه يشب أنانيا جافا غليظ القلب قاسيا قليل التعاطف يفتقر إلى الارتباط الوجدانى على نطاق واسع .

ولقد كشفت الأبحاث والأحداث أخطارا كثيرة فى مجتمع الطفولة نتيجة انصراف المرأة عن أداء واجبها فى رضاءة وحضانة طفلها وإسلامه للخدمات والجهات الأخرى بل إن اشتغال المرأة بأعمال لا تتفق مع طبيعتها قد كان بعيد الأثر فى اضطراب عملية الحمل والولادة إلى حد أن هناك نسبة كبيرة يولد فيها الطفل ميتا وأنها ترهق نفسها فى وقت يسكون فيه جهازها العضىلى أكثر حساسية وأكثر تأثرا مئات المرات بكل صغيرة وكبيرة وقد أشار علماء الدراسات البيولوجية إلى أن هذا يرجع إلى الفروق العامة فى التكوين الفسيولوجى بين الرجل والمرأة وتعارض قدراتهما فى تحمل الإرهاق ، وكذلك الفروق فى الوظائف الطبيعية والاجتماعية لهما وما يخضع له كل منهما من عادات وقيم سائدة تجعل المرأة العاملة تنفرد بظروف متميزة فى مطالبة بالإضافة إلى دورها فى مواقع العمل أن تقوم بأداء وظيفتها داخل الأسرة كأم وزوجة مسئولة عن البيت ومن شأن هذا الإضطراب إصابة الأم بمرض السكر أو نقص أكثر من اللازم فى الدم .

ولا ريب أن تقليد الأم العربية الإسلامية الأوربية والأمريكية فى هذا المجال لها أخطرها ومحاذيرها ولها نتائجها السيئة فى المجتمع الإسلامى نظرا لاختلاف الظروف الاقتصادية والاجتماعية والصحية وخاصة أن شروط الرضاءة الصناعية الصحية يصعب توفرها فى البلاد النامية ، وأن أدوات الرضاءة كالزجاجة والصمام قد تتحول إلى مركز خطر للجراثيم ينتقل إلى الرضيع وتشير لوحة الأرقام المعبرة عن انتشار أمراض المعدة بين أطفال العالم الثالث .

وتتركز اليوم الحملة على الطفل بالتحكم في ثقافته والقصص التي يقرأها والمعلومات التي تقدم إليه بهدف تدمير كيانه النفسي وإفساد عقله منذ أول الشوط وتستهدف مخططات النفوذ الأجنبي وبروتوكولات صهيون التحكم في الطفل قبل أن يصبح شاباً وتنسكيله تشكيلاً يؤثر على فطرته ويحوّله إلى الوجهة التي يريد توجيه إياها ، ولقد احتاجت هذه الموجه عالمنا الإسلامي وأصبحت هناك ثقافات وكتب ودراسات وقصص تقدم للطفل ترمي إلى غسل دماغه وتدمير كيانه وتحطيم وجهته الخلقية والدينية ، وهناك محاولات لكتابة قصص للأطفال ومسرح للأطفال يقوم بها تغرييون من غير المسلمين أو من اتباع الدعوات الهدامة وتستهدف هذه الخطة صناعة هدف للطفل غير هدف أمته وعقيدته ، وذلك عن طريق تسليط الأسطورة والقصة الخيالية ومفاهيم العنف والجريمة عليه .

ولا ريب أن فترة الاختبار في حياة الطفل تأتي بعد فترة التأسيس التي يقوم بها الوالدان والمدرسين على أساس إرساء الدعائم الأولية للشخصية فإذا تعرضت فترة التأسيس هذه لتلك التحديات الخطيرة فإن الطفل سينشأ فاسداً مضطرب الشخصية مزلزل الوجدان وسيكون عاملاً من عوامل الخطر على مجتمعه .

والإسلام يدعو المسلمين إلى بناء شخصية الطفل بالإيمان والخلق والقُدوة وإقامتها على العزيمة والإرادة وعلى اختيار الأقوى والاتباع وعلى الاختشاش والتعشف وعدم الركون إلى الترف والبسائط وقطم النفس عن الشهوات وذلك كله حتى تكون الأجيال الجديدة قادرة على حمل أمانة مسئولية وطنها وأمتها ولا ريب أن ذكاء الطفل ينمو وتزداد قدرته على الكلام والفهم والادراك إذا نشأ بين أبيه ولم يترك للحاضن أو رياض الأطفال أو المربيات الأجنيات ولا ريب أن الكثير مما يصيب الأطفال بالعصاب النفسي يرجع

إلى ضعف السلطة الأبوية لا العكس ، ويقول الباحثون الذين أجروا تجارب واسعة على البيئات المختلفة أن منشأ الكثير من الاضطرابات النفسية لدى الأطفال إنما هو نتيجة الارتياح الذي أصاب الكثير من الآباء حول الطريقة المثلى في التربية مما جعل الكثير من الأبناء ينشأون كنف أسرات يجهل الوالدان فيها كل شيء عن التربية ، ولو كان لدى الآباء الثقة ، في أنفسهم لكانوا أقدر على تربية أبنائهم فإن الشك الذي يخيم على عقول الآباء سرعان ما ينعكس على عقول الأبناء فلا يلبث الأطفال أن يقعوا فريسة سهلة لوساوس القلق والشك والخوف والارتياح .

وأنه لا بد من إعادة روح الثقة بالنفس إلى الآباء والامهات حول قدرتهم على تربية أبنائهم وما لم يحدث ذلك فسيظل عدد الأطفال المصابون باضطرابات نفسية تزايد يوماً بعد يوم .

وأنه لمن أخطر الظواهر في المجتمع الغربي الحديث هي ضعف سلطة الآباء ، وأهم سبب لذلك هو أن الآباء قد أصبحوا عاجزين عن تقديم نموذج سليم أو تكوين آراء أخلاقية بعيدة عن الرذيلة . ولا ريب أن هناك أزمة فساد النموذج الداخلي للاب وبذلك انهار أضخم ركن من أركان التربية وهو (القدوة) ولقد تبين للباحثين فساد نظرية التحرر المطلق الذي قالت بها المدارس المادية والتلوذية وفرضتها على المجتمع العربي كله ، ونشأت في ظله أجيال عظماء ، وتبين اليوم أن حاجة الطفل إلى الشعور بالأمن لا تقل عن حاجته إلى الشعور بالحرية .

وقد أثبتت التجربة أن الأبناء الذين ينشأون في كنف أسرة ذات عقائد راسخة كائناً ما كانت يكسبون الكثير من وراء هذه البيئة المستقرة ، قد يختلف الاب مع ابنه ، حول بعض الأمور والمسائل ، ولكن ذلك لا ينقص مكانة أبيه في نظره ولا بد أن يعترف له بالفضل ويظل مقدراً له ومحترماً .

ومن هنا فإن الخطأ هو في غيبة المفهوم العقائدى والأخلاقي في الأسرة
الذى هو صمام الأمن وعصمة الأمر كما أشار إلى ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

فاذا وجد هذا المفهوم واستقر بالتربية مع الطفل من اليوم الأول أمنت
الأسرة وأمنت المجتمعات تلك العواطف التى تثيرها القصص والمسرحيات
والأفلام حينما تصور الأب بصورة يراد بها السخرية به واحتقاره وانتقاص
دوره الأصيل وما يجرى فى هذه القصص من محاولة تحريض الأبناء على
التمرد على الآباء والقول بأن هذه الأجيال الجديدة بغير أساتذة أو بغير توجيه
أو تلك الصيحات المريبة الظالمة التى تجرى على لسان الآباء بأنهم يتركون
لأبنائهم خربة الوجهة التى يريدونها ولا يدرون أنهم بذلك يحتملون أكبر
التبعة فى الأخطار التى يواجهها أبنائهم وأن العلاقة بين الآباء والأبناء يجب
أن تكون مليئة بالثقة وأن يكون الآباء على مستوى المسؤولية والخلق حتى
يستطيعوا أن يوجهوا الأبناء من ناحية وأن تجد أرائهم ثقلاً وثقة لدى الأبناء
والواقع أن (القدوة المثل) هى قدوة البيت فى الآباء والأمهات وأن قدوة
المدرسة تأتى من بعد .

وأن الشارع والصحيفة والسينما والقصة (وأحياناً أساتذة المدرسة)
يتكئون فى صف محاولات الهدم والتدمير وحيث يفقد المثل الأعلى فى الأب
والأم داخل الأسرة فلا أمل فى قدوة خارجة إلا نادراً وأن كل قدوة خارجة
هى مكملة لقدوة الآباء .

ومن ناحية الطفل فقد ثبت علماً أن استهانة الأم بالرعاية والحضانة الحقيقية
للطفل وتسليمها إياه إلى دور الحضانة والخدمات - إن لم ير ضه للمعانة العاطفية
نتيجة نقص الحنان الفطرى الذى جبلت عليه قلوب الأمهات .

كذلك فإن عناية الآباء والأمهات الزائدة وتساعدهم المفرط الذى يعوّدون

عليه الطفل هو مصدر متاعب خطيرة له فإنه يحمله يتوقع نفس المعاملة من الآخرين قلما لم يجد هذه المعاملة من الغير يصدم وتتولد لديه مشاكل نفسية واجتماعية متعددة .

ومن الخطر أن يشكل الطفل على أساس الاحساس بأن العالم من حوله قد وجد لتلبية رغباته أو إشباع حاجاته أو حماية تصرفاته .

ولا ريب أن التسامح الزائد أو الاضطراد المتصل في حياة الطفل كلاهما خطر شديد الخطر ، وكذلك الترف والحرمان جميعا . ولذلك فإن الطفل في حاجة إلى موازنة شديدة في مطالع حياته تمكنه من أن يشق طريقه بإرادة خالصة وأخلاقية واضحة والاسلام يرفض تماما تلك المحاولات المسمومة التي تدعو إلى إطلاق حرية الطفل بغير رعاية وتسديد في الخطوات الأولى ، ولقد تبين أن الأجيال الساخطة المتبرمة إنما نشأت على ذلك المفهوم الخاطئ الذي روح له فرويد وسارتر والدكتور سنوك وقد تبين للمجتمع الغربي اليوم فساد هذا الاتجاه وطالب المربون بعد قياس سليم للآثار الخطيرة للجريمة والجنس والفساد الخلق المتفشى في المجتمعات ، بالعودة إلى أسلوب الأصالة وإلى العودة إلى عقوبة الضرب وغيرها في المدارس حتى يندشأ الشباب وهو يعرف أن هناك ما هو مقبول وجاز وما هو غير مقبول وغير جاز وأن ظاهرة العنف والجريمة قد جاءت نتيجة هذه الحرية الظالة .

(٢)

يقول الأستاذ عامر عبيد : قبل أيام نشرت صحيفة الديلي تاغراف البريطانية أن فتاة عمرها خمسة عشر عامًا سرقت طفلة كانت قد تركتها أنها في عربة صغيرة أمام مبنى بنك في لندن وكان السبب الذي دفع تلك الفتاة إلى سرقة الطفلة أنها قرأت كتابا في المدرسة بعنوان (سام وأنا) وتعلت منه كيف تسرق الأطفال وتحولت الفكرة في ساعة تسلية بريئة إلى واقعة حقيقية عندما وجدت الطفلة في متناول يدها ومن مخططات بروتوكولات صهيون التي

اعتمدتها الصهيونية العالمية والحركة الماسونية قانوناً لهما في تنفيذ مآربهما أن يتم الاستيلاء بصفة مباشرة أو من وراء ظهر للتحكم في الكلمة الصادرة حتى تكون ملائمة لتحقيق أهدافها.

ومن أجل هذا يتحتم النظر في جميع المطبوعات التي تطرح في الأسواق سواء أكانت صحفاً أو مجلات أو كتب مسلسلات لا سيما تلك التي تخص الصغار .

أن هناك مطبوعات خطيرة مطروحة على الأرضة منها سورمان وأرسين لوين ، وشرلوك هولمز ، غير هامن مطبوعات منمقة وقد تبين أن الأطفال يقبلون عليها ولا يعرفون الوجهة الخطيرة التي تحتوي عليها (القيم الإسلامية) إذك أن هذه المجلات تستمد مادتها من مصادر أجنبية وأن اختبارها قد روعى فيه هدم القيم الإسلامية في نفوس الأطفال . وأن هذه الاساطير الغربية المقدمة للطفل العربي والمسلم من شأنها أن تخاف في أعماقه خوفاً وإعجاباً بالبطولة الغربية وبذلك يظل على جبل بيطولات أمته من ناحية ويلتشيء في أعماقه حالة تبعية تحول بينه وبين فهم مقررات الامور من حيث إخطار الغزو الغربي التي يجب أن يعد منذ نعومة أظفاره لمواجهة ومقاومتها .

كذلك فإن من الاخطار الشديدة على الطفل العربي المسلم ذلك الاذمان التلفزيوني الخطير حيث تقدم الإذاعة المرئية شرائح خطيرة من الجريمة والجنس وصور الصراع في الاسرة والخلاف بين الاباء والامهات وأن هذه البرامج التي هي في حد ذاتها خطيرة بالنسبة للشباب فإنها بعيدة الأثر في تشكيل نفسيات وعقليات الأطفال . فهي تحول بينهم وبين تكوين آراء صحيحة لواقع المجتمعات وللأساليب الصحيحة لمواجهة المشكلات والقضايا ومن ثم فانه لابد من حماية الأطفال من هذه البرامج العامة .

الفصل السادس

فساد أسلوب العيش الغربى

كان المجتمع الإسلامى هدفه للقوى الأجنبية التى أصبحت قادرة على التأثير فيه عن طريق وسائل التقدم والحضارة التى أمكن توجيهها إلى دفع المجتمع نحو التسلية والترف وتوفير أسباب الإغراء المادى بهدف إخراج المسلمين من أجشيشان المجاهدة إلى رخاوة الحياة ، ومع أن الإسلام لا يحرم متاع الحياة ولكنه يفرض قدراً معيناً من الضوابط التى تحول دون تدمير الوجود الفردى والوجود الاجتماعى بحيث يصبح المسلم قادراً على مواجهة أحداث الحياة المتغيرة ومواجهة الغزو الخارجى .

كذلك فإن دفعات الحضارة المادية التى شاقها الاستعمار باسم التقدم والرفاهية إنما قامت على أساس مادى خالص ، وعلى أساس إعلاء شأن طائفة صغيرة من القادرين ، بينما أصبحت الطبقة الأكبر عاجزة عن الوصول إلى هذا القدر من المتاع ، بينما يقارب الإسلام بين الطبقات فى وسائل العيش ويجعل من المعنويات أساساً لكثير من التضحيات ، وقد استطاع هذا التأثير الأجنبى أن يعلى شأن المقاييس المادية فى التعامل وأن يوجد صراعاً عنيفاً ، وتطلعا إلى الماديات ، على نحو يقضى على كثير من القيم المعنوية وبذلك يتأثر الاتجاه الإسلامى القائم على الجمع بين المادة والروح .

وهكذا نجد أن النفوذ الأجنبى الذى سيطر بالاحتلال العسكرى أو الاستعمار الذى سيطر سيطراً على المجتمعات الإسلامية قدر جيلين أو ثلاث يحاول أن يطرح أسلوب العيش الغربى فى المجتمع الإسلامى باستعمال الوسائل الحديثة ليحتويه وليصهره ويصنع منه شيئاً جديداً يفرجه عن طابعه الأصلى (م - ٤ المجتمع الإسلامى المعاصر)

ولذلك فإننا نجد أن أسلوب التعامل الغربي مع المجتمع الاسلامي كانت تستهدف نقل المجتمع إلى حالة جديدة من شأنها أن تمزق الأسرة وتقضى على رجولة الرجل وأنوثة المرأة وأن تدفع بالرجال والنساء جميعاً إلى الخروج عن طريق السهرات الصاخبة والخمر وما يتصل به من اختلاط الرجال والنساء . ولا ريب أن انفتاح هذا الطريق أمام الرجل المسلم من شأنه أن يدفعه إلى الطمع في الحصول على موارد جديدة تمكنه من تحقيق هذه الأهواء ولذلك فهي تدفعه إلى التحلل من التماسك الخلقي وتفتح الباب أمام الرشوة والهدية والحصول على موارد محرمة لتحقيق هذه المتعة ويكون ذلك كله على حساب المجتمع .

كذلك فإن أسلوب العيش الغربي الذي فرض على المجتمع الاسلامي كان عاملاً هاماً في دفع المسلمين إلى التفرنج والولع بالترف والزخرف والوانى والتحف والموسيقى والتخلف من العبادات والانصراف عن عوامل الثقافة والاصالة وانتقال المجتمع إلى صورة من التحلل والرخاوة . وهذا هو أساسى في ضرب المجتمع الاسلامي لانه يجعله عاجزاً عن مواجهة النفوذ الاجنبى والغزو الخارجى ومقاومة السيطرة الاجنبية المتغلغلة . بل هو يدفعه إلى الاعجاب والارتواء في أحضان هذه الأساليب المعارضة لمفاهيم الاسلام وروحـه .

ومن شأن هذا أن يخلق نوعاً من الاعجاب بالغاصب وتقليده والتعلم في مدارسهِ والبعثة إلى بلاده وفهم الاسلام على أنه دين عبادى محض لاعلاقة له بالنظم الاجتماعية والسياسية .

ولا ريب يقوم هذا المجتمع كله في ظل نظام اقتصادى ربوى رأسمالى أو ماركسى ، لا يهم . وإنما المهم هو التبعية لاسلوب العيش الغربى والاعتقاد بأن التنظيم السياسى والاقتصادى الغربى تنظيم مثالى .

ولما كان الفكر الغربي الليبرالى - والفكر الماركسى شطرنجه واستجابة له الذى حاول السيطرة على المجتمع الاسلامى كان فكرا مسيحيا كنسيا له جذور يونانية وثيقة ومفاهيم رومانية عبودية ، ولذلك فإنه يطرح من الوهلة الاولى محاولة فصل الدين عن المجتمع وإعلاء شأن العلمانية التى تقرر اتخاذ القانون الوضعى نظاما للمجتمع فى شئون القضاء والاقتصاد والسياسة والتربية والتعليم وتحجب الشريعة الاسلامية بكل معطياتها ، ومن ثم فقد فتح القانون الوضعى الباب واسعا أمام الخمر والزنا والربا وحطم الحصانة التى تقيمها الحدود الاسلامية لحماية المجتمع الاسلامى .

وفى مجتمع كهذا تصيح لأفلام هليود ولحليقات الجريمة والجنس فى السينما والتلفزيون والإذاعة والمجلات المصورة أثارها البعيدة فى تكوين الأجيال الجديدة وفى الشاب والطفل والفئة العذراء على وجه الخصوص فإذا كانت المرأة عاملة تقضى وقتها كله فى العمل نهارا وفى النادى ايللا ، وكان الرجل لا يجد وقتا للبيت فإن الأجيال الجديدة لا تجد إجابة عن تساؤلها فى عهد المراهقة إلا من كتب رخيصة تباع على أسوار الحدائق أو عن طريق صحبة الشر وبذلك تفقد الأسرة مهمتها تماما .

وهكذا يتجه المجتمع الاسلامى إلى أن يكون صورة من الاحتواء الغربى على نمط مجتمع الاستهلاك الذى يقوم على تطلع يومى إلى المودات والأزياء والنماذج الجديدة والمتعددة سواء فى الملابس أو الأدوات أو الأفلام مما يدفع الانسان دفعا إلى الاستعباد لهذا التغيير الدائم ، فى سبيل بيع هذه البضائع ، ومن حولها دعاية خطيرة تملأ الصحف وواجهات التلفزيون ، ومن هنا فلا بد من وجود فلسفة تحول دون العقبات : عقبة الدين وعقبة الأخلاق وعقبة الضوابط ولا بد من هدم هذه العقبات (فلا اقتحم العقبة) ولما كانت هذه المعاملات تقوم على أساس الربا فلا بد من دعم الربا ولا بد من الانتقال

إلى مراحل الترف والرفاهية والإحلال ولابد من قيام مجتمع اللهو والفساد الذى هو أشبه بمخدر وهمى للذين لا يستطيعون أن يحصلوا على المتاع .

كذلك فإن محولة فرض أسلوب العيش الغربى قد زلزل مفهوما أصيلا من مفاهيم الاسلام وهو الارادة الفردية والمسئولية القائمة على الايمان بالحساب والجزاء الأخرى وذلك باستمراء نظرية مدرسة العلوم الاجتماعية التى قدمها دوركايم المفكر الغربى الليرالى الذى يقيم أسس فكره على المفاهيم الماركسية والنظرية المادية فهو يذكر فطرية الانسان وفطرية الدين وفطرية الأسرة ويرى أن القيم والعقائد الروحية والمعنوية التى قدمتها الأديان لا قيمة لها وأن الفرد لا قيمة له ولا معنى للتشبث بالحرية الفردية وإنما يرى أن القيم كلها للمجتمع الذى يخلق الأديان والعقائد ولذلك فهو يدعو إلى الاستمانة بالأخلاق ، ويرى أنها ليست من الثوابت وأنها متطورة لأنه لا يؤمن بأصلها الدينى الإلهى ، وهذا كله يستهدف تدمير الضوابط ودفع البشرية إلى التحرر من القيم والحدود التى جاءت بها الأديان فتندفع إلى المطامع والأهواء والفساد فهو يدعو إلى هجران كل أساس إلهى ، بل أخلاقى ميتا فيزيق وبذلك يقيم مع نظريات فرويد فى التحليل النفسى وسارتر فى الحرية الفردية فكرة جبرية العلوم الاجتماعية والحتمية التاريخية ، ولا ريب أن حتمية الإنسان من شأنها أن تنفى المسئولية والجزاء .

وهكذا يطرح الفكر الغربى الوافد فى آفاق المجتمع الإسلامى مفهوما خطيرا يعارض الأصالة والفطرة وهما رضى مفهوم الدين الخالص ، قوامه النظرة للمادية الخالصة إلى الإنسان ومحولة إخضاع الإنسان للقوالب العلمية التجريبية التى تخضع لها المادة أو ما تخضع له تجارب الحيوان ذلك أن الإنسان لا يمكن أن يخضع لمثل هذه المناهج ، والنظريات ، لأنه روح وجسد وعقل لذلك فإنه هناك منهج خاص مستقل لدارسته .

وتمضى هذه النظريات إلى إنكار وجود عاطفة دينية فطرية لدى الإنسان أو أن الإنسان مزود بحد أدنى من الغيرة الجنسية والبر بالوالدين ومحبة الأبناء وغير ذلك من العواطف وكل هذا يرمى إلى هدم العقيدة والأسرة والعلاقات الشرعية بين الرجل والمرأة .

ومن أخطر ما تقول هذه المذاهب الاجتماعية أن الأخلاق ليست قيمة ذاتية ولا هي ثابتة على وضع معين فانما تأخذ صورتها من المجتمع الذى توجد فيه ، وأن المجتمع هو الأصل فى كل الظواهر الاجتماعية وليس الإنسان ، ولا ريب أن طرح هذه المفاهيم واستمرار بثها عن طريق الصحافة والكتابة والإذاعة وتظيمها القصص والمسرحيات والأفلام السينمائية من أخطر المحاولات التى ترمى إلى جعلها مسلمات فى نظر الشباب الغضوفى نظر الذين لم يحصلوا بعد على ثقافة إسلامية كاملة أو أصيلة .

والهدف هو نزع القداسة عن الدين والأخلاق والتشكيك فى قيمها ولهذا أثره الواضح فى المجتمع ، ذلك الأثر الهدام للمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى وهو ما قدمته فلسفات دارون ونيتشة وماركس وسارتر وفرويد ودوركايم وأشارت بروتوكولات صهيون إلى صناعته وضرورة بثه فى آفاق الأميين وهى حملة على الدين والخلق ودعم لمفاهيم التلمودية فى هدم المجتمعات وإفسادها مصاغة فى أساليب براقة من النظريات وفى اطواء حوار فى للمسرحيات والقصص ، من شأنه أن يثير الشبهات حول حقائق الإسلام الأساسية وتعميرها ومنها فكرة الثبات التى تغلب هذه النظريات عليها ففكرة التطور الدائم . وكذلك هدم فكرة الإرادة الانسانية بتغلب مفهوم القهر الخارجى الذى يقهر الفرد على غير رغبة منه ، وكذلك التفسير المادى ، والاقتصادى والجنسى للإنسان والاستشهاد بعالم الحيوان فى دراسة الإنسان وكل هذا يستهدف المجتمع الإسلامى لتدميره وللقضاء على الأسرة ونظام الزواج

الاسلامى وعلاقات الرجل والمرأة وعلاقات الآباء والأبناء كذلك فإن هذه الحصلة المسمومة من الفكر الغربى الوافد تدمر الإنسان نفسه وتهدم كرامته بدعوتها إلى الانتخاب الطبيعى وإبادة الضعفاء وتعقيم الفقراء ، وقد عارض الاسلام ذلك كله فى نفس الوقت الذى وضع الانسان فى مكانه الحق ، تكريم الانسان المستخلف فى الأرض والنظر إليه من خلال طبيعته الأصلية الجامعة بين الروح والجسم بوصفه كيانا متكاملا وفى نفس الوقت معارضة استعلاء الانسان وتأليه وعبادته ، ومعارضة وصفه بأنه حيوان تحكمه غرائزه ووضع الانسان فى حجه الطبيعى وقدره الصحيح فقد الغى الاسلام الوساطة بين الله والانسان وفصل بين الألوهية والبشرية وأنكر سقوط التكاليف الشرعية والضوابط والحدود عن أى إنسان مهما بلغ قدره من الايمان .

ومخالفة مع مفاهيم الرأسمالية الليبرالية الغربية والماركسية الشيوعية الاشتراكية فإن الاسلام يعطى للانسان أهمية كبرى كفرد فى مجتمع ويقرر أن كل فرد فى المجتمع يستحق من الاحترام والطاعة بقدر ما يحمل من المسئولية ويتخلى به من صفات طيبة كالعقل والعلم والخلق ويؤكد الاسلام حاجة الانسان إلى التقدم المستمر ولذلك فانه يحجر طاقاته الخلاقة جميعا (فكرية وخلقية وعملية) دون أن يسمح لعائق الطبيعة أن يحول بينه وبين التقدم ويجعل تقدمه على أساس مواهبه وقدراته وحدها .

ويقرر الاسلام أن الانسان ثابت الجوهر متغير الصورة وأن الايمان بالله قوة دافعة تعطى الأمل وتحول دون اليأس وتبعث الثقة وتدعو إلى المعاودة فى حالة الاحقاق .

وقد أقام الاسلام حضارته ومجتمعه على أساس التكوين الفردى واعتبره أساس التقدم وقرر أن الرقابة لا تأتى من شخص على شخص ولا من هيئة على هيئة وإنما هى رقابة الانسان لربه .

وفي مجال تحقيق الرغبات الحسية فإن الاسلام يدعو إلى تحقيقها عن الطريق المشروع بالزواج وتحريم الزنا في الاسلام لا ينبعث عن كراهية المجلس بل عن احترام له وتزويجه من العبث وارتفاع المرأة عن أن تكون أداة يلعب بها الرجل ، والخطيئة في الاسلام ليست غولا يطارد الناس ولكنها التجربة التي يستطيع الانسان أن يرجع عنها ويتجه إلى الطريق الصحيح وقد فتح الله باب التوبة والمغفرة بحيث لا ينوء المسلم أبدا بالخطيئة .

وألغى الاسلام الفكرة القديمة التي كانت تقول بأن هناك صراعا بين الجسم والروح ، وأعلن أن الروح والجسم متكاملان . ولما كان الانسان مستخلفا في الأرض فهو مسئول ومحاسب وقد ربط الاسلام بين العلم والعمل وقرر أن العلم إنما يطلب من أجل العمل به ، وكشف عن أن الطبيعة البشرية قائمة بقدرتين معدتين : قدرة على التحصيل وقدره على الممارسة العملية وقد علم الاسلام الانسان أنه مبنى على المجاهدة والكدح والمكابدة والسعى وأن الحياة معبر إلى الآخرة ، في إطار المسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقي وأن الإلحاد طارئ على النفس البشرية وليس من طبيعتها ولا هو متأصل فيها وأن هناك مفاتيح عدة للخروج منه أهمها التفكير في خلق السموات والأرض هذا الكون الفسيح الدقيق التركيب في مواقفه وأمره بما ينشئ عن خالق عظيم يديره لحظة بعد لحظة ومن هنا تظهر حاجة الانسان إلى ربه وضرورة ارتباطه به ، ويتبين عجز الانسان عن مواجهة الحياة دون رشد الوحي والدين والتماس رضا الله تبارك وتعالى ودعائه وعفوه .

هذه المعاني كلها التي أحكم الاسلام غرسها في أعماق المسلم تبدو معرضة لخطر شديد إزاء أسلوب العيش الغربي والفلسفة القائمة وراءه ، وهي فلسفة مادية ولا ريب أن الأيدولوجيات الرأسمالية تحاول صهر المسلم في بوتقة غريبة عنه وكذلك تحاول الأيدولوجيات الماركسية بينما يريد الاسلام أن

تكون صناعة الانسان صناعة إسلامية قائمة على التوحيد والرحمة والعدل وإسلام الوجه لله .

ويفرض النظام الرأسمالى على المجتمع نوعا مغايرا من السلوك ، يقوم على أساس الاستمتاع بالمتع المادية والحرية المطلقة فى العلاقات بين الجلسين مما أدى إلى تدمير الأسرة واستعلاء الأثرياء وإسرافهم فى الترف وحقد المحرومين واندفاعهم إلى الانتقام من الأغنياء ، وانقسام المجتمع إلى شطرين فالنظام الأساسى يبدأ من أنانية الفرد تحت تأثير واقع المجتمع وينتهى إلى الصراع وضياح المجتمع ككل .

وفى النظام الماركسى يذهب المجتمع إلى سحق الفرد سحقا كاملا ، ويراه أشبه بترس فى آلة ، وفى النظام الماركسى المعبود هو المال أو الاقتصاد فالمال هو الخالق والمخلق والإنسان فى تفكيره وسلوكه تابع للمال ولا يخرج عن تأثيره ومنه تتغلب المنفعة المادية فى التعامل والترابط والتوجيه .

أما فى نظام الاسلام فإن المجتمع الإسلامى يقوم على التوحيد والوحدة والتكامل والتضامن ، حيث يعلى من شأن القيم المعنوية دون أن ينسى المعطيات المادية وحيث يحفظ للفرد ذاتيته فإنه يدفعه إلى العطاء الاجتماعى الوافر فينقله حينئذ من الفردية إلى الجماعية ومن الأنانية إلى الغيرية .

وقد كان من نتائج خضوع المجتمع الإسلامى لأسلوب العيش الغربى أن دخل مرحلة خطيرة من الضعف والتأزم فظهرت عوامل الازدراء بكمياتنا المعنوية الروحية والدينية وفقدان الثقة بالنفس والتقمص لشخصية الأجنبى وظهور الميوعة والتراخى والانتكالية وعدم القدرة على التضحية والنفاق والرياء وتعاطى الخور والقمار والزنا والمبالغة وتزوير الحقيقة وعدم تقدير قيمة الوقت

واحتقار العمل اليدوى وعدم تحمل المسؤولية والتعصب للون والجنس والاستخفاف بحياة الانسان والغش فى المعاملة وشهادة الزور .

هذا هو الخطر الذى يواجه المجتمع الاسلامى فى نهاية القرن الرابع عشر الهجرى ومطالع القرن الخامس عشر ، وهو خطر يخشى منه استمرار أزمة الأمة الاسلامية فى عدم قدرتها على التخلص من النفوذ الاجنبى ومن الغزو الاستعمارى الصهيونى الماركسى وهو أمر يتطلب مزيدا من اليقظة والوعى والعمل على التحرر منه وكسر قيوده .

ومن عجب أن مستشرقاً مثل لويس ماسليون قد دعا المسلمين والعرب إلى هذه المقاومة حين قال : من حق العرب أن يقاثلوا أمام هذه الدعاية المذلة التى تقترح عليهم التنازل عن شرفهم وتراثهم والاستسلام أمام القوة الغريبة ورءس الأموال المصرفية التى تطلب إليهم الانسجام فى طريق عملهم مع هذه الحضارة الكاذبة: حضارة الإنسان الآلى التى لم تعد تؤمن بنفسها أو بالذات الإلهية وتصبو إلى إخضاع العالم إلى نظامية ثقافية غريبة بلهاء ، إن هذا الانتاج الصناعى المغشوش سيدسقط سريعا وشيكاً ، فليصمد العرب فالعالم فى حاجة إليهم .

نعم : نحن محتاجون فى مواجهة هذه التحديات إلى المحافظة على الشخصية الاسلامية وصياغتها على النحو الذى رسمه الاسلام وقدمه القرآن والسنة الصحيحة وقوامه تحرير هذه الشخصية من التبعية والتقليد واحتفاظها بالتميز الواضح والقدرة على مقاومة فرض العادات والتقاليد الوافدة من الثقافات والبيئات المختلفة وقد أعلن الاسلام حرباً لا هوادة فيها على تقليد المسلمين لغيرهم وأعلن أن من تشبه بقوم فهو منهم ، وفى هذا التهديد ما فيه ، ولقد قامت تعاليم الاسلام منذ أول يوم على أشد الحرص على تمييز الشخصية الاسلامية عن غيرها بما كان مدعاة لهشة أعدائه حتى راح اليهود يقولون فى عصر النبى

(ما يريد محمد أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه) .

وقد كان من الضروري أن يبقى هذا التحفظ ، ولقد حرص المسلمون على بقاءه ولكنه سقط اليوم نتيجة نصح الضالين المضلين الذين تصدروا ثقافة هذه الأمة وحملوا الواء التغريب والتبعية تحت اسم التجديد والتحضر ولذلك فإن دعوتنا هي التحذير من التشبيه بداء الأمم والتبعية ، حتى يظل المسلمون كالشامة البيضاء في المجتمع العالمي الذأخر بفنون الأديان والعادات ولا ريب أنه من أشد أنواع التضليل الدعوى بقبول الحضارة خيرها وشرها حلوها ومرها ، وعلى المسلمين أن يقبلوا الأساليب والأطر والنماذج التطبيقية الحديثة والأدوات ولكن عليهم أن يملأوها بفكرهم ومفاهيمهم .

ولقد كان حقاً علينا إذا كنا نسير على خطا محمد ونلتزم بتعاليم الإسلام أن نحافظ على ذلك التميز العميق وبين المسلمين وبين الناس ، إيماناً بأننا أمة شاهدة على العالمين حفيظه على أمانة الله ورسالته بين البشر لسنا تابعين ولسنا مبتدعين فالثقافة العامة لا يجوز أن تتبع من منابع غير إسلامية فالأزياء والزيارات وأمور العلاقات بين الرجال والسماء وبين الآباء والأبناء وكل ما يتصل بحقوق الجوار لا بد من تجرى وجهة الإسلام الصحيحة فيها والتمسك بها في قوة والاعتصام بالعزائم منها لا بالرخص ورفض كل مجلوب ومستورد في هذا المجال ومن ليس تابعاً من الدين الحق ومن الثقايلد الأصيلة ولا بد أن يكون لنا واقع متميز قائم على منهج أصيل له مصدر رباني والتزام أخلاقي . ولا بد من بناء الأجيال الجديدة على أساس التربية الإسلامية الجامعة بين الروح والأخلاق والجسم من أجل دعم الأسرة وتأكيد ذاتية الشخصية الإسلامية وبناء روح الأخلاق والعقيدة وسلامة السلوك الاجتماعي ولا بد أن تكون لنا مفاهيم أصيلة في شأن المرأة والأسرة والعادات والملابس والزينة ، تقوم على أساس الاستمسك بعفاف المرأة والبركة والفصل بين مجتمعات الرجال ومجتمعات النساء ، ولا بد أن يبدأ الإصلاح من نقطة الواقع الحى الموجود بتغيير الأعراف الدخيلة الوافدة والتماس الأعراف الفطرية الأصيلة التى تستمد وجودها من الوازع الداخلى

القوى العازل بين الحق والباطل والخير والشر والفضيلة والرذيلة ومسئولية الكتاب وأصحاب الأقلام كبيرة فليس على الكاتب أن يعكس قيم عصره فيكون مبرراً للواقع الفاسد والمضطرب وإنما عليه أن يحمر عصره من القيم الضالة وأن يهدي قومه بأمانة القلم التي استأمنه الله تبارك وتعالى عليها إلى الحق والخير وأن يعارض كل ما يدعو إلى إفساد الفطرة بالخر أو الربا والزنا ولا بد أن يكون هناك إيمان لا يتزلزل بأنه إذا خير المسلمون بين معطيات الحضارة وبين فقدان الذاتية أن يفضلوا سلامة ذاتيتهم وتأكيدها ونقاها ولو ضحوا في سبيل ذلك بمعطيات الحضارة وأنه لمن أشد أنواع الخطر للبشرية أن تعود بعد أربعة عشر قرناً من ضياء الإسلام الذي جاء للعالمين جميعاً أن تعود بالإنسان إلى الرق وأن يعود البشر إلى الوثنية وأن يعود الفكر إلى الجبر وأن تنحرف الفطرة إلى إعلاء الجنس والطعام ونفقد الأصالة المستمدة من العبودية لله تبارك وتعالى وتحكيم كتابه والوقوف عند حدوده وضوابطه التي رسمتها للمجتمعات، وحتى لا تندحر البشرية بعودتها إلى فساد النظرة بقبواها الجبرية الاقتصادية أو الحتمية التاريخية وكلاهما باطل يستهدف إلغاء الإرادة الإنسانية وتحميل المجتمعات فساد الأفراد بينما يقرر الاجتماع الإسلامي الأصل مسؤولية الفرد الذي يأتي يوم القيامة دون أحد من أهله أو جاره أو يقبل منه غير عمله الفردي الخاص في مواجهة أمواج المجتمع ولا ريب في فساد نظرية تغليب فكرة الجبر على حرية الإرادة أو سقوط الفرائض والحدود عن أحد من البشر، فإن ذلك ضلال كاذب يحاول أن يلغى المسؤولية الفردية والجزاء الأخرى .

وبالجملة فإن أخطر ما يطرح أسلوب العيش العربي في المجتمع الإسلامي: فكرة (عبادة الحياة) ولقد استشرى هذا الخطر بين المسلمين نتيجة للفهم الماركسية والمادية التي تدوولت في العصر الأخير، وهي من أخطر

محاولات الخروج عن الاطار الاسلامى ، فالمسلمون لا يؤمنون بانكساب الناس على الحياة وليس من مفهومهم هذا الاندفاع إلى هذه الغاية ، بل هم يقبلون على الحياة ويتداولونها دون أن تحرم عليهم زينتها على أن تكون العملية كلها فى إطار الايمان باقامة المجتمع الربانى وإعلاء شأن الغيرية والبذل .

ولا شك أنه لا عذر للمسلمين فى تبرير أوضاعهم المتردية بالقول بأن العصر أو التطور أو أى عامل من عوامل البيئة والزمن أو اقتراب المسافات كل هذا لا يكون مقبولا لأن يخضعوا لآثامه وفساده واضطرابه وليس على الإسلام أن يكون مبرراً لأوضاعهم ولو على سبيل الرخص الذى يحاوله بعض المترخصين الفتيابها ، ولا بد من أن يخضع المجتمع الإسلامى لحكم الله ولحدوده ، وعلى المسلمين أن يشككوا أنفسهم فى هذا الاطار وأن يتخلصوا من كثير من الأساليب والوسائل والرغبات المذلة التى تخرجهم عن حدود الله ، ذلك أن قوانين الإسلام تفسح للسلم عشرات الميادين فى الاستمتاع فى مجال الطعام والعلاقات بين الرجل والمرأة دون الخروج عن حدوده وضوابطه التى هى أساس من أسس حماية الشخصية الفردية وحماية المجتمع نفسه من الانهيار والحيلولة دون عدوان أحد على حرية الآخر ، وليس فى استطاعة المسلمين التطلع إلى التمكن فى الأرض والسيادة وإقامة كيانهم إلا بالتماس منهمجهم الأصل ، ولا ريب أن أعظم روابط المجتمع ، هو التماثل العقى والروحي والغاية واحدة ولن يتحقق ذلك بالتماس عقيدة الإسلام كاملة وتطبيق شريعته تطبيقاً حاسماً فإن ذلك وحده هو الذى يقيم الرابطة الوجدانية والعقلية والاجتماعية التى يشترك فيها أفراد الأمة جميعاً والتى تستقيم بها وجودهم ، هذا التماثل فى الأخلاق والعقائد والعادات هو هدف من أهداف الغزو الفكرى الاجتماعى الغربى لأنه يحقق الاستجابة الواحدة للأحداث والمواقف وهذه الرابطة هى أشد وثوقاً من رابطة اللغة أو رابطة العصبية والجنس

ولا ريب أن هذا التماثل هو تماثل في العموميات وفي الآفاق الأكبر الجامع للطلبات العامة وليس في الفروع والتفصيلات .

ولا بد من أجل تحقيق ذلك .

(أولا) أن نكشف عن الفوارق بين الأخلاق التي هي من أصل الدين الحق وبين التقاليد والعادات التي هي من صنع المجتمعات فإذا ما عزلنا عن جوهر ديننا تلك البدع والخرافات التي تضاف إليه كذباً وزوراً فانتنا نكون قد قطعنا الطريق على التزييف والاضافة والحذف .

(ثانيا) أن نحقق التمييز الواضح بين شخصية الرجل وشخصية المرأة والحيلولة دون إمتزاجهما أو تحول إحدهما إلى الأخرى وعلى المرأة المسلمة أن تعرف ما هي الصفات الأصيلة التي تمثل رجولة الرجل والتي يكون بها الرجل أهلاً للاقتران بها وكسب ثقتها وليس من بين هذه الأشياء أن يكون مائعاً أو رخواً أو من أهل الانحلال .

الباب الثاني ط

التحديات في وجه المرأة

القضيل الأول

التحديات في وجه المرأة المسلمة

لا ريب كان من أخطر التحديات في وجه المرأة المسلمة تلك الدعوى التي استعملت باسم تحرير المرأة في أوائل هذا القرن الميلادي والتي حمل لوائها كثيرون غرر بهم وظنوا أنهم يستهدفون حقاً ضائعا بينما كانت حركة تحرير المرأة كلها من أولها لآخرها جزءا من مخطط الاحتواء الغربي والغزو الثقافي والاجتماعي الذي يستهدف إخراج المرأة من رسالتها وقيمها ودفعها إلى أمواج المحيط العاتية ، ذلك أن الاسلام في الحقيقة هو الذي وضع ركائز تحرير المرأة الأصلية ، أما هذه المحاولة فقد استهدفت الأسرة والأخلاق والقيم والعرض الاسلامي بإحداث ثغرات وخلق عقلية جديدة تفكر في إطار المفهوم الغربي العارى من أساليب العفة والقيم والحصانة وقد تصاعدت هذه الموجة حتى خلقت مفاهيم خاطئة أشبه بالمسلمات أدارت رأس المرأة وأفسدت العلاقات الطبيعية والفطرية بين الرجل والمرأة والزواج والزوجة والآباء والأبناء في عشرات المواضع فعدت هذه الحياة الاجتماعية متحللة ومضطربة وبعيدة كل البعد عن المفهوم الاسلامي الأصيل والحقيقة أن الجماعة لم يكونوا مخلصين لهذه الأمة أو صادقين في التماس هدف أصيل .

وقد كان لهذا الانحراف الذي تم تحت أضواء الحضارة وبريق الحرية وصيحات التكريم الباطل للمرأة أثره البعيد في تلك النتائج الخطيرة التي يواجهها المجتمع الاسلامي من آثار بعيدة المدى في شأن الزواج الزائف والطلاق والجريمة والاختلاط وآثاره الخطيرة ، وقد جرى هذا كله في الوقت الذي فرض النفوذ الأجنبي على بلاد المسلمين قوانين جنائية واجتماعية تبيح

الزنا والفساد وتحمي أساليبه وما تبع ذلك من فساد في الرى والزينة وتخلل كان من شأنه وقوع تلك الأحداث العاتية والجرائم الخطيرة .

وقد جاءت تحديات المجتمعات المفتوحة ، التي نقلت مئات من المهاجرين الأثرياء إلى بلاد أخرى للزواج والتعامل التجارى وإقامة العلاقات الاجتماعية عاملا خطيرا فى مزيد من إفساد العلاقات وبروز ظاهرة البغاء الخفى ، وكذلك كانت حرية خروج الفتيات للعمل فى بلدان أخرى من العوامل الخطيرة لتعميق هذه الظاهرة الخطيرة فحين تشير الصحف (الأخبار ١١/١٠/١٩٧٢) إلى أن ٤٢٧٥ عقد زواج مصريات بأجانب تم فى تسعة شهور عن طريق الزواج بالتوكيل وقد تبين أن أغلب هذه الزيجات فاسدة ومصيرها الفشل والطلاق والسبب هو أن العروس تقبل الزواج من شخص لم تره أو تقدم لها معلومات خلاف الواقع وبعد أن تقبل الزواج وتسافر إلى زوجها هناك تصدمها الحقيقة .

ومهما تجرى الحيلة فى مثل هذه الأمور فإن العلاج لا يشمل الظاهرة من أساسها الاجتماعى كذلك فإنه لا يحول دون الوقوع فى أيدي العصابات التي تتجر فى الرقيق الأبيض على النحو الذى صورته الصحف (٧٢ / ٥ / ٣) فى الاستعانة بسيدات لاستدراج الفاجرات من دور السينما إلى المقابر والاعتداء عليهن ، كذلك فإنه فى عامين اثنين كما يقول الأهرام ١٢/٨/١٩٧٢ تضاعف نسبة عقود الزواج التي تعدل للمرأة عصمتها فى يدها من ٢ فى المائة من مجموع الزيجات إلى ٥ فى المائة دفعة واحدة فاهى الأسباب التي جعلت أكثر من ١١ ألف زوجة تصر على الحصول على ورقة بجرار عقد الزواج تعطىها حق تطليق نفسها ، ويقول الباحثون الاجتماعيون أن إنهاء الرابطة الزوجية عن طريق المرأة لا يظهر إلا عندما تخلو الزيجة من شرط الكفاءة بين الطرفين كأن تكون المرأة من وسط اجتماعى أعلى من وسط زوجها أو تكون من الناحية

الاقتصادية أكثر مالا من زوجها أو من ناحية التعليم ، كذلك تشير الظاهرة أن الزوجات اللاتي يحتفظن بحق العصمة في أيديهن أصبحن من كل الفئات والطبقات وظاهرة رابعة تلك إغراء الفتيات على السفر للعمل في الخارج ثم تجرى محاولة الضغط والإرهاب لإرغامهن على الخطأ (الأهرام ١٢/٧/١٩٧٢) كل هذا وظواهر أخرى أشد سوءاً تكشف بوضوح ذلك خروج المجتمع الواضح عن الأسلوب الأصيل والطريق الصحيح إلى أساليب وافدة ، والتحرك من خلال المطاعم والأهواء ، والرغبة في الحصول على أكبر قدر من المال أو المتعة على غير النهج الصحيح الذي سنه الإسلام للجماعة أن تأخذ به ومصدر هذا كله هو خروج المرأة عن مكانها الحقيقي وحجمها الطبيعي ، مما يوجه إليها اللطمات ويصدمها في كل حين ولو أنها استمسكت بكرامة الاسلام في التعامل لما تعرضت لهذا الهوان .

(٢) وفي المجال الأوسع وهو مجال عمل المرأة ، تواجه المرأة عشرات التحديات والأزمات والمشاكل فقد عرضها إلى أن تفسد بيتها وتفسد زيتها وتفسد أسلوب تعاملها مع الرجل وعرضها لمخاطر كثيرة ولو أن المرأة لم تأخذ بتلك المسلمات الكاذبة التي ظلت محاولات الذسائيون دعاة تحرير المرأة تبثها سنوات وسنوات حتى صدقها الكثيرون ثم كشفت التجربة عن الارتطام بالحقائق فما يزال عمل المرأة في حقيقة على حساب الأميرة والطفولة والبيت ، ذلك أن هذا الوقت الذي تقضيه المرأة في المكتب أو المصنع أو المتجر لا يحقق من الأثر كفاء ما يفقده البيت والأسرة والطفل ، فضلا عن أن ما تحصل عليه من دخل مادي لا ينفق في خدمة الأسرة ، بل في سبيل تغطية مطالب يتعلق باللبس والمواصلات ، ولا يوازى في مجموعه تلك الخسارة التي يفقدها الأبناء في حضانة الممرضات والحاضنات فقد أهم ما تعطى الأم ولا يعطى غيرها بديلا منه العاطفة وابن الأم والوجدان ولقد خرجت المرأة المسلمة إلى العمل

في العقود الأخيرة بعقد أن تفهم حقيقة مهمتها في الحياة الاجتماعية أو طبيعة تركيبها البيولوجي أو دورها في الأمة ذلك أن هذا كله لم تتعلمه مع الأسف لأن مناهج التعليم لا تقدم للفتاة ما يدلها على الطريق الصحيح أو يهديها إلى الحق .

وهكذا نجد أن المحاولة التي قام بها النسائيون دعاة تحرير المرأة في العصر الحديث لم تكن في الحقيقة إلا ضده هذه الأمة وضد قيامها وضد رصيدها المعنوي والمادي جميعها وعلى حساب الأسرة المسلمة وحساب المرأة نفسها فإنها محاولة مسمومة مضللة ، حاولت أن تقدم مجموعة خاطئة من المسلمات ثم مضت تركز هذه المفاهيم خلال تلك السنوات الطويلة من قنوات الصحافة والاذاعة والسينما والمسرح والقصة ، وهي في مجموعها ترمى إلى خلق عقليه مضللة للمرأة تصورها بصورة القادرة على الحياة في المجتمع ، خارج نطاق الزوجية والأسرة والأمومة من حيث هي قادرة ماديا على أن تجد موردها الذي تعيش به وأن هذا القدر يعطيها الحق في أن تختار الطريق الذي ترضاه في الحياة الاجتماعية وبما تخرج به عن الضوابط والحدود والاعراف التي رسمها الدين .

كذلك فإن اختبار موانع الحمل والاجهاض كانت عاملا هاما في فتح الطريق أمامها إلى كل الرغبات والأهواء التي ساقها إليها الرجل ، ومن ثم أصبحت الفتاة قبل الزواج أو بعده قادرة على ممارسة كل رغباتها في ظل موانع طبية مقررة تعيد دم البكارة الأحمر إلى مكانه أو تحول دون وقوع الحمل .

إن الخطأ كله جاء من الذين يتآمرون على المرأة عن طريق تملكها بالقول بأنها مساوية للرجل وبأنها مستقلة عن الرجل وأنها تصلح لأعمال الرجل والقول بأنها مهمة البيت هي مهمة الخادmates وكيف يسخرون ويهونون من مفهوم الأسرة والأمومة والزوجية ويسخرون منه .

إن محاولة تحرير المرأة كانت سببا ضد النهر ومعارضة للفطرة ، أنه بمثابة انحراف للمرأة عن أداء رسالتها ومعوق لعملها الطبيعي الذي يتفق مع طبيعتها وتكوينها وهو خيانة كبرى : على الحياة الزوجية والبيت والأطفال والأسرة وقد تعرض المرأة للتمرد على رسالتها ومسئوليتها .

أن المفاهيم التي طرحتها حركة تحرير المرأة بالإضافة إلى ما قدمته مفاهيم الاستشراق والتبشير والتغريب كانت جميعها في حاجة إلى مراجعة وكانت مختلفة مع الفطرة ومقررات العلم الحديث فقد أثبتت هذه المباحث والتحقيقات أشياء كثيرة جديرة بالنظر :

أولا : ليس الذكر كالأنثى :

أن المرأة تختلف عن الرجل في كل شيء : في الصورة والسمة والأعضاء الخارجية إلى ذرات الجسم والجواهر البروتينية لخلاياه النسجية ومع بلوغها سن الشباب يعروها الحيض الذي تتأثر به أفعال كل أعضائها وجوارحها وتدل مشاهدات أساطين علمي الأحياء والتشريح على أن المرأة تقرأ عليها في مدة حيضها . تقل في جسمها قوة الحرارة فتتخفف حرارتها ، ويبطئ النبض وينقص ضغط الدم وتقل عدد خلاياه وتصاب الغدد الصماء واللوزتان والغدد اللمفاوية بالتغير ويختل الهضم وتضعف قوة التنفس ويتبدل الحس وتنكاسل الأعضاء وتختلف الفطنة وقوة تركيز الفكر .

وأشد على المرأة من مدة الحيض زمان الحمل ، حيث لا تستطيع المرأة خلال الحمل أن تتحمل مشقة الجهد البدني أو العقلي ما تتحمله في عامة الأحوال مما يختل به نظام جسمها كله ويستغرق بضعة أسابيع وبذلك تبقى المرأة مريضة أو شبه مريضة مدة سنة كاملة بعد قرار الحمل وتعود قوة عملها نصف في علة الأحوال .

ويرجع إختلاف المرأة عن الرجل إلى عوامل ثلاثة :

(أولاً) إن خصائص الأنوثة ومواهبها كقانون الزوجية والجمرة
وذكاة العاطفة ليست أسباباً للتكسب .

(ثانياً) أن حظها من العقل الذي لم تبلغ به مبلغ الرجل ، فصل على قدر
ما تفهم به نفسها وواجبها ومكان وظائفها في الحياة .

(ثالثاً) ما يطرأ على قواها البدنية والنفسية والفكرية من ضعف بسبب
عوارض الحيض والحمل والولادة .

ويتسع هذا المجال لقول واسع مضطرد فما من عمل زاولته المرأة من غير
وظائفها الأصلية في البيت وخارجة إلا وكان الرجل متفوقاً عليه فيه ،
وخاصة وفي أمرين من أهم الأمور التي تتميز بهما المرأة : إعداد الطعام
وصناعة التطريز .

هذا الاختلاف بين الرجل والمرأة ، وهذه التفرقة بين الرجولة والأنوثة
التي قررها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً نجد بعض الباحثين في علوم
البيولوجيا يلتفت إليها الآن فيقول الدكتور الكسي كاريل : أن الاختلافات
بين المرأة والرجل ليست في الشكل الخاص للأعضاء التناسلية وفي وجود
الرحم والحمل بل هي ذات طبيعة أكثر أهمية من ذلك ، إن الاختلافات بينهما
تتأصل من تكوين الأنسجة ذاتها ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيميائية محددة
يفرزها المبيض وقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة
إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليماً واحداً وأن يمتجا سلطات
واحدة ومسؤوليات متشابهة والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن
الرجل فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها والأمر صحيح
بالنسبة لأعضائها ولجهازها العصبي أيضاً ، والنساء وحدهن من الثدييات هن
اللاتي يصلن إلى نموهن الكامل بعد حمل أو اثنين ، كما أن النساء اللاتي لم يحملن

لمن متزنات توازنا كاملا كالوالدات فالأمومة لازمة لا اكتمال نمو المرأة ولقد دعا الإسلام منذ ظهوره إلى تأكيد رجولة الرجل وأنوثة المرأة وخطر الخلط بينهما ويقول الكس كاريل يجب أن يحدد الانسان مرة أخرى فيكون كل فرد إما ذكراً أو إماً أنثى فلا يتقمص مطلقاً صفات الجنس الآخر العقلية وميوله الجلسي وطموحه الذاتى .

قال القرآن منذ أربعة عشر قرناً (وليس الذكر كالأنثى) وقرر أن المرأة لها تكوين دقيق خاص (أو من ينشئ في الحلية وهو في الخصام غير مبين) .

ويقرر كاريل أن دور المرأة في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجل فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المحددة .

ومع هذا الاختلاف في « وظيفة المرأة » فإنه لا ينقصها شيئاً في نظر الاسلام من مساوئها في الحقوق العامة باستثناء قيادتها للدولة ، والنصوص الشرعية لا تحول دون تمتعها بكافة الحقوق ولكن في إطار الضوابط الإسلامية التي تحول أن تصبح المرأة سلعاً في الأسواق التجارية والسياسة والتي تحول دون أن تصبح مجالات العمل معارض للازياء وتجارة لأشياء نلست آثارها في أكثر البلاد .

يقول الأستاذ سالم بهنساوى : كانت قصة الحقوق العامة للمرأة وسيلة صهيونية لإفساد أوروبا ومنها امتدت العدوى إلى العرب ، لقد بدأ التخطيط لها بعد الحروب الصليبية وظهرت بوادرها منذ ضعف الخلافة العثمانية . المعركة بدأت إبان احتلال الغرب للبلاد العربية بمن سوا أنفسهم (أنصار المرأة) يجاهرون بأنهم يريدون التحرر من القيم الدينية وأنهم يسعون لتقليد الغرب في كل شيء .

ما زال التخطيط. ساريا في هدوء لاستخدام المرأة كسلاح فعال في هدم القيم الدينية وصنع الأمة بالصيغة اللادينية تمهيدا للسيطرة الصهيونية وغيرهامن الأهداف الاستعمارية وقد وجد الغرب أدواته في تعميق الاتجاهات اليسارية والمادية لتخدم تهيئة البيئة الإسلامية في شكلها العلاني اللاديني ، وقد اتفقت الخطط للتعاون ضد روح الإسلام والتصارع من أجل تأكيد نفوذهم في بلاد الإسلام .

قال موروبرجر في محاضرة في جامعة برنستون : أن نمو وضع النساء ومشاركتهن في الشؤون العامة هو أخطر قوى التغيير لا في الأسرة العربية وحدها بل في المجتمع العربي على العموم فإنه سمح للقوى التي حملت سلاحها الآن أن تبرز امكانياتها فامن شك أن مطامع النساء وحقوقهن سوف تحول المجتمع العربي تحويلا عميقا وبصورة أبدية .

وهكذا تنكشف أهداف النفوذ الغربي (استعماري ماركسي صهيوني) من خلال المؤامرة على المرأة المسلمة .

ثانيا : الأمومة

إن حضانة الأم لطفاتها عمل ضخم بعيد المدى في تكوين الطفل لا يمكن أن يسديه أى عمل آخر تقوم به المرأة أو يعوضه أى بديل آخر كالحاضنات أو الخادمات .

يقول الدكتور الكس كاريل في كتابه (الانسان ذلك المجهول) :

لقد ارتكب المجتمع العصري غلطة عظيمة باستبداله تدريب المرأة بالدراسة استبدالا تاما ولهذا ترك الأمهات أطفالهن لدور الحضانة حتى ينصرفن لأعمالهن أو مطامعن الاجتماعية أو مبادئهن أو هوايتهن الأدبية أو الفنية

أو ازدياد دور السنين وهكذا يضيح من أوقاتهن في الكسل . إنهم مسئولون عن إختفاء وحدة الأسرة واجتماعاتها التي يتصل فيها الطفل بالكبار فيتعلم منهم أموراً كثيرة لأن الطفل يشكل نشاطه الفسيولوجي والعقلي والعاطفي طبقاً للتراب الموجودة في محيطه إذ أنه لا يتعلم إلا قليلاً من الأطفال الذين في مثل سنه .

ويقول الدكتور دين دنيس عالم النفس الأمريكي : أن ذكاء الطفل ينمو وقدرته على الكلام تقوى إذا نشأ بين أبويه ولم يترك للمحاضن أو رياضة الأطفال أو المريات الأجانب) .

وكل هذا يكشف عن أهمية بقاء الأم في البيت لأداء واجبها نحو أسرتها وأن الأمومة هي مهمة المرأة الأساسية في نظر الاسلام : رسالتها بالنسبة لزوجها وبيتها وطفلها وأن هذه المهمة الدقيقة الخطيرة تتطلب تفرغ المرأة تفرغاً تاماً لها .

وقد سجل القرآن الكريم هذه المهمة في وضوح :

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) .

(وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقن الصلاة) .

ولقد كان خليقاً بالمرأة في المجتمع الاسلامي العميق الجذور برسالة الاسلام أن محاولة إخراج المرأة عن رسالة الأمومة إنما يهدف لتدمير كرامتها وضرب الأسرة والطفولة في أعز تعاملها وإن تمرد اليوم على أداء رسالتها التي فطرها الله عليها بالعمل بما لا يتناسب مع طبيعتها وتكوينها تحت أضواء خادعة وزخارف كاذبة تتمثل في السهرات الضاحكة واقتحام مجتمعات الرجال وما يتعرض له من إغراء وغواية وخداع وغش يحطم عفافها ويقضى على كرامتها ، هذا

المرء قد تبين من الأحداث أنه عرض نفسه لبلية وأنه لا يؤدى إلى الاستقرار
والثبوت أو الطمأنينة النفسية التي تتطلب إليها المرأة لأن مسائل الزينة والفانصة
والملايس الكاشفة وهذا الزكام من الزخارف المطروحة أمامها والتي تأكل
موارد البيت أو موارد الخاصة ما هو إلا انحراف حقيق عن الفطرة وأنه
طريق إلى أسلوب بعيد عن الكرامة التي يقدمها الاسلام للمرأة وأنه باب إلى
التحلل الخلقي الجامع العنيف الذي يمتحن به الشباب المراهق، تعينه على ذلك
القصة المكشوفة والصور العارية وما تقدم الصحف والكتب من نماذج
الفساد تحت إسم الحضارة والتمدن وخاصة بعد أن حطمت المرأة آخر
القيود والضوابط. بأن سارت عارية الصدر والساقين والزراعين تحت أسماء
المنى جب والميكرو جب .

وقد نعى كثيرون على المجتمع الاسلامى هذا الخضوع للموجة الغربية
الضالة: فنقول السيدة الغربية مريم جميلة التي أسلمت أنها تنعى على دعاة تحرير
المرأة المسلمين فهمم الخاطي. لمعنى التحرر على أنه الإباحية المطلقة للنساء في
الاختلاط بالرجال حيث شئن ولينا ذهن بدون قيد أو شرط وفي اختيار
الآزياء غير المحتشمة وفي توظيفهن خارج البيوت وفي الأسواق والمسارح
ودور السينما وفي مساهمتهم في الحياة العامة مهما تمزقت أواصر الأسرة
وانتهكت حرمت العفة والاباء .

وتقول هذا في ضوء التجربة المثيرة التي مرت وتمر بها المجتمعات الأوربية
والأمريكية والغربية المتحررة وتدعو باخلاص بعد اعتناقها الاسلام ومعرفتها
أحكامه وآدابه إلى أن يعرف النساء المسلمات نعمة الله عليهن بهذا الدين الذي
جاءت أحكامه وآدابه صائنة لحرمتهم راعية لكرامتهم محافظة على عفافهن
وحياتهن من الانتهاك وضياح الأسرة .

فكل ما يقال عن أن المرأة لها مهمة أخرى غير الأمومة مطلوب

وهم غاشون لها والمجتمع كله وتلك حقيقة كشفت عنها تجارب الباحثين لتؤكد صدق القرآن الكريم وإعجازه . وقد أكد البحث الاجتماعي الذي قامت به سهام محمود العراقي في رسالة ماجستير في جامعة طنطا أن عمل المرأة أدى إلى انخفاض المستوى الأخلاقي للابناء وأنه لا توجد مطلقاً علاقة بين المستوى الاقتصادي والمستوى الأخلاقي للأسرة وأشارت إلى أن المناهج المطبقة حالياً لتدريس التربية الخلقية والدينية قاصرة عن تحقيق الهدف الذي يتيح للشباب أو الفتاة اكتساب السلوك الحميد وربط الدين بالحياة وخلصت إلى أن خروج المرأة إلى ميدان العمل أدى إلى انخفاض المستوى الأخلاقي للأولاد .

ثالثاً : ثبات طبيعة المرأة وقوامة الرجل :

ومن الحقائق التي أخفاها دعاة تدمير المرأة والأسرة عن الناس : حقيقة ثبات طبيعة المرأة ثباتاً ، تاماً خلال العصور وأن العصر الحديث لم يكن فيه من المتغيرات الاجتماعية والحضارية ما يحطم شيئاً من مهمة المرأة أو رسالتها أو طبيعة حياتها ويذهب هؤلاء المبطلون ، إلى أن حرية المرأة وعملها في العصر الحديث من شأنه إن يحطم قوامه الرجل كما يذهب إلى ذلك الدكتور زكي نجيب محمود في كتابه تجديد الفكر العربي ويقول الأستاذ محمد فايد هيكل في هذا الشأن : هل التطور العصري الذي يتحدث عنه زكي نجيب محمود هل شمل خصائص بنية المرأة وتكوينها الجسدي والنفسي وهما مرتبطان ومهما يكن من تأثير الثقافة والتطور الحضاري فلا يرى أن هذا التأثير يمتد إلى طبيعة تكوين المرأة وقوانين إفراز غددها فتعود هي والرجل سواء لاحقاً له في القوامة عليها .

ألا ما أبدع إشارة القرآن الكريم إلى آية من آيات الخلق الكبرى وهي التفريق بين الذكر والأنثى حيث بين أن من أعظم دلائل قدرة الله أنه خلق الزوجين : الذكر والأنثى .

وهل مجرد مشاركة المرأة في العمل مع الرجل مؤدية إلى إلغاء الفروق الطبيعية أو الجنسية وما يترتب عليها من اختلافات الحقوق والواجبات الاجتماعية . هذه الفروق أبدية ، أما القوانين والنظم فاعراض متغيرة . أن الدراسات النفسية الحديثة لتثبت بالتجربة اختلاف الأنماط والاستجابات السلوكية في الذكور عنها في الإناث إزاء المشكلات . فنذ المراحل الأولى للنمو يتميز الفتيات بانهن أميل إلى التقليد والتبعية ، أما الصبيان فيصطنعون سمة الاستقلال التي تناسب معهم ، وهذه التجارب إنما أجريت على فتيات وصبيان من أبناء الحضارة الغربية فكيف يقال أن الأوان قد آن لتلغى قوامة الرجل على المرأة إن لم يكن هذا مجرد انفعال لا صلة له بالعلم ولا بالتجريب .

ها هو العلم لا يزال يبحث عن الفوارق بين الجنسين ولكن البديهة الإنسانية قد انتهت إلى وجه الصواب منذ أعماق التاريخ .

الفصل الثاني

عطاء الاسلام وعطاء الحضارة

إن المفاهيم التي قدمها كتاب التغريب (سلامه موسى ، طه حسين) كانت كلها زائفة ومخالفة للحقيقة والفطرة والعلم والاسلام ، كانت إتهاماً بالمرأة والأسرة والمجتمع كله في سبيل إخراج المرأة من رسالتها وأمانتها وشارك في هذا الشعراء (نزار قباني . . .) الذين خطوا من كرامتها عندما جردوها من ملابسها وألقوها عارية على السرير تحت الضوء وجعلوها أداة متعة . حتى وصفه أحدهم بأنه تعبير الرجولة وتشويه للجمال ودليل عقدة نفسية . لقد كان التصوير للمرأة مشوها وضالاً ومثيراً للغرائز ودعوة إلى شر كثير وذلك في إطار ما يسمى بأدب الفراش وكانت قصص القصاصيين هي ثلاثة الانثى (إحسان عبد القدوس ، نجيب محفوظ . أمين يوسف غراب . . الخ)

لقد حاولت هذه الكتابات (نثر وشعر وقصة) أن تحرف الواقع وأن تزيف الفطرة وأن تغالط في الحقائق الأصلية الثابتة .

ذلك أن أكرم ما أعطى الإسلام المرأة أن يكون اتصالها بالرجل كريماً في إطار علاقة زوجية ، أى في علاقة قد شهد أمرها باعلان الزواج ، وقد حرم العلاقة السرية التي تمتن فيها المرأة فأباح تعدد الزوجات حتى يحمل فيها الرجل مسؤوليته نحو زوجته وولده مسؤولية علنية كاملة ، ومن ذلك الابقاء على كرامة الإسلام للمرأة كإنسان إن طلب إلى الرجل الزوج أن يقدم لها مهراً وهو منحة وهدية كي يعبر عن طلبه إياها ورغبته في الزواج بها .

كذلك فالاسلام يعمل على الابقاء على أنوثة المرأة وحنانها وعاطفتها

كما يبق على رجولة الرجل وإرادته ويحول دون أن تتحول المرأة إلى رجل أو يتحول الرجل إلى امرأة وحرم الإسلام على المرأة أن تكشف عن بدنها وأن تخلو بغيرها وأن تخلط سواها وحب إليها الصلاة في نيتها واعتبر النظرة سهماً من سهام إبليس وأنكر عليها وأن تحمل قوساً تشبهاً في ذلك بالرجل .

وحين أعطاهما نصف نصيب الذكر من الميراث فقد قابله إعفاؤها من أعباء النفقة دون استثناء نفقتها الشخصية ونفقة أولادها حتى في رثائها وفقر الأب وشهادة الاثنين بدلاً من شاهد رجل واحد منظور فيها إلى عاطفة المرأة التي هي جو أنوثتها .

ومن كرامة الإسلام للمرأة أن جعل الفاسق ليس كفاً للزواج من المرأة العفيفة .

ولست الحياة للمرأة في تقدير الإسلام العوبة من الألاعيب بل مسئولية وتبعة الأم الروم والزوج الصالحة وإن الحياء الصادق والعفة الصحيحة والخضوع الجليل الذي هو مظهر الحب لا يتحقق إلا بتصون المرأة فلا تخلط الرجال إلا في ضرورة ماسة وحرصها على دينها كأنما كان والصبر أقوى الصبر على مكاره البيت . فالمرأة للبيت ثم إنشاء البيت للأسرة ثم إنشاء الأسرة للمجتمع .

ومن هنا ينكشف فساد رأى علم الاجتماع الغربى الذى يرى أن الدين والزواج ليس من الفطرة وإنما هي أشياء تلبثت من الجماعة نفسها وأنها دائمة التطور والتغير والشكل وأن كل مجتمع يصنع دينه ونظم زواجه ونظم أسرته ورأى الغرب كله منقوص ، لأنه تشكل على نحو متماوج فإن مؤتمراً باكون علم ١٩٢٠ كان يبحث عن المرأة : هى إنسان أم غير إنسان فى هذا الوقت

كان القرآن ينزل بحرية المرأة الحقيقية وكرامتها الأصلية وكان صلى الله عليه وسلم يعلن إنما النساء شقائق الرجال وأن الجنة تحت أقدام الأمهات فأوروبا لم تكن تعرف مكانة المرأة ولم تكن شرائعها ترى في المرأة ألا أنها ملعونة . وقد أشار معجم الفلسفة التونسي أن القرآن يختلف عن التوراة في أنه لا يجعل ضعف المرأة عقاباً إلهياً كما ورد في سفر التكوين (٣ : ١٦) ومن الخلط أن ينسب إلى شارع عظيم كمحمد ، مثل تلك المعاملة المنكرة للنساء والحقيقة هي أن القرآن يقول : (فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) .

ويقول سجيريد هونسكة : أن تغييرات احترام المرأة دخلت اللغات الأوروبية على يد العرب وفي مايو ١٠٦٥ صدر في فرنسا يجعل الولاية على مال المرأة المتزوجة للمرأة نفسها وقد كانت مشروطة بولاية الرجل الزوج ، وقد عدت فرنسا هذا انتصاراً كبيراً للمرأة لأنها حررت من التبعية في مالها الخاص من زوجها ، وكان ذلك منذ أن قام الاسلام يجعل للرجل الزوج ولاية على زوجية في إرثها العقدي وفي مذهبها الديني وفي رأيها السياسي أو في مالها الخاص . كان ذلك منذ أربعة عشر قرناً .

يقول أحد الفيورين : أما اليوم فإن المرأة المسلمة فقد أغرقت في التبعية ، تطالب بالقيود في الطلاق وربما تطالب كمثل أعلى لها أن تكون العلاقة الزوجية على نمط العلاقة في الكنيسة الكاثوليكية لا طلاق ولا انفصال ، وفتح باب المرافعة والمصادقة ، وإنجاب الأبناء من صلات غير شرعية وكثرة الزنا و انتهاك الأعراض في المجتمع التي يبدو أن ليس لها من سبب إلا تقييد الطلاق أو عدم شرعية الزواج ، أن هناك صلات غير شرعية كثيرة وعديدة بجانب صلة الرجل بزوجه ولكنها صلات خفية مستترة والاسلام لا يرى أن تكون هناك علاقة جنسية خفية لأن نتائجها خطيرة

وفي مقدمتها المرض السرى الذى يأخذ بحياة الاثنين ، أو ولد غير شرعى يخرج ذليلا لا قيمة له فى حياة المجتمع .

ولتعرف المرأة المسلمة أن الغرب نفسه الذى يقدم لنا هذه الفتنة ، يعانى منها وأن هناك من العلماء الاجتماعيين من يعارضها فى مقال الكاتب الأمريكى نورمان ييلز عن المرأة فى مجلة هاريز الأمريكية (الأهرام ١٩٧١/٤/٤) هاجم بقسوة حركة تحرير المرأة فى أمريكا وأعلن أن المرأة يجب أن تظل سجيئة جلسها أى أن تقتصر مهمتها على الأعمال المنزلية وشراء الطعام من السوق ورعاية أطفالها وطالب بإلغاء بيع أقراص منع الحمل وقال أن المسئولية الأولى للمرأة هى أن تبقى أطول وقت ممكن على الأرض لكى تعثر على أفضل شريك لحياتها وتنجب أطفالا لا يحسنون المجلس البشرى وعارض الذين يصرون على إثبات عدم الفوارق بين الجنسين .

وحين ينظر الأوروبيون بروح التقدير والتمنى لنصوص الاسلام ، نعرض نحن عنها وتطلع إلى القيود والأغلال التى تعيش فيها الغربيون ، فقول اندريه مرفيه فى كتابه الاسلام ونفسية المسلمين ما يلى :

يتحرى محمد الأسباب التى تجعل المرأة من حزبه ولا يتكلم عنها إلا بكل لطف ويجهد فى أن يحسن أحوالها ، وكان النساء والأولاد قبله لا يرثون وعندما نهض محمد أعطى المرأة حق الارث وأوجب كل ما كان حسنا فى حقها ومن أراد التحقق من عناية محمد بالمرأة فليقرأ خطبة الوداع التى أوصى فيها بالنساء وقال دريسمان : إن الخطأ مجد المرأة حريتها هو السبب فى نهوض العرب وقيام مدنيهم ولهذا لما عاد اتباعه فسلبوا المرأة هذه الحرية انحطوا واضمحلت مدنيهم .

ويقول واصف غالى : كثير من رجال الأديان الأخرى وكان أحدم (سان بونا فتور) يقول لتلاميذه إذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا انكم ترون

كائننا بشريا بل ولا كائننا وحشيا إنما الذى ترون هو الشيطان بذاته والذى تسمعون هو صفير الثعبان . أما محمد فهو يعد بحق أكبر أنصار المرأة العاملين إن لم يكن أولهم فقد كان بهن رحيمًا وعلين حليماً وكان لين الجانب كثير العطف عليهن عظيم الاحترام والتكريم لهن ولم يكن ذلك خاصاً بزوجاته بل ذلك كان شأنه مع جميع النساء على السواء .

وقد صور هذا المعنى (سيد أمير على) فقال ما هو مركز المرأة الشرعى حسب الدين حتى فى أول البلاد النصرانية تقدماً ، إن المرأة المتزوجة لم تكن لها حقوق مستقلة عن زوجها إلى زمن قريب حتى فى إنجلترا ، على أن الرسول الذى ظهر فى بلاد كانت توءد فيها البنت حية وفى عصر لم يعرف فى أى بلد آخر أى نظام وأى طائفة تخول المرأة أى حق سواء كانت فتاة عذراء أو زوجة أو أم ، هذا الذى أكسب المرأة حقوقاً لم يعترف بها إلا بضغط شديد لدى الأمم المتقدمة فى القرن التاسع عشر وكفى محمد غفراً حتى لو لم يفعل أكثر من ذلك فى سبيل الإنسانية بيد أن المرأة المسلمة يعتبرها المتفقهون فى الدين أحسن حالاً من المرأة الأوربية .

ولقد لبث ملوك النصارى وزعمائهم يرغبون المرأة على التزوج بمن يشاؤون من رعاياهم عدة قرون بعد ظهور الإسلام بينما كان الإسلام قد أعطى المرأة البالغ الحق فى أن تتزوج بإرادتها وإن لا يتدخل الزوج فى ثروتها كما أنه لا يسوغ له أن يسيء معاملتها بالطرق الوحشية فهى متى كانت بالغة الرشd تنصرف فى جميع شئونها وثروتها كما تشاء بدون تدخل زوجها أو أبيها .

وهكذا نعرف ماذا أعطى الاسلام للمرأة وماذا أعطتها الحضارة ، أعطاهما الاسلام الكرامة والعفة والشخصية المستقلة واليوم تحاول الحضارة الغربية إخراجها من كل كرامة وفضل ، إنه التقليد والرغبة في التبعية ودخول حجر الضب لأن أوروبا دخلته ، وقد تبين اليوم للغرب فساد النظم الاجتماعية التي حاول بها أن يساوى بين الرجل والمرأة في كل مجال ، وخطأ الفلسفات الوجودية التي تحرص الرجل والمرأة للانطلاق في ميدان الغرائز والشهوات دون قيود أو حدود ، وما نراه من موجات انحلالية تشيع في المجتمعات الغربية من طوائف الهيزو والخنافس .

لقد كان أعظم ما حرص عليه الاسلام : تأكيد رجولة الرجل وأنوثته الانثى ، والاحتفاظ برجولة الرجل لحرم عليه لبس الذهب والحرير وللاحتفاظ بأنوثته الانثى حرم عليها أن تخوض المجتمعات العامة ولا تعرض جسدها على الأنظار لقد حرص الإسلام على إبقاء المرأة على انوثتها وعاطفتها ، كما حرص على أن يبقى الرجل على رجولته وإرادته ، فلا تتحول المرأة إلى رجل أو يتحول الرجل إلى امرأة ، كما حرص بمساواتها بالرجل في القيم الإنسانية المشتركة وفيما يتعمل بموقفهما امام القانون وفي الحقوق العامة فلا تحرم حقها إلا إذا ثبت أنه يلحق ضرراً بالمجتمع غير أن الاسلام فرق بين الرجل والمرأة في الأعباء الاقتصادية والميراث والقوامة على الأسرة والشهادة وحق الطلاق وقد جاء خطاب التكليف موجهاً إلى الرجل والمرأة معاً ، وقد شاركت المرأة في الحياة الاسلامية وأخذت مكانها وأدت دورها وعملت حيث حالت الظروف دون عمل الرجل .

وقد أحاطها الإسلام بالكرامة والعفاف ، سترها في الملابس ، وتحريمها للخلوة بالأجنبي وغيض للطرف ، وعكوف في المنزل حتى في الصلاة ، وبعد عن الإذراء بالقول والاشارة وكل مظاهر الزينة وبخاصة عند الخروج كل ذلك

يراد به أن تسلم المرأة من فتنة المجتمع ويسلم المجتمع من فتنة المرأة ومن ذلك جعل النظرة سهما من سهام إبليس ، واشترط لها شروطا شديدة في البعد عن مظاهر الزينة ومن ستر الجسم ومن إحاطة الثياب بها فلا تصف ولا تشف وهكذا جعل الإسلام صيانة المرأة هي المحور الذي تدور حوله أكثر الأحكام صيانة المرأة من جور العرف والمواصفات وتعلبانها في المستقبل ، وحفظ مقامها الاجتماعي من الابتذال المحاط بالمجاملة والرياء على نحو ما نرى في المجتمعات الغربية فهناك إحترام ظاهر ثم ابتذال غير رحيم .

أين هذا كله مما تريده اليهودية التلمودية التي أخرجت المرأة لتحقيق هدفها كله باعتبارها عقدة هذا الهدف في إقامة (امبراطورية الربا) معارضة في ذلك مفاهيم الأديان : أخرجتها إلى الرقص والمسرح والسينما ثم عملت إلى إزالة الحاجز العازل والحد الفاصل بين الحرة والأمة ، وبين سيدة البيت وبين الراقصة .

واقامت نظام الأزياء والزينة وبدلت فيه وغيرت من أجل السيطرة على المرأة وإذلالها واستعبادها ، وتعريتها وتغطيتها . تغطية الصدور وكشف النحور وتعرية السيقان وتغطية الظهور ، وبذلك يتم سيطرتها على المرأة مما يؤدي إلى هدم الأسرة وتحطيم العلاقة بين الرجل والمرأة ، والقضاء على الأجيال الجديدة (من ناحيتين . من ناحية عجز المرأة عن تربية أبنائها ومن ناحية رفض التوجيه لها) وبذلك أدخلت سموم الفساد إلى مختلف مفاهيم المرأة وإلى عقليتها وإلى فكرها وقلبها ، وإثارة مشاعر العواطف والأهواء تحت إسم الحب والغرام في القصة والأغنية وهذا هو الخطر الحقيقي الذي يواجه المجتمعات الإسلامية اليوم ، بعد أن توالى بث السموم والأفكار الخاطئة لسنوات وسنوات عن طريق الصحافة والإذاعة والسينما والمسرح حتى باتت محاولة إخراجها منها أمراً عسيراً . لقد استهدف النفوذ الأجنبي خلق عقلية « زائفة » المرأة تصورها بصورة القادرة على الحياة في المجتمع بغير سلطة الأب أو الأسرة أو الزوج

من حيث هي قادرة ماديا على أن تجد موردها الذي تعيش منه، ومن هنا فإن هذا القدر يعطيها الحق في أن تختار الطريق الذي ترضاه في الحياة الاجتماعية كذلك فإن اختيار موانع الحمل والإجهاض كفيلة بأن تفتح لها الطريق أمام كل الرغبات ومن ثم أصبحت الفتاة قبل الزواج أو بعده قادرة على ممارسة كل رغباتها في ظل مناعة طبيعية مقررة تعيد دم البكارة الأحمر إلى مكانه أو تحول دون وقوع الحمل وفي هذا الاطلاق ما فيه من آثار وتنتج من شأنها أن تصرف الرجل عن الزواج أو تجعله يتردد في تكوين الأسرة .

وكل المحاولة تهدف إلى تدمير كرامة المرأة وعفافها وهي مؤامرة على حساب الأسرة والبيت والأجيال القادمة ، لقد كانت النظريات التي قدمها ماركس وفرويد ودور كايم وليني بريل من العوامل العامة في تشكيل هذه المفاهيم :

إن كثيرا مما تنشره القصص والصحف هو من مؤامرات الصهيونية التلويديّة ويديره الجبابرة العتاة ، وليس صحيحا إلا ما تقبله الفطرة ويصدق مع العلم والدين وواقع الحياة ، وكل هذه المحاولة لإخراج المرأة من طوابعها وفطرتها ومهمتها هو من عمليات الهدم الشديد الخطر ويجب أن تعود المرأة إلى مكانها الطبيعي وحجمها الحقيقي .

فإذا قيل لنا أن المرأة في أمريكا قد أنفقت على صباغة الشعر ما يقرب من ٣٠٠ مليون دولار يضاف إلى ذلك ما ينفق لدى عشرات الآلاف من مصففي الشعر وفي شراء مستحضرات الشعر الأخرى ، قلنا أن المرأة في حاجة إلى قارعة تكشف الحقائق أمام عينيها اللتين لا ترى ومن الخطأ أن تساق المرأة المسلية والمجتمع المسلم مغمض العينين وراء هذا المغف ونحن نقرأ الآن ما يكتبه المنصفون من كتاب الغرب حين يقولون أن واقع المرأة الغربية واقع مقلق ، مرتاب ، لأنه يتحرك بعنف ضد التيار وضد الفطرة وسلامة

القصد ، وهو إحصاء مدمر قد فرض خطره على الأسره الغربية وعلى الأمومة والطفولة جميعا ، أليس في هذا عذير لنا عن التقليد وردع عن التبعية .

عابت الكاتبة الأمريكية (مارجريت ماركوس) فهم دعاة تحرير المرأة في المجتمعات العربية والإسلامية الخاطيء لمعنى التحرر ، على أنه الإباحية المطلقة للنساء في الاختلاط بالرجال في الوظائف والأعمال والأسواق دون قيد ولا شرط في ارتدائهن الأزياء غير المحتشمة وفي انصرافهن عن مسؤولياتهن في تربية الأولاد ورعاية الزوج اللتين هما أساس تكوين الأسرة السعيدة .

وقد سجلت كتابات عدد من النساء الأوريات التي اسلمن :

(استان ، رانيس ، انى بيزانت ، ايفلين كوبلاد) .

وكتبن عن الإسلام ومكانة المرأة المسلمة حيث تتمتع في ظل الإسلام بكرامه شخصية وحقوق إنسانية لم تتحقق للنساء في أوروبا وأمريكا حتى الآن .

الفصل الثالث

تحديات الأسرة المسلمة

تستهدف مؤامرة الغزو الثقافي الاجتماعي : إسقاط الأسرة وهما بالقول بأن القيمة كلها للمجتمع الذي يخلق الأديان والعقائد والآداب والقيم الروحية ، وهو قول باطل فإن المجتمع التام لا يبنى إلا من خلال وحدات الأسرة التي تقوم على أساس سليم .

ومن أجل إسقاط الأسرة تطرح في طريقة أشواك كثيرة : منها القوامة وتحديد النسل وتعدد الزوجات .

(أولاً) القوامة أساس مكين في الأسرة إذ لا بد لكل تجمع من إشراف ورئاسة ومسئولية ودرجة القوامة التي أعطاها الإسلام للرجل هي ركن أساسي في البناء يقتضيه نظام الجماعة بل أن الأبوة لها مكائتها الأصلية . مكانة الربان في السفينة وعنه تصدر التوجيهات ويأتم بها الجميع بما في ذلك الأم ، وقد عرفت المجتمعات الغربية ذلك التمزق الخطير حين دخلت الأم ميدان العمل وأخذت توجه الأسرة فأصبح في الأسرة رأيين ووجهتين مما أحدث آثاراً بعيدة المدى في نفسيات الأبناء والبنات حيث أخذت تذهب توجيهات الأب في ناحية وتوجيهات الأم في ناحية أخرى بينما يقرر الإسلام وحدة الجهة الأساسية التي لها حق القوامة على المرأة والأبناء جميعاً وهي الأب الذي يستمد مسؤوليته وتوجيهاته من مفاهيم الإسلام لا من أهوائه الخاصة بقصد المحافظة على الأسرة الإسلامية وقيامها في دائرة أحكام الإسلام وقوانينه والحيلولة دون انحرافها عن الطريق المستقيم أو سقوطها في مجال الانحلال والتقليد .

(٢)

ولا تزال الأسرة هي أصلح نظام لبناء الأجيال تضمن للمجتمع نموه واستمراره عن طريق إنجاب الأطفال كما إنها تواصل مهمتها نحو هؤلاء الأعضاء الجدد فتتولى تغذيتهم في مرحلة طفولتهم المبكرة وتلشثهم خلال الطفولة المتأخرة لتقدمهم إلى المجتمع ليختلوا أما كنهم فيه (فالأسرة هي التي تكون الطفل وتصوغه وتحدد ميوله وتسد حاجاته وهي بذلك تعمل أولاً على تكامل شخصيته والأسرة وحدة اقتصادية متضامنة يقوم فيها الأب بإعالة زوجته وأبنائه وتقوم الأم بأعمال المنزل .

كذلك فالأسرة هي المكان الطبيعي لنشأة العقائد الدينية واستمرارها ، وتعتبر الأسرة المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الطفل لغته القومية وهي المسئولة عن التنشئة والتوجيه والأسرة بالنسبة للطفل مدرسته الأولى التي يتلقى فيها مبادئ التربية الاجتماعية والسلوك وآداب المحافظة على الحقوق .

وينظم (الزواج) العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة ويضعها في إطارها الشرعي السليم وبذلك يقضى على العلاقات الممنوعة والمحرمة ، والعلاقات الزوجية في الإسلام ليست علاقة فردية أو بيولوجية أو جنسية وإنما هي علاقة ضخمة واسعة متعددة الجوانب أساسها خلق واجتماعي والزواج هو الإطار لهذه العلاقة ووضعها في صورتها الصحيحة .

وينظم الإسلام هذه العلاقة على أساس حقوق وواجبات بالنسبة للرجل والمرأة والأبناء ويشترط في هذه الرابطة لكي تكون زواجا صحيحا أن تتم تبعا لمواصفات صحيحة وضع الإسلام صورتها الأرقى والأكمل بالنسبة لكل ما عرفته البشرية من قبل من نظم ومواصفات .

ففي الإسلام يقوم على أساس علانية الزواج وأداء المهر من الرجل ، كما حدد الإسلام عدد الزوجات وبذلك نقل البشرية إلى صورة أرقى مما كانت عليه وشجب كل الصور والأساليب التي سبقتها من شيوعة مطلقة ، ومن اتصال جنسى بغير قيد ولا شرط ومن تعدد مطلق ، ومن أساليب في الطلاق تحتد بها المرأة سنوات طويلة . ولا يقر الإسلام اتصال الرجل بالمرأة إلا إذ سم في الحدود التي رسمها الإسلام وتوافرت فيها جميع الشروط .

ومن هنا يتجلى مدى خطورة رسالة الأسرة وأهميتها لبناء المجتمع كله .

ففي الأسرة تتشكل الاجيال على القدوة المثلى القدوة الخلقية التي يقدمها الآباء والامهات لاولادهم ، وتبدو أهمية الام في تكوين الطفولة الاولى حيث تتطلب تربية الاجيال عاطفة أمومية معتدلة حكيمة ، ليست مفرطة ولا قاصرة ، وإن الرضاب الشهى ، الممزوج بالحنان أساس في حماية الاطفال في مستقبل حياتهم من الانحراف والجريمة والتمزق النفسى الذى نجده اليوم عند أغلب الاجيال التي لم ترضعها الام ولم تحطها بحنان كاف .

فالابوان في الحث هما اللذان يغرسان اللبنة الاولى في التربية الدينية في نفوس النشء ويضعان الحجر الاساسى في بناء الاخلاق .

(ثانيا) أما تحديد النسل فتلك مؤامرة خطيرة : المرأة ضحية لها وكذلك المجتمع كله ، فانه يهدف إلى إضعاف الوجود الاسلامى وتحطيم النمو البشرى الاسلامى الذى يتعاضد اليوم ، حرصا على موقعهم وسيطرته على موارد البشرية في نفس الوقت الذى يتضاعف فيه هجرة اليهود وغيرهم بينما توجه سيهم تلك الدعوة إلى المسلمين وحدهم .

ولقد رجح المكرة تحييد النسل وتنظيمه قوى معادية للمسلمين والعرب

يهدفون بها إلى الكيد لهم وتعطيل وظيفة النسل وهدم لهذه القوة البشرية
النامية التي تستطيع أن تبني وتجاهد وتواجه قوى النفوذ الأجنبي التي تستهدف
السيطرة .

وتحديد النسل على هذا النحو هو نوع من القتل أو الوأد الخفي ولا يجوز
الإقدام عليه ولا يحل لمسلم أو مسلمة اجترأوه .

(ثالثاً) أما تعدد الزوجات فقد شرعه الله تبارك وتعالى لمصلحة راجحة
قد تكون هي مصلحة الزوجة نفسها أو مصلحة الزوج أو مصلحة الأبناء أو
مصلحة الأمة ، والواقع أن تعدد الزوجات تشريع طوارئ فإن هذا التعدد
ليس بواجب ولا مندوب ولكنه مباح مشروط بالعدل بين الزوجات وعدم
الخوف من الحيف فإن خاف ألا يعدل منع التعدد .

ولقد عجز الغاء التعدد بالقانون وفشل ووجد التعدد الخفي ، ذلك لأنه
كان محاولة ضد طبيعة الانسان وطبيعة العلاقات الزوجية والاسلام لم يدع إلى
التعدد وإنما نظمه على أنه رهن بالحياة الاجتماعية وظروف البيئة فقد كان
التعدد لأكثر من عشر نسوة فحده إلى أربع وكان التعدد نزوة ولا حقوق
للمرأة أو الأولاد فيه فرفعه إلى المستوى اللائق بالانسان وأوجب على طرفيه
عدة التزامات ومن الطبيعي أن يلجأ المجتمع إلى التعدد لأسباب منها ما يكون
إلى الزوجة كعجز أو نشوز أو استعلاء ، منها ما يكون سببه حفظ التوازن
والعدل الاجتماعي للزيادة المطردة في عدد النساء .

لقد أباح الله تبارك وتعالى التعدد ، ثم اشترط فيه العدل ولكنه حكم
بأنه غير مستطاع .

ونحن نسأل أي الوضعين خير للمرأة والمجتمع وإيهما أحيد بكرامة

المرأة وألبق بانسانيتها تحريم تعدد الزوجات أو اباحة السفاح لكل صورة وتأييد ظاهرة الحلال.

(رابعاً) أما الطلاق فهو أبغض الحلال إلى الله . شرع لحكمة عالية تتعد العشرة الزوجية أو المصرة الحاصلة لأحد الزوجين فهو تيسير للعسر (وأن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) مع ضمان الحقوق المترتبة على الفراق .

(٣)

إن دعامة الأسرة هي المرأة : وسلامة دعم الأسرة تقوم على فهم مهمة المرأة الحقيقية ووظيفتها الأساسية : إن وظيفة المرأة الأساسية هي العناية بالأسرة وإنشاء الجيل الصالح ، ولها أن تلي من الأعمال ما يناسبها ويحفظ كرامتها كالتعليم والتربية والتطبيب وخصوصاً للنساء والتمريض والتجارة والعقود وكل ما يليق بها . ولكن ليس لها أن تلي من الأعمال ما لا يناسب خلقها كالولايات العامة من رئاسة الدولة والوزارة والقيادة للجيش والادارة العامة لما يعرض لها من موانع تحول بينها وبين اتقان عملها وقد يسبق الاحتلال بنظام الدولة . والهدف كله هو المحافظة على سعادة الأسرة واستقرارها والبعد عن كل انحلال وريبة وفي سبيل ذلك يجب الفصل بين الذكور والإناث في التعليم بكل مراحلهم ووضع برامج خاصة مناسبة لكل منهم كما يجب منع الاختلاط بين الرجال والنساء في النوادي والمجتمعات والمكاتب والادارات والمصانع وورش العمال ، كذلك فانه من أجل حماية الأسرة من كل ما يهددها من الاخطار يجب الضرب على أيدي المفسدين الذين يتاجرون بالجلس ويسترقون النساء باستغلالهن في دور اللهو والفساد أو دور التمثيل والاستعراض وعلى وسائل الاعلام من صحافة وإذاعة وتلفزة وأن تكف

وأن تكف عن إذاعة ونشر ما يسيء إلى الأئمة ويهدد الأخلاق بالانحلال
ويعرئ بالفساد وفي مجال المجتمع يتحتم منع ما يخل بالمرءة ويحرض على الفساد
من الملابس المغربة التي تشف أو تصف أو تقتصر على ستر ما يجب ستره كما
يجب منع التبرج الجاهلي ومراقبة الشواطئ والأماكن العامة والضرب على
أيدي كل العابثين والعابثات في النوادي والشوارع والمجتمعات في النوادي
والشوارع والمجتمعات .

(٤)

(عمل المرأة)

لا يقر الإسلام عمل المرأة إلا في حدود ضيقة ، هي الاعالة
لنفسها أو لأهلها ، ويشترط أنواعا معينة من العمل وهو وضع مختلف
تماما عن ظاهرة تشغيل النساء القائمة حاليا وأن يكون ذلك في وظائف معاونة
للزوج في نشاطه الزراعي أو الاشتغال بالتجارة ، أو ممارسة الحرف الحقيقية
التي تصلح للدار ، وتعليم الأطفال ، وتعليم البنات وخدمة النساء في شئونهن
الخاصة ولا يفرض الإسلام التكليف الشاق لكسب المعاش على المرأة ،
أو مشاركة الرجال في وجره من النشاط لا تتفق مع الفطرة ولا مع الاستعداد
الطبيعي للمرأة : ذلك أن الإسلام يقدر مدى احتمال المرأة لأنواع من الأعمال
اليسيرة لا الأعمال الشاقة التي لا تتفق مع طبيعتها الحيوية .

يقول الدكتور عيسى عبيد : أن التسوية المزعومة بين الجنسين في تشغيل
كل منهما من قبيل الاسراف في جرأة الإنسان على التنظيم الذي أراده الخالق
للاسره وما بين أفرادها من تفاوت للتخصص الوظيفي فاحتمال المرأة
للأعمال الشاقة محدود وأجهزتها الحيوية مهيأة لغير الشقاء في
سبيل العيش .

كذلك فانه في أثناء غياب المرأة عن دارها يحرم الأطفال من الرعاية

والتربية في السنوات الأولى وقبل الالتحاق برياضة الاطفال كما يحرم الناشئين من الفتيان والفتيات من توجيه الام التي تعود إلى دارها بمجدة من العمل والنتيجة هبوط مستوى الاجيال . ولا ريب أن الجيل الضائع مصدره انحراف النساء عن خصائصهن إلى خصائص الرجال مما أدى إلى تختلث الشبان وتشبههم بالفتيات في الخبز والمظهر وتساؤل هل يستحق صافى دخل المرأة هذه التضحيات ، وهل عاد تشغيل النساء بزيادة في الدخل القومي بما يوازي الاثر الذي أصاب الاسرة .

ولما كانت وظيفة المرأة الاساسية هي العناية بالاسرة وإنشاء الجيل الصالح فإن من حقها ألا تلبى من الاعمال إلا ما يناسبها ويحافظ على كرامتها .

(التعليم) حق ثابت للمرأة وهو شيء يختلف عن كسب المأاش وعن الاختلاط فإن المرأة تستطيع أن تحصل على التعليم دون أن تتعرض للاختلاط وتستطيع أن تطبق جميع حقوقها المدنية والشخصية دون أن تتعرض لاختطار الفساد ، والعلم الذي تتلقاه المرأة يجب أن يكون وسيلة لإعدادها لمهمتها الحقيقية ، ورسالتها الاساسية ، ويجب الفصل بين الذكور والإناث في التعليم بكل مراحله ، وأن تكون البرامج مناسبة لكل من الجنسين ، كذلك من الضروري أن تكون هناك مجتمعات الرجال ومجتمعات النساء وأن يحال بين النساء وبين النوادي العامة .

وقد يسخر من هذا دعاة التغريب لأن هذا الاختلاط هو الهدف الاكبر من دعوتهم ومن سمومهم ولكن حماية الاسرة من كل ما يهددها من أخطار يحتاج إلى هذه الضوابط مع الضرب على أيدي الذين يتاجرون بالجنس ويسترقون النساء باستغلالهن في دور اللهو والفساد أو دور التجميل والاستعراض .

(٥).

إن مكان الأب ، على رأس الأسرة وبوصفه قائداً حقيقياً وموجهاً لكل أفرادها ، إنما هو مسئولية ضخمة يجب على الآباء تقديرها والقيام عليها منذ اللحظة الأولى لبناء عش الزوجية ، وأن يكون البناء الاساسى للزوجة أولاً لتكون على الطريق الصحيح الذى رسمه الاسلام بما يؤدى إلى اقتدار الزوجين على بناء الجيل الجديد .

ومن هنا فإن مسئولية الأب فى بناء نفسه وإيمانه وثقافته وقدرته على التوجيه بالغة الخطورة والاهمية ، حتى يصبح على مستوى المسئولية وموضع تقدير أبنائه ، وأن يكون قدوة صحيحة أصيلة للنموذج الطيب الكريم . وحيث يكون الآباء على هذا القدر من الكفاية والتقدير المسئولية تكون طاعة الابناء لأبائهم فطاعة الابناء لأبائهم فى المعروف واجب أ كيدفى مفهوم الإسلام ونصيحة الآباء لأبنائهم حتم . وعلى الآباء أن يشرفوا على تربية ابنائهم تربية صحيحة بأنفسهم ، وأن يوجهوا ابناءهم بالصلاة لسبع ويضربوهم عليها لعشر وأن يفرقوا بينهم فى المضاجع ، وأن تقصير الآباء فى تربية ابنائهم معصية ، وعصيان الابناء لأبائهم بدوى الحرية عتوق وفساد وتورد على تعاليم الاسلام والاحتجاج بالحرية الشخصية انحراف عن قواعد الدين والاخلاق والسلوك الاسلامى وسوء فهم لمعنى الحرية .

وقد دعا الاسلام إلى تحصين الاطفال ضد الاخطار ومعاونتهم على اكتشاف انفسهم وتكوين إرادتهم على مواجهة صدمات الحياة ومن استغل فى المستقبل . وقد تبين ان نجاح عدد كبير من العظماء يرجع إلى هذا التكوين الاساسى فى محيط الأسرة وإلى اهمية القدوة ، ولا ريب ان الشاب الذى ينشأ فى وسط أسرته متحابة يكون اسعد حظاً من الذى ينشأ فى بيت تسوده روح الكراهية وان ما اكثرت القدرات التى ضاعت نتيجة لخلافات الوالدين

ولا شك ان الاب المؤمن الفاعل لدوره ومسئوليته هو اقدر بطبيعة الحال على معرفة ابنه واكتشاف ميوله ومواهبه ومن ثم يكون اكثر إدراكا وتفهما لنفسية ابنه فتراه يقف بجانبه ويشجعه ويرشده إلى الطريق السوى ومن شأن الاب المؤمن برسائله على النحو الذى قدمها الإسلام ان يعطى الابن الثقة والحب والمثل الاعلى .

ومن هنا كانت محاولة القوي المعادية للإسلام والتي تستهدف هدم المجتمع الاسلامى ، ضرب موقع « الاب » والحملة عليه عن طريق القصة المسرحية ووصفه بأنه عدو لابنائه ، وذلك فى إطار الدعوة المسمومة إلى أن يتحرر الابناء من توجيهات الآباء ، خصوصا فيما يتعلق بمستقبلهم .

ولاريب أن موقف الابناء يرجع إلى مدى قدرة الآباء على فهم أبنائهم ومعاملتهم على النحو الذى يحول بينهم وبين الانطواء أو الاندفاع على السواء . فإذا كان الآباء على غير مستوى المسئولية فإن ذلك من شأنه أن يجد الاستجابة إشاحة بالوجه أو انطواءً عن المجاهرة بالرأى .

وإن من أخطر التحديات العصرية : نتيجة عمل المرأة وخروجها هو تعدد مراكز السلطة داخل الأسرة بين والدين لكل منهما وجهته وهدفه ومفاهيمه مما يوقع الأولاد فى حيرة نفسية وتشنت عواطفهم وتبدد أمنهم النفسى الذى كانوا يستمدونه من (الاب) باعتباره المصدر الأساسى للسلطة وفى هذا الاطار نجد أهمية دور الاب فى الأسرة ونجد تلك المحاولة المسمومة خلال المسرحيات والقصص لاحتقاره وتوجيه السهام الساخرة إليه رغبة فى هدم هذا الركن الأساسى .

ولاريب أن الاب هو الذى يضع أسرته فى المجتمع ويحدد موقف أفرادها من النسيج الاجتماعى ، وفى مفهوم الإسلام يبق دور الاب سليما دون أن تهزه الرياح التى تقذفها السموم ، لأنه يعتمد على ثبات القيم والمعايير

السلوكية ويؤكددها بما لا يفقدها دورها في الضبط الاجتماعي وتوجيه الفكر والسلوك . ولا ريب أن تعدد الأجيال في داخل الأسرة لا يحدث صراعا شديداً بالذى زاه في المجتمعات الغربية إلا في الأسر التي فقدت عنصر الدين والأخلاق .

(٦)

إن هناك محاولة خطيرة تهدف إلى هدم الأسرة يتزعمها دوركايم وليفى بريل ومدرسة العلوم الاجتماعية - الفكر النفسى التحليلي الفرويدى وما يتصل بها من شرائخ الفكر المادى وتحمل هذه المؤامرة دعوة كريمة حاقدة لا تقبلها الفطرة وتعرض عليها طبيعة الروح الاسلامى والنفسية المسلمة ، تلك هى الدعوة إلى علاقة غير شرعية ، وإعلاء شأن الجنس والدعوة الصارخة إلى الحب الاباحى .

هذه المفاهيم مرفوضة تماماً في أفق المجتمع الاسلامى ، وإن كانت تجد قبولا في المجتمع الغربى الذى سقطت فيه الغيرة من أجل الزوجة كما سقط العطاء على الآباء العجائز والفقراء ، وسقطت فيه الأسرة كلية ، وبالرغم من أن الغرب قد واجه ضربات متعددة نتيجة هذا الانحراف والتجمل حتى قال يتان غداة احتلال الألمان فرنسا في الحرب العالمية : إن هجران حياة الأسرة والانطلاق وراء الشهوات وإنكار ولاده وتربية الأطفال ، هو الذى أدى إلى هذا المصير .

ولقد نقلت قوى النفوذ الأجنبى إلى أفق المجتمع الاسلامى . مخطط الهدم المدرس لكل مقومات الأمة وجعلها نهبا مباحا لكل طامع من المتربصين ، ويكفي أن نرى علما كبيرا مثل برتراند راسل يدعو قومه إلى التحرر من هذه الانحرافات التى تهدم الأسره فيقول : هناك شرط مهم يساعد على دعم الحياة الزوجية ذلك هو خلو الحياة الاجتماعية من النظم التى

تسمح بالمصادقة والمخاطبة بين المتزوجين من الرجال والنساء سواء في العمل أو في المناسبات والحفلات .

إن العلاقات العاطفية بين المتزوجين وغير المتزوجين من رجال ونساء خارج دائرة الحياة الزوجية هي سبب شقاء الأزواج وكثرة حوادث الطلاق وليس عسيرا أن نجمع أمثلة كثيرة عن البيوت التي انهارت بسبب اتصال الأزواج والزوجات بغير شركائهم في الحياة الزوجية .

كذلك فإن تلك الدعوى التي حملت لواءها سيمون دي بوفوار في كتابها الجنس الثاني بأن تناضل المرأة ضد الرجل وما اسماء البير كامو النغمه على الرجال واتهام الرجل بأنه يهت بمقدرات المرأة ويسعى إلى حماية وجوده بانتقاص حق المرأة . هذه الدعوى لا محل لها في المجتمع الاسلامي الذي قدم للمرأة حريتها متعاقبة تماما مع كرامتها عن طريق املوب خلقي رائع .

(٧)

لا بد أن تكون الأسرة هي البؤرة الوحيدة لتشكيل الحياة العاطفية الجنسية والاجتماعية للمتزوجين والحلل يأتي من خرق هذا الجدار ومن تشوش علاقات جنسية خارج الأسرة ومن ورأها وشيوع ذلك سواء بالنسبة إلى حياة ما قبل الزواج أم بالنسبة إلى فترة الحياة الزوجية هو إضعاف للأسرة وانفصال لتكوينها وخرق لجدرانها .

ولا بد من تقدير مكانة الرجل في الأسرة : زوجا وأبا وأهمية ثلاث عناصر هامة في مجال الأسرة : (التوجيه - الرقابة - الخبرة) .

وعلى المرأة أن تلتزم بثلاث أمور رئيسية : أن تطيع زوجها في القرائش وألا توطىء فراشه من بكرمه وأن تحفظ خبيته ، وأن الزوجية ليست تلبية الحاجات الجنسية وحدها بل أن تتحرك في إطار المفاهيم الروحية

والنفسية والاجتماعية والاقتصادية التي تشكلها علاقة الرجل والمرأة ،
حيث لا يستريح الإسلام لخروج المرأة للعمل في غير الأعمال الضرورية
التي تقتضيها حاجة المجتمع من ناحية أو حاجة امرأة بعينها من ناحية أخرى
وتتلخص حاجة المرأة إلى العمل في حالة عدم وجود عائل أو عدم كفاية
ما يدهولها ويعول عائلها . إيماناً بأن المرأة بتكوينها الجسدى والفكرى
والوحدانى ليست مهيأة إلا لوظيفة معين هي الأمومة ما عدا الضرورة الملحة
وليس خلاف بأن المحاضن لا تستطيع أن تؤدي مهمة الأم بحال ، فهي
لا تستطيع أن تقدم له العنصر الأساسى لتكوين شخصيته وهو الحب
والأمومة والرحمة والحنان فالطفل يحتاج إلى أم كاملة لا يشركه . فيها أحد

(٨)

لوم تكن الأسرة صادرة عن الفطرة الكامنة في الطبيعة البشرية
لاستطاعت المحاولات المتكررة على مر التاريخ أن يقضى عليها وقد نشأ من
النظم السياسية دلى مر السنين ما حاول اقضاء عليها من استقطاب ولأه
الفرد للدولة ولم يكن للأسرة دور في جمهورية أفلاطون وقد حاولت كثير
من الفلسفات والنظم السياسية أن تجتذب الولاء من نطاق الأسرة كالمزدكية
في القديم والفازية والشيوعية في التاريخ الحديث ، وقد أجمع علماء الاجتماع
على أن الأسرة هي قاعدة النظم الاجتماعية قاطبة والمعتقد أن المحاولة المعاصرة
لهدم الأسرة في الغرب هي محاولة مؤقتة لا يكبت أن تهزم كما انهزمت
محاولات أفلاطون وقد حققت حتى الآن نتائج خطيرة . وقد جاءت
المؤامرة نتيجة مفاهيم الفكر المادى الوثنى الذى تشكل في صورة الجماعة
التي تستهدف تذيب الفرد والأسرة تحت اسم الولاء للجماعة الكبرى .

فقد كان لعوامل كثيرة أثرها الخطير في تقويض الأسرة في الغرب منها
كثرة المواليد غير الشرعيين وزيوع الحياة خارج عش الزوجية وحجوب
(م - ٧ المجتمع الإسلامى المعاصر)

منع الحمل ، ونقول مجلة تايم (١٩٧٠) أن الأسرة الأمريكية غارقة في شتى ضروب المشاكل الاجتماعية بما أصبح يهدد مستقبل الأمة الأمريكية بأبهرها . وقد درس نحو أربعة آلاف متخصص في شئون الأسرة والطفولة أسباب التدهور السريع الذي تنهدر إليه الأسرة الأمريكية فقالوا : أن الأسرة لم تعد لها الآن وظيفة ولم تعد بالضرورة الوحدة الأساسية في المجتمع ولن تحل الأسرة سيفضى إلى تهلل المجتمع بأسره وأن هذا شبيه تماماً بما حدث فعلاً في أئينا في القرن الذي أعقب الحرب البولونية وفي روما في منتصف القرن الثاني بعد الميلاد ، وتساؤل (مرجيت ميد) هل تبقى الأسرة ويجب ريتشرد فارصون أنه لم يعد للأسرة وظيفة .

(٩)

تواجه الأسرة عاذيرو أخطاء كثيرة في المجتمعات الغربية عابنا أن تنبه لها :
أولا - محاولة تجاهل الأمرة كحلية اجتماعية في الكتلة الشرقية حتى لا تكون فاصلاً بين الفرد والدولة ، وحتى لا ينال التعلق بها والارتباط بمواطنها من تعلق الفرد بالجماعة الكبرى وولائه لها . ولا ريب أن هذا الاتجاه من شأنه أن يزلز كيان المجتمع نفسه ولا يحصى وجود الجماعات الكبرى ثانيا - خطأ نظرية التي تطاول أن تقول بأن وظيفة الأسرة قاصرة على مجرد إشباع الاحتياجات الجنسية والعاطفية للزوجين ، ذلك لأن مهمة الأسرة إنما تستهدف في الأساس إنشاء وتربية واحتضان النشء ورعايته وإيصال القيم والمثل التي تحفظ للمجتمع استمراره وتطوره .

ثالثا - محاولة جعل استقلال المرأة اقتصادياً من عوامل تغير علاقتها بالرجل والأسرة ، بما يصدها عن رعاية الطفل والبيت وتجاهلها وإلقاء بهم إلى الخدم ودور الحضنة ولا بد أن ذلك سيكون له آثاره العميقة في المماناة العائلية التي لا نتيجة نقص الحنان الفطري الذي لا تقدره إلا قلوب الإهبات .

رابعاً - خطر تعدد مراكز السلطة داخل الأسرة بين الوالدين إنما يوقع الأبناء في حيرة نفسية ويشلت عواطفهم ويهدد أمنهم النفسى الذى كانوا يستمدونه من (الأب) باعتباره المصدر الأساسى للسلطة .

خامساً - قصور الأمر الجديدة عن رعاية كبار السن من الآباء والاهل ، والفقراء والبهلاء .

سادساً - صراع الاجيال داخل الأسرة ، مما يؤدى الى اهتزاز القيم والمعايير السلوكية بما يفقدها دورها فى الضبط الاجتماعى وتوجيه الفكر والسلوك مما يعرض الأسرة للتفكك .

الفصل الرابع

اللباس والزينة

لم تجد الدعوات الهدامة التي عملت على إخراج المرأة من مهمتها ورسالتها ميداناً أكثر أهمية وتأثيراً من ميدان اللباس والزينة فعارضت بوسائلها وأدواتها ومؤسساتها الخطيرة أسلوب ستر العورة والثياب الواسعة والغطاء فدعت إلى العري والكشف وإبراز المفاتن معارضة في ذلك الغاية الحقيقية وهي الحماية والكرامة ، ولقد حملت دعوة العري فلسفة خبيثة تبرر بها هدفها وتستهدف التحلل الكامل من ضوابط المجتمعات وترى إلى تقليد المرأة للباس الرجل فتلبس مثل زيه وتتساوى في تقليده وتسريحة شعره فتقص شعرها إلى درجة أدنى منه ، وتلبس القصير وتكشف عن فخذيها وتعرض أجزاء من جسمها .

لقد بدأت هذه الدعوات في المجتمعات الغربية التي لم يكن لها من عقنمها مناهج حياة تنظم بها مجتمعاتها .

وقامت مؤسسات كبرى للآزلاء تستهدف ضرب كل القيم الأخلاقية وتدفع المرأة دفعاً إلى العري وإلى حرية الإعلان عن جسدها ، وانتقلت هذه الرياح المسمومة إلى المجتمع الإسلامي دون أن تجد من يذمها أو يكشف عن خطرها .

لقد دعا الإسلام إلى حسن اللبس والتجمل على أساس أن اللباس مهمة أساسية هي ستر العورة وحسن لقاء الناس ، وحض على الثوب الأبيض والثوب الواسع مع الاحتفاظ بالفصل بين أزواء الرجال وأزواء النساء

كراهية أن يختلط الجنسان أو يتشبه الرجال بالنساء ودعا الى الطهارة والتواضع فلا يجز المسلم ثوبه خيلاء ، ولا يرخى شعره ولا يمشى مشية التبختر وأن لا تشبه المرأة بالرجل في لباسها ومشيتها .

ان ملابس المرأة هي مسئولية الرجل وان ملابس الفتاة هي مسئولية الآباء . وعلى الآباء والأمهات حماية ابناءهم من اعاصير السوموم العاصفة التي تحتاج المجتمعات الاسلامية . ولكن كيف لهذا الجيل من الآباء أن يقدم الهدى ، كيف يقدم الهدى من ليس مهتديا ، ولا بد من رعاية الآباء لمن يلون أمرهم وحمايتهم بين ما يقرأون ويسمعون ليفاصلوا بين الخير والشر والحلال والحرام .

لا بد من توجيه مستنير لزام هذا الاعصار المدمر من اغراءات المودات والأزياء وتسريحات الشعر وأصناف العطور المستعارة والرموش والأظافر الصناعية ، ولتعلم أن لكل دين خلقا ، وأن خلق الاسلام الحياة وأنا يجب أن نقف وقفة امام الأغنية والكلمة الجارحة والمسميات الكاذبة للطروحة في المسرحيات والأفلام ونعلم ان هذا من الدعائم الأساسية لحماية الأسرة والجماعة كلها . وقد اصبح التبرج امرأ هينا في نظر الناس وهو جد عظيم في مقاييس الدين وحدود الله وضوابط المجتمع .

ان اجزاءاً من الجسم حرم الله كشفها ليحفظ الشخصية ويرفع الخلق وقد نطق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعديد من الأحكام في سبيل منع تقبي الأزياء المترفة الباذخة بين ظرائف أتباعه واستنبط منها فقهاء الشريعة الاسلامية نظاما يضم التعاليم والنصوص الخاصة بالأزياء ، يقول صاحب مفتي الأبحر ان الملابس تستعمل في ستر العورة وفي اتقاء خاتلة الحشمة والجلود ، ولا يحرم التزيين الا اذا كانت الغاية منه اظهار نعمة الله وآلائه التي من بها علينا ولكن يحرم ابداء الزينة اذا كان الباعث على ابدائها منبهة

الزهر والخيلاء والكبرياء ومن ذلك كان ارتداء الحرير ولبس الذهب حلال
على النساء حرام على الرجال . وقد كانت ملابس الرسول صلى الله عليه
وسلم غاية في البساطة والنظافة وقد دعا الاسلام إلى حسن البزة وحسن
اللبسة وجعل لباس التقوى خيرا منها .

وعلى المرأة ألا تكشف عن زينتها ومفاتنها أمام الغرباء إلا ما يظهر منها
بطبيعة الحال ، وكل ما عدا الوجه والكفين في المرأة عورة ، إذا امت
الفقنة ، وشروط ألا تكون في حالة تثير الفتنة كان تكون بارزة الجمال
أو تظهر أمام فساق يغاب على الظن أن يتأملونها بشهوة (يا أيها النبي قل
لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن
يعرفن فلا يؤذين) .

وقد جعل الاسلام عفة الفتاة حقيقة كامنة في ذاتها وليست غطاء يلقي
ويسدل على جسمها ، وفرض الحجاب هو في ذاته حفاظ على عفة الشباب
الذي يقع نظره عليها لا حفاظا على عفتها هي من العين التي قد تراها .
ولكل إنسان أن يتخذ الزى الذي لا يكون بمثابة اعتداء على حرمة
الآخرين .

ولما كانت مسئولية كل مسلم هي المحافظة على أخلاق المجتمع كله فقد
وضع الاسلام ضوابط للزى أن لا يكون كاشفا للعورة أو لجزء منها وعورة
المرأة الحرة جميع بعثها وعلى ذلك فإن أي لباس يكشف معه شعر المرأة
أو ساعدها أو ساقها يعتبر لباسا ممنوعا محرما لما فيه من دعوة ضمنية إلى
الرذيلة والتحلل الخلقي الذي لا يستطيع الآخرون معه الحفاظ على أخلاقهم
وأخلاق أسرم وأبناء مجتمعهم ، ذلك أن الحياة العامة تلك مشتركة بين
الجميع . ولا يستطيع أي إنسان أن يمنع الآخرين من ولوجها ، وعلى جميع

المسلمين أن يكفوا عن أى عمل يلحق الأذى بالآخرين والألا يكون اللباس شفافا يشف عما تحته ، والثوب الشفاف لا يرد ساترا ، وأن لا يكون ضيقا كالسروال الضيق الذى يشكل حجم الفخذ ، والمعطف الضيق الأكمام الذى يشكل حجم الساعدين أو يشكل حجم الصدر والخصر للمرأة ، لابد فى هذا كله نوع من الإغراء والايذاء وأن يكون اللباس نوعا من الخبلاء ولازيا خاصا لغير المسلمين .

ويريد الإسلام أن يكون لباس المسلمين شيئا يميزهم عن غيرهم حتى لا تضيع شخصيتهم فى شخصية غيرهم ولا يلاقوا صعوبة فى التعرف بينهم وتبقى الحياة الاجتماعية مستحكمة قوية غير أن الاسلام ما حدد لهذا الغرض هيئة خاصة وإنما جعل العرف العام هو القاضى فى هذا الشأن .

ولقد ندد الاسلام بتشبيه الرجال بالنساء والنساء بالرجال . واعتبره انحراما عن الفطرة ودليلا على عقلية فاسدة وإبى أن يجيزه الإسلام لأنباعه أما تشبيه أمة من الأمم بأمة غيرها فهذا ينافى الفطرة والعقل ولا يتوله إلا حين تصاب أمة بالضعف والهزيمة وداء الانحطاط وفقدان الحياة .

وقد جاءت هذه الضوابط كلها لحماية الذاتية الاسلامية بدعائهم الخلقية حتى لا تنهار ولا تنصهر ولا تنقرض .

(٢)

لا ريب أن هذا الانحراف الذى أصاب المجتمع الإسلامى فى مجال الزينة واللباس كان بعيد الأثر فى إضعاف الأسرة ، وإصابتها بالوهن ، لأنه زلزل كثيرا من الضوابط التى تسمى وجودها وكيانها ولا ريب أن زوال هؤلاء الأزياء والزينة قوى كبرى تعمل على السيطرة الاقتصادية ولقد دم

المجتمعات . وتقليد الغايات ، هذه القوى التي تملك بيوت الأزياء ويخترع كل يوم زيا جديدا تلبسه أجمل الفاتنات ، من شأن هذه المؤامرة أن تفسد حياة الأسرة وتزلزل ميزانية البيت وقد فرضت نفوذها على موارد المجتمعات فكان لها خطرها الشديد ، وأية الخطر في هذا أن الزينة واللباس انتقلت من المنفعة والضرورة إلى الزخرف والهوى وأن عملية الكشف والعري قد حلت بدلا من الستر والتغطية تحت تأثير رغبات الظهور وعبادة الجمال والأجساد وقد جرى كل هذا تحت تأثير فلسفة العري التي أشاعتها التهودية اليهودية لاغرام الفتيات والرجال على الكشف والعري والإباحة ومن ثم كان إقبال الحشمة ، وبروز الأزياء والأخلاق وذلك وهم خطير فإن لللباس علاقاتها بالشخصية والخلق وهي علاقة جذرية أساسية لا سيال إلى إنكارها فإن الملابس هي التي تعطى الشخصية طابعها ، وملابس البيت في الإسلام غير ملابس الشارع وملابس الرجال غير ملابس النساء ولا بد من وضوح الفوارق بينهما وملابس الشجاعة تعطى الشجاعة وملابس الخنوثة تعطى الرخاوة ، وملابس الممثلين والجوكر تفقد الإنسان طابع الإيمان برجواته ووقاره .

ولقد كانت قصة المودة ، خدعة كبرى تكشفت لكل من حاول الاتصال بها .

يقول صلاح حمدي (الجمهورية - ١٢ / ٢ / ١٩٦٩) أنه ذهب إلى باريس ليعدرس خطوط المودة (الموضة) وعاد منها بعد ستة شهور ليقول بأعلى صوته : ليس هناك في بلاد الموضة ما يسمى موضة . لقد خدعونا باسم الموضة وضحكوا علينا لترويج بضاعتهم ولكنهم أبدا لا يستعملونها في بلادهم والدليل أني لم أجد في باريس ولا في أوروبا كلها فتاة أو سيدة تلبس (المني جب) أو (المبكر وجب) أو تلبس القمصاين الضيقة التي يستجير منها الجسد . لم أر هناك امرأة يفرق الأسواق على شكل بضائع مستوردة .

وتعلت أن الموضة قبل كل شيء كما يؤكد هاء مصمموا الأزياء هي كل ما يتلاءم من ملابس وتسريحات مع ظروف كل بلد الإجتماعية والمناخية وأيضاً مع تقاليدها وتاريخها .

وقال : أن المرأة المصرية مع الأسف خيالية أكثر من اللازم وليست لها شخصية فهي تجري وراء الموضة بدون وعي ، فهي تلبس (الثوت) رغم قصر قامتها وسمنة ساقها وتلبس الميني رغم البروز والمنحنىات الطبيعية في جسمها لقد تركت حضارتنا الأصيلة لتجري وراء كل ما يرد من الخارج سواء في اختيارها للالوان التي تلائم بشرتها أو نوع النموذج المناسب لقوامها أو نوع القماش الموجود في السوق .

والسبب أن المرأة حين تختار موديلاً معيناً تنسى نقطتين هامتين :

الأولى : أن الصورة في أى كتالوج يلبس بها خداع التصوير دوراً كبيراً
الثانى : أن الموديل له نسب معينة لا تتفق مع مقاييس المرأة المصرية .

وهكذا نجد أن المرأة المسلمة مخدوعة أشد الخداع إزاء هذه التيارات الخطيرة التي تريد اجتياحها وتدمير مقومات خلقها وشخصيتها .

(٣)

ومن أخطار الزى والزينة تلك المحاولات الخطيرة لتغيير طبيعة المرأة وتغيير المرأة لشعرها ولحواجبها وتربية أظافرها ، ولقد استشرت ظاهرة الحواجب المندمجة وكشف علماء الطب عن آثارها النفسية الخطيرة على المرأة وقد أشار الإسلام قبل أربعة عشر قرناً إلى خطر هذا التغيير وآثاره .

يقول الدكتور وهبه أحمد حسن (كلية طب جامعة الاسكندرية) أن إزالة شعر الحواجب بالوسائل المختلفة ثم استخدام أقلام الحواجب وغيرها

من ما كياجات الجلد لها تأثيرها الضار فهي كلها مصنوعة من مركبات معادن ثقيلة مثل الرصاص والزئبق تذاب في مركبات دهنية مثل زيت الكاكو كما أن كل المواد الملونة تدخل فيها بعض المشتقات البترولية وكلها أكاسيدات مختلفة تضر بالجلد وأن امتصاص المسام الجلدية لهذه المواد يحدث التهابات وحساسية، أما لو استمر استخدام هذه الماكياجيات فإن تأثيرها ضاراً على الأنسجة المكونة للدم والتكبد والكلى فهذه المواد الداخلة في تركيب الماكياجيات له خاصية الترسب المتكامل فلا يتخلص منها الجسم بسرعة، إن إزالة شعر الحواجب بالوسائل المختلفة ينشط الحلمات الجلدية فتكثر خلايا الجلد وفي حالة توقف الإزالة ينمو شعر الحواجب بكثافة ملحوظة وإن كنا نلاحظ أن الحواجب الطبيعية تلائم الشعر والوجه واستدارة الوجه .

ولا ريب أنه في غيبة القيم الأساسية التي جاء بها الإسلام فإن الأمور تضطرب أشد الاضطراب حيث يحفظ الإسلام للمرأة كرامتها وأتونها ويبقى عفتها وجمالها في نفس الوقت .

(٤)

ومن تحديات الزى والزينة تلك المحاولة التي سقطت في تبعيتها عدد كبير من الشباب المسلم : تلك هي سوائف الخنافس وهي تقليد رديء ومتابعة بلهاء لطبقة عرفت على عصر التنوير بأنها يهودية التهمة ، وقد كان أول من قرضت عليه سوائف الخنافس جماعة اليهود المأسيين المطرودين إلى بابل فقد أراد بمقتضى ذلك بابل عام ٥٨٧ قبل الميلاد أن يجعل لهم علامة فارقة يعرفهم بها الناس فأمرهم أن يطيلوا سوائفهم والزمهم بهذا التقليد وبدأ خاتمات يهود يكتبون التلويح فسجلوا فيه عادة إطالة السوائف وجعلوها شعيرة من شعارهم الدينية واتخذ هذه العادة من ذلك التاريخ من تفرقوا شرقاً وغرباً بعد اضطهاد الدولة البابلية حلوا معهم هذه العادة وأصبحت جزءاً من تقاليدهم ثم ظهر

بعد نكسة ١٩٦٧ توا يمثل يهودى اسمه (دافيد) فى رواية من روايات السينما التى تشرف عليها الصهيونية فى هولايد وهو بسو الف طويلة لأنه كان يمثل دور يهودى متدين وبدأ التقليد . وقد أعلن كثير من الباحثين والعلماء أن شعور الرجال المرسلة تناقض روح اليقظة والتأهب ، وأن محاولة تقليد هذا النموذج من شأنه أن يبدد روح الهزيمة فى الأمم المجاهدة .

وتمتلىء الصحف مع الأسف بتلك الصيحات الهستيرية التى يعلنها بعض الداعين إلى هذه الظاهرة من مصفى شعر الرجال على نحو يؤكد أن وراء هذه المحاولات مؤامرة تستهدف رجولة الشباب وخلقه ، وخاصة حينما نسمع أن هناك ما يسمى مؤتمر أكاديمية مصفى الشعر فى باريس حيث تدرس خطوط الموضة فى تسريحات الشعر وصباغته .

ولقد كان من أخطر الأحداث التى مرت بالمجتمع الإسلامى ظاهرة التحشم وظهور الوشاح الأبيض على رؤوس الطالبات الجامعيات ومقاومة الأزياء العارية ، وظهور الدعوة إلى زى إسلامى لائق بالمرأة المسلمة ، كما دعيت الوظائف والعاملات فى مختلف المصالح والوزارات إلى ارتداء زى محشم وتكون جيل جديد فعلا فى ضوء هذه المفاهيم مازال يواجه التحديات من كل مكان .

وتقول الدكتورة نور الصباح وهى أحدث الداعيات لهذا الزى أن مثلها الأعلى زوجات الرسول ولذلك فهى ترتدى الحجاب وتؤدى الصلاة والحجاب فى نظرها لا يمنع من الاختلاط فى حدود معينة فى الجامعة والعمل والمؤتمرات العلمية وهى تؤمن بطاعة المرأة لزوجها فى كل شئ إلا فى ارتكاب المعصية وإذا حدث أى نوع من الخلاف فإن عليهما أن يحتكما إلى كتب الله .

ومن العجب أن هذه الظاهرة الأصلية الداعية إلى العودة إلى الفطرة قد وجدت من يحمل فيها حملة شعواء على النحو الذى قامت به أمينة السعيد فى مجلة حواء (١٨ نوفمبر ١٩٧٢) حيث هاجمت هذه الثياب البيضاء الكريمة ووصفتها بأنها أكفان الموتى. كما وجدت هجوما من أساتذة الجامعات فى المدرجات ومع ذلك فقد صمدت الفتاة المسلمة صموداً قويا أمام هذه الخصومات الموجهة إليها واستطاعت أن تؤكد وجودها.

وقد كان من أكبر مغالطات خصوم الزى الاسلامى دعواهم الباطلة بأن الثوب ليس ضامنا للفضيلة والوقار ولكننا نقول أنه ثمرة الايمان فإن المرأة التى عرفت ربها ودينها لا تقبل أن تبرز من جسدها ما حرم الله.

وما تزال هذه الظاهرة الكريمة فى حاجة إلى تعميق وإلى رعاية حتى تصل إلى غايتها.

(٥)

وتعمور السيدة عائشة عو الانجليزية التى أسلمت أخيراً مفهومها للازياء فتكشف عن فهم صحيح جدير بأن يوضع تحت نظر المرأة المسلمة نقول :

تستطيع المرأة المسلمة أن تلبس ما يحلو لها أمام زوجها والعائلة وفى الوسط صديقاتها ولكن عندما تخرج خارج البيت أو عندما يتواجد داخل البيت رجال آخرون غير زوجها وأقرب الأقرباء فى الأسرة فالمتنظر منها يلبس رداء يغطى كل أجزاء جسمها ولا يظهر شكلها. ما أعظمه من تباين مع الازياء الغربية التى تركز عامدة فى كل عام على كشف مفاتن جديدة فى جسم المرأة للنظرات العامة ، لقد رأينا فى السنوات القليلة الماضية ظهور واختلاف أنواع عديدة من الملابس الفاضحة التى تحمل أسماء مختلفة : الميني (أى القصير إلى الحد الأدنى) والميكرو أى المجهرى والويت لوك أى النظرة التى يندى لها الجبين

والهوتاباتنس أى الروال الساخن والتوبلس أى الصدر العارى والسيرو أى الشفاف أو انظر خلاله ، إلى ما تحته أو الشفاف ولا هدف لها سوى إبراز أو الكشف عن الأجزاء العورات فى جسم المرأة ويمكن للمرء أن يلاحظ موجزا نزعة مماثلة فى ملابس الرجال التى أصبحت ضيقة لدرجة بدت معها وكأنها جلد الرجل نفسه وبالرغم من أن مصمموا أزياء الرجال قد وصلوا فيها يبدو إلى وقفة مؤقنة إلى أن يتحرر الرجال بما فيه الكفاية لأن يقبلوا سراويل ضيقة تظهر عوراتهم لدى النساء .

إن هدف الرداء الغربى أن يكشف أو يعرى جسم الإنسان فى حين أن هدف الرداء الإسلامى إخفاء أو تغطية الجسم على الأقل فى العلن .

[يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيهن بين ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين] .

وعلى ذلك فقد فرض على المرأة المسلمة أن تلبس عندما تخرج خارج المنزل رداء يغطيها من الرأس حتى القدمين ولا يظهر شكلها ، أو بمقتضى أقوال بعض العلماء فإن اليدين والرأس فقط ما يلزم تغطيته فى حين قال علماء آخرون بضرورة تغطية الوجه أيضا ، ومن ثم أصبح هناك رأيان فى الموضوع على أن فرض السلوك المحتشم لا يقع على النساء فقط إن وصايا القرآن الكريم موجبة للرجال والنساء على حد سواء ، إن أحد الإجراءات التى تهدف إلى تقوية دعائم الأسرة والتعليل حتى الحد الأدنى من الاختلاط بين الجلسين حجب النساء .

ولا يوافق الأسلوب الإسلامى للحياة على أن يتخذ الشاب له صديقة وأن تتخذ الفتاة لها صديقا كذلك لا يقر حفلات السمر التى يختلط فيها الجلسان والرقص بين الرجال والنساء وتعاطى المكرات والمخدرات وغير

ذلك من مظاهر الأسلوب الغربي للحياة المعروف بأنه من الأوضاع التي
تتشأ فيها العلاقات الرذولة قبل الزواج وأثناء قيامه . وأن التسلية الاجتماعية
في الإسلام يتم عادة أما داخل نطاق أفراد الأسرة وأقرب الأصدقاء إليها
أو بين جماعات منفصلة من الرجال وأخري من النساء لا اختلاط بين
الجنسين فيها .

لا يعتبر المجلس خارج الزواج في الشريعة الإسلامية إنما حسب ولكن
أيضا جريمة يدخل مرتكبها تحت طائلة القانون كجريمة السرقة أو
القتل أو غيرها .

البَابُ الثَّانِي التَّحْدِيَّاتُ فِي وَجْهِ الشَّبَابِ

القضية الأولى

التحديات في وجه الشباب المسلم

إن شبابنا المسلم يسأل عن الطريق الصحيح ، وهو في شوق إلى الخير والأصالة والضوء الكاشف حين يرى تشعب الطرق واختلاف الدعوات التي توجه إليه ، ومنها ما يدعوه إلى الإنطلاق الكامل ومنها ما يدعوه إلى الإنطواء التام . أما الإسلام فإنه يدعوه إلى تحرر أصيل معتدل محض بالضوابط التي تحفظ كيانه ووجوده ومجتمعه وعلاقاته بالآباء والأمهات والأخوات والزوجات ، وهو يفتح له الطريق للاستجابة إلى الرغبات المادية والأشواق الروحية في نفس الوقت: ذلك التكامل الجامع بين النفس والبدن ، والروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة . وفتح الأمر كله أن يعرف الشباب المسلم مهمته في الحياة التي خلق من أجلها الإنسان ويعرف أمانته ومسئوليته وجزاءه الدنيوي والآخروي . أن الهدف الأساسي هو أن يكون الشباب المسلم المؤمن بالله عاملاً نافعا في بناء المجتمع الرباني الذي يحل ما أحل الله ويحرم ما حرم وأن يكون مقتنعا تماما أن هذه الحياة مسئولية وتبعة وليست لعبة أو منطلق رغبات وأهواء وأن الدين الحق الذي أنزله الحق تبارك وتعالى هو ضوء هداية للإنسان حتى لا ينطلق مع رغباته وأهوائه وليدله على جوهر طبيعته البشرية ومهمته في الحياة والوجهة الصحيحة لهذه الحياة فإذا تعرفنا إلى هذا كله وجدنا أننا لا ننطلق في الحياة من أجل الدنيا نفسها وإنما لتكون الحياة الدنيا محطة خير : تصلح به أمر العيش وأصل المجتمع الدائم وتتمى لصاحبها القدرة (م ٨ - المجتمع الإسلامي المعاصر)

لأن يكون قوياً على اقتحام المرحلة التالية لهذه الحياة : وهى الحياة الأخرى الكبرى : الحياة فى دار الخلود وليس يعنى هذا أن تنصرف عن هذه الحياة ، ولكن معناه أن نعمل فيها بروح البناء والإيمان وتقدير المسؤولية مع الحق الكامل فى التماس كل معطياتها بما يحقق نوازع النفس عن الطريق السليم الذى رسمه الإسلام لحماية الإنسان من تدمير نفسه بالإنطلاق المندفع ، أو بالانصراف المطلق . فقد أشار القرآن الكريم إلى أن هذا الذى أحله الله للإنسان لا يجوز الإنصراف عنه كذلك فإن هذا الذى حرمه الله لا يجوز إغترافه . وقد أباح الله تبارك وتعالى كل شئ إلا أشياء قليلة جداً لا تنقص الإنسان شيئاً إذ تجاوزها ، وكل ما أحله ، جعل له أسلوباً قائماً على الاعتدال الكرامة والخلق ، حتى تكون العلاقة بين الإنسان والإنسان والمجتمع طيبة كريمة بعيدة عن الصراع والخصومة والاحتقاد ، وهى من طريق آخر تعمل على حماية هذا الكيان البشرى الضعيف من أن يتحطم على صخرة الأهواء والشهوات كما تقيه أن يقع فريسة الاضطراب والتهزق والإحساس بالغرابة أو الغثيان .

إذن فهى حرية مضبوطة ، لها إطارها الواسع ، وحركتها الطليقة إلى حدود وضوابط تحمى الفرد من الخطر وتحمى المجتمع نفسه من أن يأخذ أحداً ما ليس له وما هو من حق الآخرين ثم إنامة علاقة سليمة بين مختلف أجزاء المجتمع

. تلك هى أهداف الإسلام فى رعاية الشباب : إعطائه أسلوباً فى الحياة ليس عشوائياً ولا تحكمه الأهواء ، ثم إعطائه مفاتيح الفهم الواسع لحياته

ولمجتمعه وللكون وللحياة ولهذا الكون كله منذ برأه خالقة الى يوم تقوم
القيامة وتبدأ الحياة الأخرى يحاسب كل إنسان فيها بما قدم في هذه الحياة
ويجزى بالجزاء الذى يستأهله نعيماً أو عذاباً

ومن هنا فإن تلك التيارات التى تم على الشباب - يجب أن تواجه
بحرص وبقظة وأن ننظر اليها نظرتنا الى أى شئ غريب وافد ، لاهى من
منطلقات مجتمعنا ، ولاهى مرتبطة بظروفنا ، ولا صادرة من عقائدنا ولا
من فكرنا ولا من تاريخنا ولا من قيمنا ولكل أمة تاريخها وعقائدها
وأسلوب حياتها الذى شكلته قرون طويلة ، وتحديات مختلفة ، ولكل أمة
محاولتها فى معالجة مشكلاتها وتحدياتها وقد إختار الغرب هذه الأيدولوجيات
والنظريات فى معالجة ظروفة ، فهل حققت نتائج صحيحة وهل أسعدت شبابها وهل
ردت اليه الايمان وهل كشفت أمامه طريق الخير ، وهى من صنع يده ،
الواقع : أنها لم تفعل ، ودلائلنا أن قضية الشباب مع تحديات الحضارة
والمجتمع ما تزال قائمه وهى تزداد كل يوم سوءاً ، إذن فالطريقة التى حاول
النوب أن يعالج بها قضاياها لم تحقق له شيئاً ، فكيف تصلح لنا هذه الطرائق
وهى لم تنجح فى يديها ، من ناحية وتختلف مع ظروفنا وعقائدنا من
ناحية أخرى .

ليعرف شبابنا أن هناك قوى غاصبة من وراء نقل القضايا من بينه الى
أخرى ، من وراء ذلك قوى تريد تدمير الأمم وتحول دون نهضة هذه
الامة المسلمة بالذات وأنى لأرجو من شبابنا أن يقرأ بروتوكولات صهيون
وغيرها من كتابات كشفت عن هذه المخططات ، وفضحت هذه المحاولة

الخطيرة التي ترمي إلى تدمير الشباب لأنه هو صاحب السيطرة على أمة
وجتمعه في الجيل القادم ، وإذا دمر هذا الشباب استسلمت هذه الأمة للتفوذ
الأجنبي الذي يحاول أن يلبسها .

علينا أن نعرف هذه الحقائق ؛ حقيقة الخطر الذي يمكن من وراء
التيارات الوافدة ، وسلامة الطريق الذي يرسمه الدين الحق لإضاءة الساحة
أمام النفوس المؤمنة وليس هناك من حماية إلا المعرفة والتعرف على هذه
الأخطار والحذر منها ولكن : كل ما يفد إلينا خطر ، فإن هناك أشياء
كثيرة نافعة وصالحة لكي ننمي وجودنا ولكن على أساس أننا أن يقدموا
لنا ما يترجم ويدلونا على الخير فيه والشر ، ولا يترك هكذا دون مقدمات
واضحة صريحة عما يأخذ منه مما يناسب معنا وما ندع ، أما الفتاة المسلمة
فإنها تستطيع إذا فهمت رسالتها الحقة ، التي تتفق مع طبيعتها وفطرتها وما
أعدت له أن توفق في حياتها ، عليها وعلينا جميعا أن لا تكسر أحكام ديننا
في سبيل إرضاء متطلبات العصر ، ولكن علينا أن نوائم بين متطلبات
العصر وبين ضوابط المجتمعات الربانية الجامعة للأفراد والجماعات من خطر
الانهيار والتدمير . ولتعلم فئاتنا المسلمة أن تعلمها من أجل رسالتها ومن أجل
الغاية الكبرى وهي بناء البيت ورعاية الزوج وتنشئة الأجيال ، وأن هذه
الغاية مقدمة على كل غاية ولا يجوز التضحية بها لأي غرض بل يجب
التضحية بكل غرض في سبيل حماية هذه الغاية الكبرى .

وعاينا أن نعرف كيف تختار رفيق الحياة فيمن يقدم عليها أو يرفض
مودته وصداقته . وليس التقى والرأى ، وليس الوجاهة ، وطلاقة الكلام

وليس أسلوب البراعة والفكاهة وعبارات التنكيت هي « مفتاح ، الشخصية
المكرمة وإنما مفتاحها الأصالة والجدية والإيمان وتقدير مسئولية الزواج
والأسرة وتقدير الابن كفتاة وزوجة ، ومعرفة هذه المسئولية لا تأتي إلا
عن طريق رجل مؤمن بالله عارف بحدوده ، وعن طريق فتاة مؤمنة بالله
عارفة بحق ربها عليها ، أما أساليب البراعات والاستعراضات فهي لا تؤدي
إلا إلى ذلك الخطر الذي يقع من بعد كما نقرأ في الصحف ، أن عملية
الاستكشاف والتعرف والترابط يجب أن تتم تحت مظلة الأسرة والأهل
الذين يعرفون أكثر . والذين جربوا ، وأن يتم ذلك باسم الله وفي حدود
ما أحل الله ، وإلا يكون عن طريق زيارة البيوت الخاصة أو الجلوس في
النادية العامة إلا بعد العقد الشرعي ، أما هذه الفترة الأولى فلا بد أن تكون
في حاية كاملة ، حتى ما انتهت إلى الفشل لا تخلف أثراً سيئاً .

وعلى الآباء المؤمنين إذا وجدوا الشباب الصالح أن يعينوه وينصفوا عنه
ولا يطلبوا منه مهراً ثقيلاً وأن يعينوا الأبناء في إنشاء عش الزوجية بأنخف
التكاليف ما أمكن ذلك رغبة في إقامة هذه الحياة التي تساعد كلاهما على
الاستقرار والنجاح ، وأن آباء كثيرين من المؤمنين بالله قد قاموا بهذا العمل
وسارعوا إلى إنشاء الأسرة الصغيرة في أحضان الأسرة الكبيرة حتى قبل
أن يتم الأبناء تعلمهم وذلك حماية لهم وحفظاً وتمكيناً ما دام قد ثبت صلاح
التعارف ونجحت التجربة الأولى التي تحت مظلة الأسرة في سلامة الدوافع
ارتقاء إلى الزواج الشريف .

(٢)

إن أزمة الشباب الحقيقية هي عجز الوسائل الأساعية في
الأسرة أولاً وفي المدرسة من بناء روحه ومعنوياته على النحو
الذي تبنى ماديته وجسمه ، فقد ضعفت رسالة البناء الكامل للشباب (روحاً

وجسما وعقلا) واتصرت في بعض الظروف والبيئات على الجسم والعقل أحدهما أو كليهما أما تربية الروح والنفس والمعنويات التي هي الأساس وكل ما سواها ناع لها فقد تخلقت كثيرا وعجزت الأجيال عن تدبرها تحت ضغط التيارات المادية والمذاهب الوافدة التي حجبت كثيرا من الحقائق والغايات التي رسمها الإسلام.

إن أزمه الشباب الحقيقية هي : أن التغريب والعزو الفكري قد خاق جوا من التناقض والازدواج ولذلك طرح أمام الشباب صورتان وقدوتان ومنهجان وتقييمان وأعطى المنهج القاصر منهما : الضوء الأخضر واللمعان الخاطف بينما حجب المنهج الاصيل ثمة ولم يحسن المثقفون والمربون التعرف عليه ولا مركان المنهج اللامع هو المنهج الذي يدعو إلى التحرر والانطلاق وتحطيم القيود والذي تحتقر الضوابط وتسخر من الاديان والاخلاق بينما للمنهج الاصيل يقبع في الاركان ولا يجد طريقة إلى الظهور .

أن قوى كثيرة وأضواء ساطعة تحيط بالمنهج القاصر وتدخل به كل بيت من طريق القصة الجنسية والمجلة الكاشفة والكلمة الجريئة ولكننا نضع أمام الشباب الحقائق كاملة بكل أمانه وندعه يحكم بفطرته ويلتمس الطريق الصحيح .

« وإن نطلع أكثر من في الارض بضلوك عن سبيل الله »

أقد حرص الإسلام على بناء الشباب وإعدادهم وجعل قاعدة الإيمان بالله هي مصدر الضوء الكاشف الذي ينهر الطريق ويزيل العقبات ويعين على فهم

المعضلات وحل المشكلات قال شباب حين بدأ في الاسذباب يجد في القرآن الكريم مفتاح الطريق فإذا تجامل هذا المفتاح عجز عن أن يصل إلى الحقيقة، فإذا حاول أن يلتمس الفهم من تلك الكتب المنشورة عن الحب والجنس والقصة والكلمة الساخرة والكلمة المكشوفة فإنه يكون قد دخل إلى طريق مظلم لا يهدى أبدا وليس في هذا حجر على القراءة والفهم، ولكن محاولة لتصحيح الطريق وتعرف على نقطة البدء ذلك أنه ليس في الإسلام حجر على القراءة والفهم، ذلك أنه ليس هناك في الإسلام مصادرة على فكرنا، ولكن علينا قبل أن نقرأ ونلتمس فيما نقرأ الدليل، أن كل ما نعرف أن كل ما يسبق الفكر الرباني فهو لغو لا يهدى ولا يؤدي، فإذا عرفنا الطريق من الوجهة السليمة ومن النقطة الأولى كان لنا بعد ذلك منطلق صحيح محصن يهدى ولا يضل.

إن علينا أساسا أن نواجه قضايا شبابنا وتحديات مجتمعنا بمفاتيح اسلامية أصيلة مستمدة من فكرنا وتراثنا وبيئتنا، وأن نتجنب تماما تلك المحاولات التي تريد أن تقدم لنا حلا غير أصيلة، أو تنقل لنا تلك الأساليب والمواقف التي تعالج بها مشاكل الشباب في العالم الغربي، فإن المنطلقات لا شك مختلفة ومن ثم فإن المعالجات لا بد أن تكون مختلفة، وبكلمة واحدة فإن تحديات الشباب المسلم ترجع إلى قصور الناحية الوجدانية والروحية وأن الطريق الصحيح هو التماس مفهوم الاصالاة الإسلامية في حل قضايا الشباب.

وليس من ريب في أن الدين وغرسه منذ الطفولة في النشء هو الدرر

الأكبر ضد الانحراف وضد الفساد ، وهو الخلل الحقيقي دون وقوع
الآبناء فريسة التطرف والفساد والانحراف . وأن كل محاولة لحل مشاكل
الشباب لا تعتمد بناء الأخلاق وروح الدين في نفس الشباب هي محاولة
فاشلة لن تحقق شيئاً ولن تستطيع البحوث العلمية أو السيكولوجية تحقيق
أى تقدم إيجابي في شأنها ولا ريب أن محاولة « توعية » شباب الإسلام
عن الطريق الصحيح وتزييف فكره ودفعه إلى طرق متشعبة مضطربة هي
غاية من غايات المخططات التلمودية والشيوعية والغربية التي تحاول اختواء
الشباب إيماناً بأنهم بذلك يحطمون مستقبل البلاد الإسلامية بإفساد الأجيال
الحديثة ومن هنا تلك المحاولات التي ترمى إلى بث الشبهات التي تقول بأن
جبل الشئب : جبل بلا قيم ، وبلا إيمان ، وأنه جبل يبحث عن نفسه في
الجفن والرطن والمجون والمخدرات وأنه جبل بلا هوية كما صدره على
هذا النحو نعمان عاشور في قصته (الجبل الطالع) .

والواقع أن هذه ليست صورة الشباب ولكنها هي الغاية التي يراد من
الشباب بعد تجريده من الأسلحة الأخلاقية الدنيوية والروحية أن يصل
إليها .

وأن محاولة تجريده الشباب وإفساده تجري عن طريق تقديم الطامع
المسوم إليه : أقلام الجنس والصور العارية والقصص الاباحية والأغنية
المكشوفة والنكتة القبيحة . بل أن فتاوى المضلين من الكتائب المشهورين
هي أقوى التحديات والاضطرابات ، فإنك حين نقال فلان تجد الإجابة
عازكية وحين تفتحن فلان تجد الإجابة عوجودية وحين تعرض لمشكلتك
على فلان تجد الإجابة مادية أو أباحية وأنت في كل هذا تبحث عن الإجابة
الصحيحة : الإجابة الصادقة التي يقدمها لك الإسلام .

ولا ريب أن الشباب المسلم في حاجة إلى معرفة كيفية التعامل مع هذه

التيارات الخطيرة ومواجهة هذه التحديات : والسبيل هو التعرف إلى الإسلام بمعطياته في مجال العقيدة والأخلاق ومزمننا بأنها هي القاعدة الأساسية التي يعتنق بها المسلم لمواجهة كل ما يقابله في خضم المجتمعات وفي ضوء الإسلام يتعرف إلى مختلف المذاهب والأيدولوجيات الاجتماعية والأخلاقية والنفسية ومن ثم يعرف أن بناء الشخصية الإنسانية يجب أن يتم خارج هذه المؤثرات المضطربة ، وهذا الأسلوب وحده هو الذي يمكنه تقديم وتبيين أخطارها والتعرف إلى جوانب فسادها .

والواقع أن اتهام أجيال الشباب بأنها أجيال ضائعة ممزقة قول يجانب الصواب ، وهو ترديد لكلمات وافدة وما اعتقد أن بلادنا تخضع لمثل هذه المذاهب والنظريات التي تتعارض مع طابعنا وروحنا وذوقنا وراثتنا الذي كونه عوامل مختلفة قوامها : التوحيد والحرية والعدل والارتباط الأكيد بين القلب والعقل وبين الدين والمجتمع وبين المادة والروح .

أن العامل الأقوى الذي يمكننا دائما خارج دائرة هذه اللعبة التفرعية : هو أن يعمق إيماننا بأن نظرتنا إلى الحياة متكاملة وأن طبيعتنا وسطى لا تنحرف ولا تجمد فتحن لا نقحاز إلى جانب دون جانب ، ولا نتعازل جانب المادة الذي يقضى على جانب الروح والمعنويات ، ، أننا نوازن بين الجانبين وتزواج بينهما في تكامل ومواءمة . أن جانب الإيمان بالغيب والتصديق بالوحي قائم على جانب التقديرات العقلية والمادية . ومن هنا فنظرتنا بعيدة عن التفرق والضياع واليأس ، أن السر في ازيمات النفسية للشباب العالمي هو ذلك الانحسار المادي بكل مفاهيمه واستجاباته ، أما نحن فانت لا نعرف تلك التجزئة ولا نسغرق في فكر ليست له مفاهيمنا وقيمنا وعندما نعود إلى أصالة فكرنا وطابع روحنا نسقط هذه النظرة .

أننا لكي لا نكون أجيالا ممزقة ضائعة ، يجب أن نتصل بجذورنا

ولا تفصل عنها ، أن لنا جذوراً أساسية يجب أن نستمد منها كما أن الغرب جذوره التي يستمد منها وجذوره فارتبط بالأديان والأخلاق وهي ليست منفصلة عن المجتمع أو المادة . هذا هو مفهوم الأزمة ومفهوم الخطر .

وقد كشف التاريخ في موجاته المتوالية وحركاته المتصلة أن مصدر الخطر على المجتمع الإسلامي إنما يجي من التخلف عن مفهوم الإسلام أو الانفصال عنه كنظرة متكاملة للسكون والإنسان والمجتمع : نظرة قوامها التوحيد ومنهما العدل والرحمة والأخوة الإنسانية فإذا انحرف المجتمع الإسلامي عن هذا المفهوم كان ذلك عاملاً في تعريضه للغزو الخارجي أو التمزق الداخلي فإذا ما عاد مرة أخرى إلى مفهومه الإسلامي الأصيل استعاد قوته وحيويته القادرة على مواجهة كل محاولات السيطرة .

(٣)

لا ريب أن المفاهيم التي طرحها الفلاسفة المادية والوجودية عن حرية الإنسان وإطلاق قيوده من الضوابط الأخلاقية والاجتماعية وإباحة الطلاقة هي أخطر ما أصاب الأجيال الشابة . بالفق والاضطراب وهي مفاهيم ليست في الحقيقة أصيلة ولا تتفق مع الفطرة الإنسانية أو القيم الأخلاقية أو الضوابط التي لا يرها الدين الحق . وهي عس للنفس الإنسانية ودفع لها إلى الفساد والانحراف .

يجب أن يعرف الشباب المسلم أن الحرية الفردية لها ضوابط وقيود وأنها انتهت حين تبدأ حرية الآخرين . وأنه ليس من حق الإنسان - أى إنسان - أن يأخذ ما يملك الآخر سواء أ كان عرضاً أو مالا أو متاعاً ، إلا بحقه .

ولا ريب أن الشباب يتطلع إلى الجنس الآخر ويجد من اضطراب بعض الأنظمة التي تدعوا إلى تأخير تحقيق علاقته عن الطريق الشرعى ، ما يدعوهم إلى التماس الطريق الخاطيء ، أن هناك عوامل كثيرة تؤدي إلى الانارة : كالصور العارية والقصص المكشوف والأغنية الجارحة ، بل لعل في بعض الأوضاع الواقعية في الحياة الاجتماعية ما يشير أيضاً ، ولكن الشباب المسلم يستطيع أن يواجه ذلك بالإيمان بالله والاعتصام بالله من الانحراف وذلك بالاستعفاف والاعلاء والنسأى . وأن يحفظ عرض من يتخطن به في الدراسة أو العمل حفظاً لعرض بعض أهله . وعلى الشباب في هذه المرحلة أن يستعين بالرياضة والمجاهدة والصوم حتى ينقذ شبابه من أن تدمره الانحرافات التي ترجع إلى اعتناق نظرية للوجودية أو الحرية التي لا تعرف ضوابط العرض والشرف والكرامة .

والمفهوم الاسلامي يقوم على تيريد العاطفة واعلاء الرغبات حتى يتحقق في إطارها الصحيح، وأن الغريزة أداة طيعة متقلة لكل ما توجه اليه النفس من خوف الله والايان به أو الانحراف عن ذلك وليس صحيحا ما نطرحه للنظرية التربوية الغربية التي تقول : بالتنفيس عن الغريزة ذلك لأن الانسان إنما يصدر في تصرفاته عن حقيقة عقيدته ودرجة إيمانه ، والمسلم مطالب بتقديم الغريزة وتهذيب الفطرة .

ويردد الباحثون الغربيون مفاهيم زائفة حول المراهقة .

المفهوم الاصيل للمراهقة : أما ، انتقال جسد وعاطفي واجتماعي من الطفولة إلى الشباب : أي إلى الرجولة أو الأنوثة ، وليس هو في الحقيقة انتقال مقاسمي ، واسكنة انتقال طبيعي ، وتطور مندرج في الفهم فإذا فهمت هذه المرحلة فهما اسلاميا صحيحا مرت بسلام فهي أولا نقطة على أن الشباب أصبح في مرحلة المسؤولية وتكوين الشخصية القادرة على أن تؤدي دورها في العمل والتأثير والتغيير في المجتمع . والشباب في هذه المرحلة اذا اعتصموا بالايان بالله استطاعوا أن يكونوا مثالا طيبا للأخوة والمحبة والصداقة والوفاء ، شريطة أن يتقربوا الى الله بالعمل الصالح وأن يشفقوا أنفسهم ففاعة أصيلة وأن يتعرفوا على حقائق الحياة والمجتمع في ضوء الإسلام وقنمه وموالمهم وهو ايانهم وشغل أوقات فراغهم بما ينمي شخصيتهم وعملها قومه ونباتا ، أما هذا الجيشان الوجداني في أبان المراهقة فإنه يمكن اعلائه والتسامي به الى خدمة الناس ومجبة الآخر والناس هدى الله في هذا المجال والاستعانة به .

وتغير وسائل الإعلام والاتصال مع المجتمع والانتقال من الأناقة الى التغيير ، من الأناقة الى الطاعة ومن الشر الى الخير .

ولذلك فإن على الشباب المسلم أن يذرب نفسه على خلق الهدى بديلة في

مجال الأعمال الصالحة وأن يكون قادرا على التنازل عن بعض الرغبات ما دامت وسائلها المادية لم تتحقق بعد ، والتقبل بالآمر الواقع مع العمل الحديث لتغييره ، وإذا لم يكن ما يريد الإنسان فليرد (ما يكون) ، وأن يركز نظره على الجوانب الايمانية دون الجوانب السلبية ، والخروج من دائرة نفسه المغلقة إلى دائرة المجتمع وأن ينسى نفسه في سبيل مساعدة غيره وأن يحرص على أن لا يواصل العمل في سبيله الوصول إلى شيء ليس من حقه .

وعلى الشباب المسلم أن يؤمن بأنه حر في اختياره حرية كاملة مع جزائه على قدر مسؤوليته عن كل فعل يفعله على قدر مكانة هذا الفعل من الخير أو الشر وأن الله تبارك وتعالى يهيئ للإنسان الوسائل إلى الغايات الشريفة ، ويخفف عنه تحدياتها فإذا قصد الشباب إلى طريق الخير والعفاف فإنه سيجد نفسه قادرة على تحقيق هذه الغاية إذا ما عزم على ذلك واستعصم بالله وخاف العقاب من الاندفاع في الطريق الآخر .

وقد جاءت التوجيهات في سبيل التماس طريق العفاف بالابتعاد عن الافراط في التعمد أو الانطلاق في الميل الجنسي فإذا بعد عن الافراط احتفظ بقدرته على المقاومة .

وقد أشار كثير من الباحثين إلى تجربة (التوازن) بين القيم المادية والقيم الروحية ، إذ أنه هو أصدق الحلول أمام أزمات الشباب فهو يسد الطريق أمام حدوث انحرافات من شأنها أن تحد من فعالية إحدى هاتين القيمتين فهو تقرر بأن الإنسان ما دام نفسياً وحده من مجموعة من العناصر المادية الأخرى ، وأن هذا النسيج متداخل في طبيعة الإنسان لا فواصل بينه فإن الإسلام يجب أن يتعامل مع مبادئ تنسجم وهذه الطبيعة . وبهذا يشعر المسلم الإنسان بأنه في جميع فعالياته الإنسانية : مادية كانت أو روحية أم مشتركة تشعر بأنه متوحد مع ذاته من جهة ومع مصيره من جهة أخرى

لأنه إنما يقوم بفعالية تلك داخل الأطر العقائدية التي جاء بها الإسلام والتي بالإضافة إلى تحقيقها الحد الأعلى من السعادة الإنسانية في الأرض فأما تعدده دائماً بالنعيم والخلود في الحياة الأبدية وهكذا يبتعد الإنسان المسلم بالضرورة عن الشعور بالازدواج أو التمزق فيتوحد مع ذاته ومع مصيره المرتبط أساساً بفعالياته جميعاً : ماديها وروحيها .

وفي الإسلام لا يرتبط مصير الإنسان بقيمة واحدة من القيم دون الأخرى ؛ بل أنها جميعاً تتناسق وتنسجم لتشكيل أخيراً مصيره ، وهذا هو الأساس العميق في الإسلام الذي يحفظ وحدة الذات والانسانية من التمزق والازدواج فالإنسان المسلم في جميع فعالياته يسهم في تشكيل مصيره : عندما يسجد لله وعندما يستقرى الطبيعة وعندما يحلل فكراً وعندما يصارع بإرادته قوى الشر والانحراف وعندما يتحقق بالقيم الأخلاقية الكبرى : كالحرية والإيمان والمسئولية ولا ريب أن التوازن بين القيم الروحية والمادية يعطى للإنسان مجالاً واسعاً تتفتح فيه قائلياته وفي شتى الاتجاهات لأنه في أية فعالية يقوم بها لا يتمدى علامت تلك المخططات من جمه ومن جهة أخرى يجد نفسه مشدوداً إلى مصير واحد يستقطب القيم الطبيعية والروحية والانسانية ويتجه إليه بالكلية دونما شعور بالتمزق أو الضياع .

واحتفال القرآن الكريم بكثير من وجوه الحياة - لا بالأمور الروحية وحدها - يؤكد أنه وحدة كاملة من روح وجسد ، كما يؤكد الإسلام ، فإنه ليس هناك وجه من وجوه حياته يمكن أن يكون من التفاهة بحيث لا يقع داخل نطاق الدين .

واقدر عرف الغرب ذلك الصراع لأنه انفصل عن الدين فأصبح يفسر التاريخ والحياة تفسيراً عقلياً فردياً أو تفسيراً مادياً جماعياً وجاءت

موجات تفسير الانسان والحياة على أساس الغريزة (فرويد) أو لقمة العيش (ماركس) كل هذا دفع الإنسان إلى نظرة فيها تحقيق للغايات المادية وتمجيد الغريزة وتسرف في وسائل المتعة واللهو والتساية . ولا ريب أن الأزمة هنا جاءت من العجز عن التوازن أو التكامل أو التوحد مع ذاته ومصيره . ولقد أكد وايم. جيمس بعد دراسة لهذه الأوضاع في الغرب بأن الخوف والبلبلية النفسية والتمزق ليست إلا وليدة شيء واحد لا ثاني له : هو انكار الفرد على غريزته الدينية حقها ووظيفتها وتجاهله لأهميتها وللدور الذي تلعبه في سلوك الإنسان ونفوره من انماها ورعايتها ،

أن التمزق يصدر عن العناية شيء وتجاهل شيء آخر ، بينما الشبهين شجرة واحدة في الشكوكين الانسانى فكيف تغذى فرع منها وتعطش فرعاً أن كل الطرق مفتوحة إلى تغذية الغريزة وأن عوامل كاملة قائمة لها من مراقص وصحف ومسرحيات وعرى وكشف وأندية وعاب ليلية وهى متخمة يفقد فيها الانسان قدراته وقواه وعاقبته وماله بينما هو يغصن اغضاء تاماً عن حق الغريزة الدينية : حق الروح وأشواق النفس ومطامح الوجدان ولما كان الانسان حفة من تراب وفتحة روح فإنه لا بد أن يتوازن وإلا عاش حياة الصراع والتمزق .

ولا ريب أن مركبات الخوف والقلق والتمزق . وكل ما يتصل بالنفس البشرية من أخطار وتحديات لا تجد له طريقاً إلا بأحياء غريزة الدين . والاحتفال لها والاعتصام بها بل أن علماء النفس الغربيين فيما عدا (فرويد) ومعروفة هويته واتجاهه ومن ورائه) يؤكدون اليوم هذه الحقيقة ويقول يونج : أن الذين هو مناج الشفاء للنفس وأن الأمراض العصبية ترجع إلى المضاعفات النفسية وأن العقيدة المشكوك بها والتي تدخل ضمن النقاش تصبح قدرتها على الشفاء وأن الانسان الذى لا يعتقد أن هناك إلها يعلم الألم

ويساعد عند الشدائد ويرحم ، والإيمان بأنه هو الذى يعطى معنى الحياة ،
من كان فأنذا لذلك مهما كان جباراً عنيداً فهو فى الحقيقة ضعيف مدمر .

ويصل عشرات من الباحثين إلى أن الازمة النفسية الحالية هى من
القضايا الهامة فى القرن العشرين وأنه لإبعاد الشك واستبداله باليقين فأنه
يجب البحث عن الدين الصحيح الذى لا يقبل الشك والذى ينطبق على
القطرة السليمة وتؤمن نحن المسلمين بأن هذا الدين هو الإسلام وأنه هو
بلسم لهذه الجراح وعلاج كل النفوس .

فالله تبارك وتعالى وحده هو السناد والملاذ الذى يلجأ إليه الإنسان
فى الأوقات النفسية فيجد فى كنفه الرحمة والأساة .

ويقول يونج فى كتابه (الدين وعلم النفس) أن الإنسان يصبح مريضاً
عصياً عندما يفقد ثقته بنفسه والثقة بالنفس تكون ثقة غير مستقرة إذا
لم تقترن بالإيمان بالله والثقة به والتوكل عليه . وأن الحقل النفسى أكثر
خطراً من الوباء والزلازل وأن الحيرة اليائسة والتضارب هى التى تنزل
كيان الإنسان فيقع فريسة الأمراض النفسية . وأن الطمأنينة هى حفظ
صحة النفس وأن عالم النفس يتطلب التوازن الذى يؤيل العناصر الهدامة فى
النفس ذلك أن الحداع والغش يسبب قلقاً نفسياً عظيماً فى قراره النفس لا يمكن
محو ما ارتكبه الإنسان من أخطاء .

ولكن الإسلام يقرر أن المخطئ يستطيع أن يفتح صفحة جديدة وأن
يطوى هذه الصفحة دون أن يصبه منها أثراً فيما بعد سواه من ناحية تكبت
النفس أو الجوارح الأخرى إذا ما صمم أن لا يعترف هذه المعصية مرة أخرى
وهو ما يسمى فى الإسلام التوبة إلى الله وتطهير النفس من الإثم والفاحشة
وأن فكرة التخفيف من حمل الفساد أو الاعتدال فيه هى نظرية ضالة مضلّة

ولا يقرها الدين ولا يقرها البحث العلمي كله جميع ، لأن التخفيف ما هي إلا محاولة لحماية الجسم من الأخطار ولكن عملية التوبة الكاملة هي انقطاع وإغلاق لهذا الباب نهائياً والاتجاه إلى التماسي والأعلاء بالعواطف والنفس في إطار منهج الله تبارك وتعالى والتماس فضله .

وأن تطهير النفس وحماية الجسد هو الأساس الحقيقي لبناء العقل والروح وبدونه يكون البناء فقضاً ومنهاراً .

وهناك ممنوعات رئيسية لا سبيل إلى تجاوزها ولا إيجاد تأويل النصوص لتبريرها وابطاحتها وهي الزنا والميسر والربا والسكر والخمور والمخدرات وهذه الأمور التي حرمها الإسلام وهي مرزولة أساساً عند كل العقول السليمة والنفوس الكريمة مستقبحة والدليل على ذلك على أنها لا تمارس إلا في الخفاء ، وهي ممنوعة لأنها تهدم الشخصية الانسانية وتورد متعرفها مورد الاضطراب والهلاك .

ولنعلم أن هذه الغرائز التي تعيش في أعماق الانسان إنما هي قوة سلاح بها الفرد لحيره وخير المجتمع وهي التي تحميه من أخطار الفناء ولكن استعمالها يجب أن يتم تحت رقابة العقل ووقاية الضمير ، فلا تتحول غريزة البحث عن الطعام شرها ، وغريزة الانسان فسقا وعدوانا وغريزة الادخار طمعاً وشمأ وغريزة الظهور والسيطرة خيلاً وكبراً وغريزة الغضب والمقاتلة جنوناً وسفكاً للدماء وغريزة حب الاستطلاع بحماً دينياً عن عيوب الناس والمعروف أنه من حق كل إنسان أن يكون حراً فهو حق طبيعي ولكن لكل حق ضوابط وضوابط الحرية أن لا تكون عدواناً على حق الآخرين فإذا اصطدمت الحرية بالحق أو بالخير سواء كان خير الفرد أو خير الأمة أو خير المجتمع فإن الحرية الفردية يجب أن تتأقلم وتقيد في حدود الحق والخير .

والواقع أنها ليست هناك حرية مطلقة فإن الحرية هي لهم الضروريات
والحكم في الأسباب.

واقد اعترف الاسلام بالشهوات والرغبات على أنها أمر واقعاً بالذمة
للشرف، ولكنه عمد إلى تهذيب مداخل هذه الشهوات ومخارجها فوقها بها
عند الله الذي لا يؤذي الفرد كفرد أو المجتمع كمجتمع وأباح قطعاً
مفقولاً من المتاح في إطار الشريعة والأخلاق.

وأنة ليس للفرد في الواقع حقوقاً مستمدة من ذاته وإنما هي مستمدة
من شريعة الله تبارك وتعالى الذي أنشأ هذا الحق ومنحه الفرد أو الجماعة وأنه
لا اعتباراً للحق لم يقره الشرع عن طريق النصوص أو القواعد العامة أي
عن طريق مصادر الشريعة.

ويرى الباحثون أن الحرية في مفهومها الصحيح ليست إلا مظهراً
لإنسانية الفرد وشخصيته وكيانه المستقل في الجماعة الأمر الذي ينبغي كونه
آلة اجتماعية مستغرة أو اعتباره مجرد عنصر تكويني واستقلال الفرد ليس
تأماً لا بد أن الفرد مرتبط بالجماعة ارتباطاً تكاملاً وفي دائرة البر والخير
اشراك تعاون.

ولا ريب أن حرية الإنسان شرطاً أساسياً لتنشيط مواهبه وتنمية
ملكاته وهي ليست مطلقة بل هي مقيدة بما يحقق الغاية التي شرعت من أجلها.

ومن قى الشباب المسلم أن نطالع على هذه الحقائق ونقدمها له ، فإذا
أتمنا وجهة التفرير في حجتها فأننا نكون مقصرين في أداء حق الأمر
بالمصروف والتي عن المنكر وما اعتد أن الشباب يرحب بأن نحجب عنه
موجبات للنظر المختلفة حول قضية الحرية والتصرف في العلاقات الاجتماعية
أو أن نهدده ببارات براقة كمثلك التي يطلقها ترفيق الحكيم

أو إحسان عبد القدوس أو زكي نجيب محمود في دعوتهم المسمومة إلى تقديم أبعاد المسائل إلى الشباب بما يطلقون عليه الترشييد أو التوجيه ذلك لأننا وقد عجزت أجهزة المدرسة والبيت - في الأغلب - عن توجيهه وإطلاعه على الحقائق أو تقديم النموذج الكريم لهذه القدوة، التي يتطاع إليها في محيط الأسرة عن طريق (الأب) وفي المدرسة عن طريق (المعلم) فإن الثقافة الإسلامية لا تستطيع أن تقصر عن أداء هذه الفريضة الضائعة ، داعية الشباب المسلم المثقف إلى تكوين نفسه في إطار الإسلام وعلى هدى القرآن وفي ضوء هذه الحقائق التي قدمها الباحثون في الشرق والغرب ، وأنا حين ندفع شبابنا المسلم إلى الترشييد إنما نحرص على أن لا يذل أو يدر - ومن حقهم هم أن يصنعوا ما يشاءون بشبابهم أو أتباعهم - وأنا نحاول أن ندفعه إلى الوجهة الصحيحة مبكراً قبل أن تلتقيه هذه المغربات المضلة أو الذنوات المذلة . وليس في هذا الترشييد ما يفرض وصاية أو يلزم أحداً بأسلوب معين وإنما هي محاولة لإضاءة الطريق أمامه ليشكل الوضع الخارجي والداخلي في إطار العصر وفي ضوء الإسلام .

وانه كره دوماً أن يروتوكولات صهيونية تقول :

« أن الشباب قد انتابهم الخيال لانغماسه المـكـر في افسق الذي دفعه اليه أعراننا من المدرسين والخدم والمريبات اللاتي يعملن في بيوت الأثرياء والموظفين والنساء اللاتي يعملن في أماكن اللهو وفساد المجتمع المزعومات اللواتي يقطنهن في العشق والترف ،

الفصل الثاني

الجريمة والجنس

لا ريب أن من أخطر التحديات التي تواجه الشباب المسلم المعاصر : الجريمة والجنس فإنهما فرسا رهان الأفلام السينمائية والقصص والمسرحيات ، وهما عاملان خطران تستهدف القوى العالمية المسيطرة على وسائل الثقافة والتسلية والصحافة أن تتخذها وسيلة لدفع الأجيال الشابة عن الأصالة والقوة والارادة المؤمنة وقد طرحت هذه السموم في أفق الإسلام عن طريق أدواتها وأجهزتها المبتوثة في كل مكان : وقد أشار الدكتور أحمد محمد خليفة أستاذ علم الإجرام في كلية الحقوق الى هذه الظاهرة فقال : أن ضغط الاغراء الجنسي ومؤثراته على الشباب في الوقت الحاضر ومنها مظاهر التبرج التي جعلت النساء يكشفن أكثر مما يخفين والاشربة السينمائية ولون معين من الصحف والمجلات وقصص البتعة ودعوة الانطلاق والتجوال والرضاء الجسدي : هذه الدوامة الهائلة التي تقدمها الحضارة الحديثة . تفقد الشباب توازنه وتبتلع تفكيره مما يعجزه عن العمل ويقعده عن الانتاج . وفي البلد أندية وجارات فيها من السكر والقمار والدعارة فتلك الأماكن مغارس للجرائم .

ويقول الدكتور خليفة أن مرض الأنفس هو المرض الدائم ، هو مرض الوطن فإذا عولج سهر الاستعمار لتكوين كيانات النفس في مجتمعاتنا العصرية على أساس يضمن له استمرار ضعفنا وقد رسم لمدارسنا المناهج والتقاليد التي اقصر فيها على التعليم الشكلي دون التوجيه النفسي وذلك حرص الاستعمار على ايقاظ شهوات الناس . وقد أصبحت الصحافة صناعة

تجارية تستلهم أهواء الجماهير وشهواتهم بما تقدمه لهم فشياً يجتمع الملاهي والسينما الماخنة وتمجيد لاعبيها وقد قللت السينما الصحافة في استلهاهم أهواء الجماهير وقد تبين أن عدداً كبيراً من الشباب قد قام باقتراف عدد من الجرائم تحت تأثير الأفلام السينمائية في الجريمة والرعب وقد صاحب ذلك نظريات زائفة نشرها بعض الباحثين والمفكرين الغربيين وهي تحاول أن تصور المجرم لا على أنه مجرم مسئول بل على أنه مريض أوردت نسبة الجريمة إلى الوراثة أو الوسط من تلك المحاولات التي ترمى إلى تبرير الفساد ومعارضة مفهوم الدين في شأن الجريمة والمجرم .

وقد استشرت في السنوات الأخيرة حوادث خطف البنات : نتيجة إدمان الشباب على مشاهدة هذه الأفلام ، يقول دكتور عاطف وصفي أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة أنه تحت تأثير عوامل مختلفة يتأثر بها نمط معين من الشخصية تنسم بالتهور والجرأة وحب المغامرة يتصور الشباب أن خطف فتاة والإقدام عليها ليس جريمة ويقول أن ذلك جاء تحت تأثير استمرار ظاهرة أفلام الجريمة والجنس حتى خيل للشباب « شرعية » هذه الظاهرة في المجتمع ، ومع فقدان روح الفهم للدين والأخلاق والضوابط بين الجنسين والقيم الاجتماعية الأساسية .

ولقد كشف كثير من الباحثين الاجتماعيين عن مدى خطر أفلام العنف (الكارتية والوسترن) وإنما تدفع المشيء الشباب إلى تقمص الروح الشريرة فيصبحوا مقلدين لذلك وتلك من الذين يشاهدونهم على الشاشة الفضية أو البلورية .

ولا ريب أن أفلام الجنس والاباحه والمخدرات والمزقات هي دعوة مباشرة أو غير مباشرة للاباحه والفساد .

والمعروف أن الهدف من وراء تلك الأفلام إفساد خلق الشباب
وصرفه عن صلوة الطلعي بنشر الرذيلة والدعارة ولا ريب أن
هناك مفهوماً للجرمة في الإسلام يختلف عن مفهومها في الفكر الغربي
الإسلام لا يقر نظرية المبروروا التي تقول بأن الإجرام صفات وراثية أو
أنه خلل في الفرد وأنه من أجل ذلك لا مسئولية على المجرم . ولقد تبين
أن ما نسميه غرائز إنما هي ميول لدنة يمكن توجيهها إلى أي ناحية وأن
تسعة وتسعين في المائة مما نسميه غرائز إنما هي اتجاهات اجتماعية قد غرسها
فيها المجتمع برجوع انعكاسية .

فالمجرم في الحقيقة إنما يرتكب جرمته بعبادات ذهنية وعاطفية واجتماعية
وليس بعزيمة موروثه ولا ريب أن وازع الدين وحدود الله من شأنها أن
تقيم المعرج في تصرفات الإنسان وتحول يدينه وبين الجريمة خشية عقوبتها
وأنارها على شخصيته في المجتمع .

وكذلك الأمر بالنسبة إلى الجنس فإن إطلاق الأفلام المكشوفة
وتكرارها وتعددتها إنما يوحى إلى النفس التي ترى ذلك كله متطلقاً
ومسرحاً به إلى الاعتقاد بشرعية هذه الأوضاع وإنها طبيعية وليست
مخطورة وهذا هو الخطر .

وقد استشرى مفهوم الجنس والإباحة الجنسية في المجتمعات الأوربية
والقصص والمسرحيات وانتقلت أعاصيره إلى أفق المجتمع الإسلامي .

وقد جرت وراء فكرة إذاعه الجنس محاولات مضللة حطمت أجيالاً
متعددة ودمرت وجودها وكيانها ولم يقنيه إلى هذا الخطر إلا بعض الآباء
والأمهات إلى رفض تعليم أولادهم الجنس في المدارس والعودة إلى الفضيلة
والتقاليد وإلى احترام الفتيات لأنفسهن والبعد عن الموجة الإباحية التي
سارت لسنوات طويلة في بلاد الغرب وتقول السيدة المريية مرجيت وابيت

وزميلتها جاينت كير أن الرجل مها كان يفكره بفضل أن يتزوج من فتاة لم تجعل نفسها
في متناول الآخرين وأن القول بأن الموضه هي تعلم الجنس وإباحة الحديث
عنه وإطلاق اسم الواقعية على اسم ذلك الإسلوب هو مجرد هواء وطو
فارغ . وقد طلبت السكاتبتان من كل فتاة رفض دعوة أى رجل يشتم منه
رائحة ممارسة حياة الفوضى وطالبوا الآباء بأن يعلموا أولادهم منذ الصغر على
الحياذ في مناقشة الأمور الجنسية والابتعاد عن هذه الموجه المدمرة التي
تطالب باسم الموده نشر التعليم الجنسي في المدارس ويعالج كتاب (التعاليم
الحقيقية للجنس) مرحلة خطيرة في حياة الفتيات هي مرحلة المراهقة فعندما
تبلغ الفتاة من العمر ١٦ عاما ويكون من الصعب عليها اتخاذ قرار حازم
تجاه هذه الأمور .

وغالبا ما تجد الفتاة نفسها مضللة وتتحرك وفقاً لمواقفها وأيس وفقاً
لعقلها . وتقول السكاتبة : أن الآباء والأمهات يجب أن يزرعوا فيهم بدلا
من الخوف من الجنس ، حب النقاء والطهارة تمهيدا لحياة زوجية نظيفة
وعليهم أن يفهم بان التحرر من القيم والأخلاق لا يمكن أن يجعل أيا
من الجنسين يثق في الآخر .

وعندما تقع الفتاة في تجربة وتخفى عن والدتها تكون قد وقعت
وحدها في مشكلة وتجد نفسها تنخرط في حياة تفقد فيها احترامها لنفسها
واحترام الآخرين لها .

وقد اكتشفت الدكتور جرتود أن الكثير من الفتيات كن ضحايا
مدارس تعليم الجنس وأصبحن لا يحترمن القيم والتقاليد التي عاشت عليها
الأسر العريقة منذ عشرات السنين تحتاج إلى جهد مضاعف لا نقاذ العشرات
من آلاف الكتب والمحاضرات والصور والأفلام التي تدفع من دفعاً وراء
حالم يلقي بهم إلى أسفل الحدود ودعت الدكتور جرتود إلى صحوه الآباء

والأمهات للعودة إلى مجتمع القيم والتقاليد ويجب أن لا نظلم الرجل ونقول أنه المسئول عن هذا التدهور فالرجل مهما كان تفكيره ومهما كان متحرراً يفضل في قرارة نفسه أن يتزوج من فتاة ذات قيم ويحترم شخصيتها ولا تلتقي بنفسها في وحل الخطيئة .

إن البصيرة منذ القدم تقوم على أساس أن الرجل يحدد ذاته في امرأة واحدة أما التعدد فهو ليس من طبع ما توارثته المجتمعات من قيم وتقاليد ، هكذا يواجه المجتمع الغربي ذلك الخطر الذي يسحق مجتمعه سحقاً ، وما أمرنا نحن أن نحذر فلا تقع في هذا الشلل المدلهم . وأن نعرف ماوراء هذه المحاولة الخطيرة التي تعمل على تدمير مجتمعاتنا وشبابنا .

(٣)

يقول كارل باسبرز : « في عالم محروم من الله ظهر ماركس نبياً واتخذ القوالب التي يستطيع العالم أن يقنع بها وأن يهمل لها و كان طبيعياً أن تسيطر على النفوس أساليب فرويد ومدرسية في منهج مهزوز في عالمنا المقلوب . هذا وقد أحس الناس بحاجة شديدة إلى التحرر وجاء التحلل النفسي فزودهم بهذا الوهم . إننا هنا بصدد عملية جبارة من عمليات الاستهواء الذاتي الذي هو نتاج صادق لهذا العصر المفتون والذي يسير جنباً إلى جنب مع أساليب السحر والتعاويذ التي استولت على عقول الناس ،

لقد كان فرويد هو الذي ابتدع ذلك المفهوم الزائف الذي سيطر على القصة والمسرح والسينما والأدب العربي جميعاً حين أعلن أن الجنس هو وحده الذي يفسر تصرفات الناس . وهو مفهوم لم يقر به علماء النفس وعارضوه وكشفوا زيفه وأعلنوا أنه واحد من عدة عوامل .

وقد عملت "يهودية" عالمية كل ما في وسعها لبث هذه المبادئ وفق

خطة لتحطيم المجتمعات الإنسانية وتدمير القيم الدينية والخلقية وإفساد العالم وبمثرة قواه وتضعيف مقوماته وتشكيله في خصائصه .

وإشاعة الإضطراب فيه ودفعه في أحضان الرزيلة وقذفه في بؤرة الانحلال .

ومع الزمن أعلى الأعلام الصهيوني مفاهيم فرويد واستعملها في غاياته الخطيرة وفرضها في مناهج الدراسة بالجامعات في مختلف أنحاء العالم كله بما فيه العالم الإسلامي نفسه ومع الزمن اكتشف علماء النفس زيف مفاهيم فرويد وجأت التطبيقات الإحصائية تؤيد أنها معارضة للانطردة وطبائع النفوس

وقد جاءت واحدة من هذه زيف نظرية فرويد التي تقول أن الفتاة تحب أمها وتسكره أباعا وقد أجريت التجربة العلمية فن خلال لوحات ثمانمائة طفل من أعمار تتراوح ما بين السادسة والخامسة عشره لموضوع الأسرة ، ظهر أن الأطفال من الجنسين يرتبطون بالأم ارتباطاً كاملاً لهذا تظهر صورة الأم في رسومهم مكبرة دائماً عند الصبيان بنسبة (٣١ في المائة) وعند البنات (٥٢ في المائة) ويعنى هذا أن ارتباط الطفل بشكل عام بوالديه في هذه المرحلة يحدث بنسبة متقاربة وهذا يخالف نظرية فرويد التي ترجح ارتباط الابن بأمه وكرهيته لأبيه .

كذلك زيفت دراسات العلماء نظريات الكبت وفساد رأيه في أن إعلاء الرغبات يؤدي إلى العصاب فقد كشفت الأبحاث أن الإنسان قادر على تأجيل رغباته النفسية وإعلانها دون أن يصاب بأذى .

وتبين من العديد من الأبحاث بظاهرة الانهزامية الواضحة في الفكر اليهودي كله وفي مجال الاقتصاد والاجتماع ، وخاصة في الفرويدية .

وأن محاولة اليهودية لإطلاق عبارة (حيوانية الإنسان) إنما تهدف
تخثير البشرية وهي دعوة بدأت مع تفسيراتهم لنظرية دارون واشتدت في
للركمية والفرويدية وهي نظرية تعتمد أصولها من فهم اليهودية للعالم بأنه
(جويم) وأنه أطبع مسخر مشياح للجنس المختار.

ولا ريب أن مفهوم الإسلام للجنس واضح وأصل فالجنس في الإنسان
فطرة وغريزة تولد مع الإنسان وتنمو معه ويتصل وجودها بوجوده
ويمكن أن تكون شراً إذا فارقها عن غير طريقها الطبيعي والصحيح الذي
حدده الأديان ووضعت ضوابطه.

وقد كشفت الأبحاث الحديثة عن سلامة مفهوم الإسلام الجامع وفساد
مفهوم الجنس عن فرويد. أن الدين هو العلاج الوحيد للاضطرابات النفسية
ويقول استيكل إن المرض النفسي ذا صلة كبرى بالضمير أو بالذات
الأخلاقية، ويحدث القلق الذي سيؤدي إلى الاضطراب عندما يقوم الفرد
بأعمال كان يتمنى ألا يقوم بها.

وأن هناك علاقة بين المرض النفسي وعذاب الضمير، وإنهما شيئان
مرتبطان متلازمان يسيران جنباً إلى جنب، وأن الألم قد يكون له تأثير ضار
مدمر للشخصية عندما يشعر به الإنسان ولا يستطيع أن يعبر عنه أو يعبر عنه
وإن الدين من العوامل المعينة للإنسان للتغلب على المؤثرات والصراعات
التي يتعرض لها وقد ساعد الأفراد على مر العصور على مواجهة قوى
الظلم والاستعباد.

والمفهوم الجديد للمرض النفسي لا تقوم على أساس الكشف عن
النزاعات اللاشعورية ومساعدة الفرد على إشباعها أو الشعور بها بل مساعدة
الفرد على أن يسترخى ويبدأ ثم يتراجع، والوسيلة في ذلك مساعدة الفرد

ليعمل على إرضاء الله تبارك وتعالى وأن هذا السلوك الروحي من شأنه أن
يعيد إلى النفس طمأنيتها وإلى الشخصية تكاملها . أن ملازمة الذات عملية
يستطيع أن يقوم بها المعلم ورجل الدين والموجه النفسي والآباء والأمهات .

والتفسير الديني للمرض النفسي يترتب عليه نظرية علاجية تعتمد اعتماداً
كبيراً على الدين لأن الدين هو الطريق إلى العقل والطريق إلى القلب أن
الدين يحدث نوعاً من غسيل المخ للفرد . والدين هو الطريق إلى بقاء
ودوام القيم الإنسانية التي تعتبر إداراً أساسياً لسلوك الفرد وتصرفاته
وأسلوب حياته ،

وهكذا نجد أن فكرة فرويد تهدم على الأيام وأن البشرية تحاول العودة
إلى مفهوم الدين الحق .

الحب الحرام

تعمل أجهزة التليفزيون والراديو والسينما والمسرح عن طريق الاغنية
والمسرحية والرواية على التحريض على الحب الحرام وان كلمة (حب)
التي تتردد في هذه الاجهزة عشرات المرات كل يوم لا تعنى إلا مفهوم واحد
هو مفهوم الجنس والتحريض على اقامة علاقات غير شرعية بين الرجل والمرأة
أو الفتى والفتاة وفي ذلك من الخطر ما فيه ، ذلك ان هذا الزكام الخطير يحاول
أن يقدم للشباب المسلم مفهوماً زائفاً عن الصلات الطبيعية والشرعية بين الرجل
والمرأة وأنه يفسر هذا المفهوم الكريم الذي يقوم عليه الزواج وتوحي بان
الشباب يستطيع أن يحقق رغباته دون حاجة الى سلوك الطريق الصحيح
أن الروايات والاغاني جميعاً تطرح مفاهيم مسموح من شأنها أن تضرب
كل القيم الأساسية للمجتمعات وأنها تحطم كل الضوابط التي بها تقوم
أمر الحياة والعمل .

وأبرز ما تقوم به هذه المحاولات إفساد كلمة الحب بمعناها الصحيحة :
حب الآباء والأبناء والأخوة والحببة للصديق والزميل . فالحب في معناه
الأصلي هو جمع الفضائل الإنسانية : وإليه ترجع الأبوة والأخوة والنبوة
والأمومة والصدقة ولكن هل هذا هو الحب الذي نعلمه لشبابنا إذاعياً
وتليفزيونياً ..

يقول الأستاذ حافظ محمود الذي أثار هذا التساؤل : إننا حينما نشبع في
أذهان الناشئة أن (الحب) هو الضغل الشاغل للفتيات والفتيان فليس شك
أننا بهذا اللون من التوجيه غير المباشر إنما نقدم لهم دعوة ضمنية بعدم احترام
أوقات العمل أو التعليم .

ويقول حافظ محمود : إنني أريد أن أقول لمؤلفي وناشري الاغاني أن
(الحب) هذا الذي لا وصف له إلا الحمس واللبس والعتاب على الخيانة
في هذه الاغاني ! معناها أن فتاة أو امرأة تفخر بعواطفها فتسبيل فتى بفتى
أو رجلاً برجل لأسباب لا علاقة لها بالعاطفة وهكذا تهدد الاغاني كرامة
الحب وتصوره بصورة التجارة بالعواطف كذاك فان التمثيليات في التلفزيون
أو الراديو التي لا يمكن حجبها عن الصغيرات والصغار من المشاهد أو
الاستماع ، تقدم أساليب خطيرة للفساد والجريمة والافلات وطرق اللقاء
بين الجنسين أو التكلم تليفونيا بعد أن ينام الكبار ، ولا ريب أن هناك
كلمات كثيرة تلتقي في هذه التمثيليات تترك آثارها العميقة في عقول الشباب
وقلوبهم ، وهي في مجموعها تحقر العلاقات الاجتماعية بين الآباء والإمامات
وبين الأزواج والزوجات وتكون عاملاً خطيراً في فساد الزيجات والعلاقات
وليس من الإمكان أن تعالج مثل هذه المسرحيات العابثة واثمة على الأهواء
لحل مشاكل المجتمعات وليس أخطر من أن تقدم مسرحية مليئة بالمعيبات
والفساد ثم تأتي خاتمتها بعد ساعات لكي تكون النهاية هي الطلاق أو القتل

فإن هذه النهاية مها كانت حكمها فإنها سوف لا تترك في النفس مثل الاثر الخطير الذي تركه الاستعراض الطويل للعلاقات الفاسدة .

يقول حافظ محمود : كم مرة تتكرر كلمة (احبك) من شاب طائش لفتاة غريزة كم مرة تتكرر هذه الكلمة من امرأة أو من رجل في مشاهد التمثيلات وما هو الجو الذي تلقى فيه هذه العبارة . إنه جو هروب من البيت أو المدرسة أو العمل أو هروب من الواجب نفسه ، جو خداع متبادل أو من أحد الطرفين للآخر ، جو يوحى للمراهقين والمراهقات أن عليهم أن يحطموا كل القيم في سبيل كلمة (أحبك) أنه من المكروه والمزول هو الصراحة التي تعطى للناشئة في هذه التمثيلات خاصة وأن هذه الصورة تعتمد دائماً على كلمة تقليدية رخيصة جداً هي أن الحب ليس حراماً ، أي حب هذا الذي ليس حراماً ، أليس حراماً أن يخاولوا إثبات من المراهقين أو غير المراهقين بعيداً عن الآعين . وكنا نعرف معنى الخلوة في مراجع الشريعة والفقهاء ولكن الحرام هذا يقع على صاحب التمثيلة أو الأغنية أنه شريك بالتحريض في كل جريمة تقع بسبب أو هام الحب عند الناشئين . بل أن أكثر من هذا يقدم مبرراً فكرياً للفتية الطائشين الذين يقفون في نواصي الطرق التي تؤدي إلى مدارس البنات في محاولات متكررة لإغراء هؤلاء البنات ،

وأنه لمن المؤسف تماماً أن تكون مشاهد التمثيلات المذاعة والمرئية لقد استغلت كثيراً كلمة الحب ، وأصبحت بمثابة لا تصور إلا حب المضاجع والسهرات الحمراء . وليست هي تلك العاطفة الكريمة وليس من شأن الفنون أن تحطم العواطف والقيم والأخلاق ولكن على الفن أن يتحرك في إطار الفضائل ، ويكون تصميماً لغرائز الإنسان وإعلاء لهيباته .

ولقد وقف الإسلام موقفاً صريحاً في الدعوة إلى العفة وإلى توجيه العاطفة إلى الزواج دون أن يترك تلك الفجوة التي من شأنها أن تفسح

الطريق للزواج والحدود، وأن تكون علاقة الشباب بالشباب علاقة عينية
بالملاقة مع الأخوات المحضات، ولهذا لا إحصاء لأجل الناس ما لا يحل
لأهلهم. وأساس الملاقة بين الرجل والمرأة في الإسلام هي التحفف والحذر
من العلاقات غير المشروعة وأوجب على مرتكبيها أقصى الحدود وجب
الزواج ويسر أسبابه. قد أفصح المؤمنون الذين هم لغروهم حاقطون،
وحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم واضح وصريح. بامعشر الشباب
من استطاع منكم الباءة فليزوج فإنه أخص للبصر وأحصن للفرج ومن لم
يستطع فعليه بالصوم فإن له وجاء.

وعلى الشباب المسلم المثقف أن يفرق بين العاطفة وبين الشهوة وأن
يعرف أن هذه العاطفة هي منطلق الملاقة الطبيعية التي شرعها الحق تبارك
وتعالى لتلاقي الرجل والمرأة في أسرة رشيدة تبنى وتشيد وتعمر السكون وأن
يعتصم الشباب بربهم في الإعلاء وأن يوجهوا عاطفتهم إلى العمل النافع الذي
يمكنهم من الحصول على رغبتهم من الطريق السوي: طريق الزواج المشروع.

وعلى الشباب المسلم المثقف أن يعرف أن الاتصال بين الرجل والمرأة
شيء غريزي ولكن الإسلام هو الذي نظم الحياة ووضع ضوابطه وقوانينه
 وحدوده حتى لا يقع الجنسين أو أحدهما في الإغتصاب أو الفساد للسلاسل
وحتى يحتفظ المرأة بكرامتها وحتى لا يستطيع الرجل أن يخذلها أو يأخذ
حقها أو شرفها ولذلك حدد الملاقة بين الناس بأعطاء الحرية إلى الحدود التي
لا تخفق عليها أ على الآخرين.

وقد جاء تحريم الزنا احتراماً للمرأة وتنزهها لها عن العبث وارتفاعها بها
أن تكون أداة متعة للرجل وحتى لا ينسب الطفل لغير من أنجبه وقد كان
لصحر الزنا وعقوبة الرجم أكبر الأثر في القضاء على هذه الجريمة فلك أن
عقوبة الرجم لم تطبق في التاريخ إلا على آحاد.

ولاريب أن قيام المجتمع الإسلامى بإعداد الضوابط من شأنه أن يحمى هذا المجتمع من آثار الاباحية التى تدفع إلى الاختلاط والفاحشة .

إن هذه الأفكار المسمومة التى ي طرحها دى سيمون بوفوار و فرانسوا ساجان وما يتلوه به القصص الجذسية من كلمات ومفاهيم إنما هى د أهواء ، ضاله حاولت أن تتمثل فى صور فنية براقة لا يندفع بها المسلم المثقف الذى يعرف مداخل الأمور ومخارجها

وقاعدة الإسلام الأساسية هى العفاف والاتصال فى الإطار الذى شرعته الأديان . فالمرأة هى الأم والأخت والأبنة وما ينبجيه الفرد لنفسه أذاء أى امرأة يمكن أن يكون نفس مصير أهله وبناته . وقد أحاط الإسلام هذه العلاقة بكثير من الضوابط التى يحميها من الفساد والاطراب وتحر كها فى إطار العفاف والكرامة وحيانة العرض وحماية الحدود وتكريماً للعلاقة التى بين الزوجين .

ومن أجل ذلك حرم الإسلام الموسيقى والأغاني التى تثير الغرائز ، وحرم ارتياد حفلات الرقص وكل ما يثير الغرائز والأندية العامة وكره للمسلمين ممطيات الحصارة من الخمر والكشف والاختلاط وأدوات منع الحمل والإجهاض لأنها كلها من العوامل التى تفسر العلاقات بين الرجل والمرأة ودعا بالجملة إلى تقييد الغرائز وليس إلى هاجتها وإثارتها .

الفصل الثالث

الفن

يقوم المفهوم الاسلامي للفن على استحالة التناقض مع الفطرة فإذا كانت الفنون من روح الفطرة وجب ألا تخالف أو تناقض دين الفطرة : دين الاسلام في شيء ، فإذا خالفت في أصوله ودعت صراحة أو ضمنا إلى رذيلة من أمهات الرذائل التي جاء الدين لمحاربتها وعاقبت الإنسان عن أن يعمل بالفضائل التي جاء الدين لإيجابها على الإنسان حتى يبلغ ما قدر له من الرقي في النفس والروح ، إذا خالفت الفنون الدين في شيء من هذا أو في شيء غير هذا فهي بالصورة التي تخالف بها الدين فنون باطلة ، فنون جانبت الحق وأخطأت المطرة التي فطر عليها الناس والحقاق (محمد أحمد الغمراوي) .

ومفهوم الفن في الإسلام يقوم على أساس أنه عنصر من عناصر الفكر يتكامل مع الأدب والاجتماع والاخلاق والدين والحضارة ، وهو في الإسلام له طابعه الاصيل الواضح المبين لمفهوم الفن في الثقافات والحضارات الأخرى ، وقوامه الاخلاق وطابعه التوحيد ، يتسامى بالفرائض ويرتفع بالنفسي الإنسانية إلى الكمال دون أن يبعد عن الواقع والفن في نظر الإسلام أداة تجميل ووسيلة الاسعاد الروحي والنفسي بتحرير الإنسان من عالم الاهواء والفرائض وأطلاقه في نظرة حرة إلى الكون والوجود يعرف فيها قدرة الله وعظمته ويزداد بها إيمانا .

وقد كان الفن اليوناني بطابعه المادى الوثني يجعل الاولوية للتمائيل المجسمة ، إعجابا بالاجساد وعبادة تصور الجمال ومظاهر القوة ولكن الفن الاسلامي مستمدا من مقوماته الأساسية يجعل البيان والشعر والأدب

في مقدمة قائمة الفنون ، الكلمة البايغة والفكرة الموحية ، وذلك انتقالاً من عالم المادة إلى عالم الفكر ، فالتأمل أوسع العوالم ، والفكر في خلق الله أعظم معطيات العقل والروح : (نون والقلم وما يسطرون) وبذلك أصبح رائد الفن : البيان الذي يتمثل في أسنى صورته بالقرآن الكريم وبذلك رفع الإسلام الفكر البشري إلى الأمام انتقالاً من مفهوم الماديات في الفن إلى مفهوم المعنويات ، وسلك المعنويات والماديات في إطار جامع متكامل ، وبذلك فقد حرر البشرية من مفهوم المادية الخاصة التي تقدس الجسد والشهوات والغرائز والوثنيات وتقيم لها المهرجانات والطقوس . ودفع البشرية إلى الانتقال من تجسيد البطولة في صورة مادية إلى تكريم عمل الإنسان نفسه .

وأبرز سمات الفن في الفكر الغربي لا تجد في مجال الفكر الإسلامي مجالاً لها :

أولاً : المسلم لا يعبد الجسد الجميل عبادة وثنية بحيث يقدم له القرابين وكل ما يتصل بذلك من أساطير الحب والجمال عند الإغريق وهي حافلة بالمبازل لا تجد في أفق المجتمع الإسلامي قبولاً .

ثانياً : الإسلام لا يقر الصراع بين الآلهة والإنسان أو بين القدر والإنسان ، على النحو الذي يقوم عليه الفن الغربي ولا يؤمن المسلم بأن الإنسان يثبت ذاته بمصارعة القدر والآلهة ولا بأن الطل الصالح يتحطم على يد القدر والآلهة وكل هذه المعاني المأساوية مستمدة من فكرة الخطيئة الأصلية .

ثالثاً : المسلم لا يؤمن بتعدد الآلهة ولا تجسيد الآلهة في صورة وثن حسي (١٠ - المجتمع الإسلامي)

جلوس كالمثال المدية في العقائد الغربية . في ذلك الخط المعيب بين
السبحة والهاينة .

رابعاً : المسلم لا يؤمن بعبادة الطبيعة أو المحسوسات .

ومن هنا فإن مفهوم الفن في الإسلام محدد من كثير من هذه القيم
التي يقوم عليها الفن الغربي والتي تتعارض أساساً مع الإيمان بالله الواحد .

٢ - كذلك فإن الإسلام لا يقبل تجسيد البطولة في صورة مادية ، ليس
قط حفاظاً على مفهوم التوحيد من خطر الاتصال بالتماثيل والأصنام التي
كانت تمثل عبادات ما قبل الإسلام ، ولكنه ارتفاعاً بالنفس الإنسانية من
أن تتمثل في مفهوم مادي ، بينما جاء الإسلام محرراً به للبشرية من التجوذة
بين المساديات والمعنويات . والفنان المسلم له طابعه المبدع متحرراً من
الخنوع للذاهب الوثنية التي تقول بتقليد الطبيعة أو التفوق عليها ولذلك
فهو قد طرق آفاقاً أخرى غير هذه الآفاق ، في التعبير عن المعاني فأوجد
أنواعاً من الخطوط والدوائر والزخارف والوحدات المتشابهة والمتداخلة .

وقد أبدع الفن الإسلامي في مجال رسوم الحيوان والطير ، وتصوير
الآحياء ، وغزا الفنان المسلم جميع فروع الفن الإسلامي من عتقوطات
وأخشاب وعمارة وزجاج ومعادن وعاج وزخرف ومذسوجات كما زينا
كتب العلم والأدب والدين والتاريخ بصورة سر بعض ما تتضمنه من بحوث
وإحداث . وقد خلق الفنان المسلم من الحروف العربية ذات الأشكال المتباينة
والأوضاع المختلفة طرازاً زخرفياً يتمثل فيه الجمال والقوة ، وإقامة فن
الرقش ، أو الأرابيسك على وحدات متناسقة على نحو غاية في البهجة
والرواق الجميل .

وهكذا خلق الفن الإسلامى مذهباً جديداً مستمداً من خصائص الإسلام فكان فناً منطلقاً وتجديداً مميزاً وليس جامداً ؛ وأن المرقشة فى الفن الإسلامى حيث لا مبدأ لها ولا منتهى ، إنما تتمثل مفهوماً من مفاهيم التوحيد لأنها تسمى وراء الله الذى هو الأول والآخر ومنه تنهى الأسباب وإليه تنهى المسببات والرقش حين يمتد بلا نهاية ، إنما يسمى وراء الصورة المثل ، وهذه اللانهاية إنما تحمل دلالات هامة للروح الإسلامية التى آمنى بالله غير المنظور وغير المحدود ، فالفن بهذا هو الممثل الأعلى لمفاهيم الخير والحق والجمال وإليه اتجهت قلوب المؤمنين لترتفع إلى مستوى هذا المثل الأعلى عن طريق العمل الصالح أو طريق الاجتهاد والإبداع (بتعرف عن بشر فارس ومحمد عبد العزيز مرزوق) .

وينطلق الفن الإسلامى من مفهوم الفكر الإسلامى الذى يرتكز إلى حد بعيد على القاعدة والعقل ويتعدى عن الموى والأسطورة والارتجال ، ولقد كان قبول "فن الإسلامى" لنظام التوحيد مصدر المحافظة على الوحدة والمكانة والشخصية وبقيت بذلك الروح الإسلامية هى المنبع الأساسى للمصادر الجارية والدلالات العميقة للشاعر المبدع .

٣ - وقد شهد جوستاف لوبون وبرجسون وهاملتون جيب على أن الفن الإسلامى يحمل شخصية مستقلة متماسكة جدرة بالإعجاب ، وأن الحد الذى وقف عنده الفن الإسلامى فى إبراز عملية الخلق هو حد الإسلام ، الذى جاء على مبدأ التوحيد ولذلك فهو يرفض كل شريك لله فى قدرته الخالقة .

وقد أشار الباحثون إلى أن الخط فى الفن الإسلامى كالكلمة فى الشعر تسيرون وفق تأثير داخلى من الرسام فكما أن الشعر يستعمل الكلمة حسب وزن الشعر وقافيته ، كذلك الرسام المسلم يكيف الشكل وفق صيغة موزونه مؤثرة

ومخطوط ائنة مناسبة بالنظام تشكل تناظراً مضطرباً بحركة دائمة لا تقف
عن حد . واللون في الفن الإسلامى مرتبط بروح الأمة وبمناخ الحياة
التي تعيشها .

(٢)

يتميز الذوق بمدة ملامح لها أثرها في الفن الإسلامى :

المسلمون لم يخلقوا من الحجارة ما خلقته الأمم الأخرى من فراعنة
ورومان من تماثيل وهياكل وأوابد الحضارة الإسلامى لم تسجل بالصخور
بل بالأعمال الحية . كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز : يستأذنه في أن يبنى
لمدينته سوراً فقال عمر : حصن مدينتك بالعدل ، وتتمثل الهياكل الرومانية
والأهرام في ظل مفهوم العبودية المرير الذى تحطمت فيه مناكب البشر تحت
أقوال الصخور . ولذلك فإن العرب أخذوا من هذا المفهوم لم يتعلقوا بالآثار
الضخمة وإنما تعلموا بالآلال التي تحمل ربح الأحياء ، وفن العمارة الإسلامى
لم يتميز بالجمال والرفة ، والذوق العربى - لم يتعلق بالتصوير كفن من الفنون
الجميلة ، لأن الروح العربيه (العميق الاستعداد من الخفية الإبراهيمية إلى الإسلام
في عصر محمد) لا تميل إليه كفن يمسح الأشكال إحيه الجميله بحيويتها ويحيلها
إلى صور جامدة . وإن الفن الذى تعلق به العرب هو الشعر ، لأنه أَرْضَى
مزعجتهم في الحيوية والاستشارة والموسيقى امتداد للشعر . وحضارة المسلمين
والعرب حضارة أعمال خالدة لا آثار خالدة ، ففنونهم فنون عواطف جياشه
لا فنون أخيلة جامدة (عبد السلام العجيلي بتصرف) .

٢ - والفن الإسلامى لا يهدر كرامة الفرد ولا يهدر حق الجماعة ، ومن
التقوش الكثيرة في الإسلام إذا ما نظرت إلى الجزء الصغير وجدت له ذاته

وجوده وحدوده . ولكن في نفس الوقت يمكن أن يكون جزءاً في كل كبير، وذلك أن الاسلام كما يخدم الجماعة يخدم الفرد ، ويوجد هذا التناسق في مجتمعنا الحى بين الفردية والجماعية ، كما يوجد في الفن بين الجزء الصغير والجزء الكبير احترام الاسلام للفرد واحترام الاسلام للجماعة في القرآن (عبد العزيز كامل)

(٣)

يرفض الإسلام : النقل المباشر عن "طبيعته" وهو ما يطلق عليه في الفن "عربي والمحاكاة"، فقد قرر الإسلامى وأكده التحريم القاطع للنقل المباشر عن الطبيعة ، ذلك النقل الفج الذى يعيد نسخ المخلوقات الحية على سطوح الجدران والمعابد والوحدات . ويثبت هذا التحريم من فكرة (التحرر الوجدانى) العميقة الشاملة التى أراد بها الإسلام أن ينقل الإنسان من عصور الوثنية والتعبد للقريب الملاصق إلى سموات التوحيد الخاص، ولما كان لا يقال أى باب أمام قدرات الإنسان التعبيرية فى أى مجال من مجالات الحياة كفى لا يفتح باب آخر للتعبير عن الباب المسدود فقد وجد الفنان المسلم آفاقاً جديدة للفن بعيدة عن ما حرمه الله وقد جاء هذا التحريم لنقل صور الخلائق والوثنيات نقلاً مباشراً ساذجاً من الطبيعة إلى عالم الفن دون أى تدبر من التجريد أو إعادة الصياغة فى أمة على اعتاب عصر حضارى - كان يعنى إن المسلم سيفتح أبواباً وأبواباً للتعبير عن طاقته الفنية بما ينسجم والصورة الجديدة وفعلاً فتح بعض الأواب فجاءت طرز الخطوط والأشكال التجريدية الهندسية كما جاءت المساجد بقبابها ومنازلها ونظمها العمرانية الرائعة .

أن رفض الفن الإسلامى إذن نظرية المحاكاة أو التقليد (التى هى أساس الفن الاغريقى والغربى) للنقل المباشر من الطبيعة قد فتحت الطريق أمام التجريد وإعادة

الصياغة ، فالفنان المسلم يحمل موقفا عادلا مزدوجا تجاه قضية الفن والطبيعة
فإنها أقوده إلى التقليد والنسخ وتقضى على الإبداع والابتكار ولأنها تخضع
حق الإنسان لقوى الأرض وطبيعتها وتمنعه من التطلع إلى السماء إلى الاتفاق
البعيدة ، إلى ما وراء الملموس والمنظور. ولأنها تعيده إلى آلة الرصد وتسجيل
وتصد عنه تفجير إرادته وإبداعه لصياغة مادة الأرض وفق ما يطمح ، كما
أن هذه النزعة تقوده بالضرورة إلى الإذعان لفكرة أن التخطي في الوحل
والتمرغ في القمامة والركض وراء نداءات الجسد والطعام هي القضايا
الأساسية ربما الوحيدة التي يجب أن يدلي الفن بدلوه فيها .

والفن الإسلامي يؤمن بأنه ليس نعمة عجز في الطبيعة يكملها الفنان ،
وليس الطبيعة إلا واحدة من آيات قدرة الله التي تنشق في كل لحظة عن ملايين
الصور فهو لا يواجهها بالجمود أو يواجهها بالاعجاب بها وإنما يواجهها
بالاعتراف بقدرة الله القادر فليست الطبيعة معبود كما هي في الفن الغربي وليس
الفنان يقاد على أن يصنع وما يضاهاها ليس في تصور المسلم فعل نمائى تقوم به
الطبيعة في ذاتها ولذاتها إذ ليست الطبيعة بكل أشكالها سوى صور من خلق
الله وقدرته الفنية المعجزة ومن ثم إن القول بأن الطبيعة عجزت عن الكمال
قد توحي بأحد شيئين كلاهما يرفضه تصورنا :

أحدهما : أن الطبيعة مستقلة بذاتها عن أى توجيه خلاق خارج
نطاق العالم .

ثانيهما : أن الإنسان قد يتفوق أحيانا على الإله الذى خلق طبيعة ناقصة
لم يستطع إتمامها فجاء الإنسان لى يتهما .

كذلك ليس في التصور الاسلامى عصيانا وتمردا تقوم به الطبيعة ضد خالقها ،
كل هذه مفاهيم وثنية ومادية غربية أفسدت مفهوم الفن ، والاسلام منها براء
والفنان المسلم لا يقول كما كان يقول أرسطو : من شأن الفن أن يصنع ما عجزت

الطبيعة عن تحيته : بل يقول مردداً قول القرآن عن صانع الطبيعة الله تبارك وتعالى : (الذى خلق سبع سموات طباقاً ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير) .

كذلك فإن فن النحت يحمل أيضاً عدداً من المحاذير التى تقود إلى الوثنية . ذلك أن فلسفة الفن فى الغرب تنطلق من تصور خاطئ لموقف الإنسان فى الكون واهمراع معطياته الخلاقة مع خلق الله واعتقاده بأن فى إمكان أعماله الفنية أن تحصل وحدها على الخلود فى عالم فان ، يزول فيه الإنسان والأشياء . إن هذه الفلسفة تقودنا هى الأخرى إلى الوثنية بطريقها : (التعدد) الذى هو ضد اتوحيد المطلق والإذعان لقيم وضعية عن طريق التشبث بها . عليها تتمتع الإنسان ، والفنان المسلم يحذر أن يخطر له يوماً خاطرة أنه فى معطياته الفنية إنما ينافس خلق الله أو أن يسعى جاهداً لإكمال النقائص التى تستطيع الآلهة إتمامها ، كما توهم بعض الغربيين ، وكأنهم بهذا يحملون حساً وتصوراً طفوليين يعود بنا إلى عصور البشيرة الأولى .

فالفنان المسلم لا يتجاوز طريقه المستقيم وليس فى عمله رفض وعداء للطبيعة أو محاولة للتفوق عليها وعلى صانعها وليس له إعجاب بها يتجاوز لحظات الاستغراق والتأمل انتقالاً بالخطأ إلى إجلال الطبيعة أو تقديسها وعبادتها (عن دكتور عماد الدين خليل بتصرف) .

(٤)

حظى الخط من عناية الفنان الملم بنصيب وثير ، وكان للخطاطين مركز ممتاز ، ولقد خلق من تلك الحروف ذات الأشكال المتباينة والأوضاع المختلفة طرازاً زخرفياً تبدو فيه صور من الجمال شتى بعضها يفيض بالقوة

وبعضها يفيض بالرفة والآنفة ، أوجع إليه الحروف العربية برؤوسها
وسيقانها وأقواسها وعدائنها ، عناصر زخرفية ما كان يرسمها حتى تبعث فيه
تلك اللذة البريئة التي يحسها الفنان عندما يشاهد آثارها جميعاً .

وقد بلغ في الخط + الزخرفة ، شأوا بعيدا قل ما يشهد به ، إن كلمة
"الأرابيسك" ، علم في تاريخ الفن على نوع معين من الزخرفة ابتدعه الفنان
المسلم ومجالها رسم الوحدات الزخرفية وتوزيعها والتكليف بينها وتنسيقها
ورسم الأزهار والأشجار والأوراق والسيقان والطيور والحيوان .

والبعد عن الطبيعة في الفن الإسلامي ناشئ من تلك العقيدة التي يؤمن
بها كل مسلم أشد الإيمان ، ذلك أن البقاء لله وحده وأن العالم بمن فيه
وما فيه مالمسكه إلى الزوال (كل شيء هالك إلا وجهه) فليس من اللائق
أن يخلق رجال الفن بأعمالهم الفنية ما كتب الله عليه الفناء ، وعلى الفنان
المسلم ألا يرسم بريشته ما يفضاهى به خلق الله (الشخصيات - التماثيل -
الطبيعة) كان يرى في عمله كله أن المخوقات كلها تستوى لديه : الحيوان
والإنسان والنبات والجماد باعتبار أنها لا تثبت على صورة واحدة بل تتغير
من حال إلى حال وليس لها جميعاً إلا وجود زائل سائر إلى الفناء أما الخالق
وحده فهو الخمي الباقي .

٢ - إن الإسلام لم يستخدم الفنون الجميلة في دعوته كما فعلت الوثنية
المسيحية ولم ينكرها كما أنكرتها اليهودية ولكنه أثر فيها ببعض توجهاته
ونظمه (عبد العزيز مرزوق) وهناك قانون الآقفية في الفن الإسلامي :
الذي جعل الفنان المسلم ينفر من الاتجاه الصعودي باستثناء المأذنة التي تشق
في سموها الآقفية الغاية في بناء المسجد ، فحين يخطط زوايا يؤثر المنفرجة ،
وحين يبرز استدارات فإنه يطررها بأطار مربع ، وحين يقيم قباباً فإنه يهتم

بتصغير نسبها حتى لا تفسد أفقية البناء بل يوزع تكورها على فصوص أو يقضى عليه بأن يستبدل بها تقاطع العقود أو يهبط به إلى مستوى القبوات .
(محمود عبد العزيز سالم) .

٣ - الخصائص الجمالية في العقد الإسلامى توجد موزعة على جهات أربع : الخط ، اللون ، النور ، العمق ، الخط تأكيد على معنى الرسم ويمتاز الخط فى الفن الإسلامى بالوضوح والثبات والانتظام والرقش يمتد بلا نهاية ساعيا وراء الصورة المثلى مؤكدا على بساطة الوجود داعيا بالحاح الى الله .

٤ - اتجه الفنان المسلم إلى الزخرفة الهندسية : وبعث فيها روحا بدت فى ثوب من الجمال قشيب لم يكن لها قبل الإسلام .

وكان الفنان المسلم يصدر دائما من عقيدة مؤداها : أن الثبات وعدم التغير من صفات الحق وحده دون مخلوقاته التى من شأنها التغير والآية الكريمة (كل شئ هالك إلا وجهه) تكشف عن السر النفسانى الذى تقوم عليه الزخرفة الإسلامية المعروفة باسم الأرابيسك : ذلك بأن المسلمين جميعاً يعتقدون بأن البقاء لله وحده وإن العالم بمن فيه وما به مآله إلى الزوال (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وقد انعكست هذه العقيدة على الفن الإسلامى بأوضح صوره ، إذ كان الفنان المسلم يرى أنه ليس من اللائق أن يخلد شيئا فى هذا العالم الذى كتب عليه الفناء فليست به حاجة إلى تخليد جمال الطبيعة بالنقل عنها نقلا صحيحا مادامت سائرته إلى الزوال . لذلك كان يأخذ من عناصر الطبيعة ما يريد ثم يهذب ما شاءت له ميوله ومواهبه ثم يكون من هذه العناصر المهدبة زخرفة لا تمت إلى الطبيعة بصله قوامها اغصان نباتية متشابهة ينفرد بعضها من بعض وأوراق شجر مختلفة يخرج بعضها من بعض وأزهار وفراكة وحيوانات منشقة قد تتخلل الأغصان .

(٥٠)

مفهوم الإسلام للجمال : أن يكون الجمال المعنوي لا ماديا، وأن تكون الأخلاقية سابقة على الجمالية في الحياة . والجمال المعنوي في مفهوم الإسلام يزيد على جمال اللغة والفن ، وهو دعوة إلى كل من يعمل بالأدب أو الفن أن يكون وسيلة تعبيره عالية ، موحية ، مرفعة بالنفس الإنسانية إلى آفاق الخير والإيمان . ولذلك فإن الفن الإسلامي يتحرك داخل إطار أخلاق تنسجها القيم المعنوية وتجعله الضوابط عن أن يحرف ، ولذلك فإن الإسلام يقرر التوازن فيه الروحي والمادي ويجعل أولوية الخلق على الجمال فالقيم والضوابط مقدمه على النزعة الجمالية الصرفة ، حتى يمكن أن يقال أن الثقافة الإسلامية هي ثقافة الفن وهي عكس النزعة الاغريقية ، التي أطلقت الجسد المادي وقدمت الجمال المادي على حساب الخلق ولذلك فالفكر الإسلامي يرفض النزعة الغريبة السادية اليوم التي تدفع إلى توجيه الفن إلى إشغال الغرائز الجنسية وذلك بابتكار الألحان المثيرة والرقصات الخالية المكشوفة . ونرى أن مهمة الفن هو السمو إلى آفاق النفس وأسعاد الإنسان ، بتحريره من أهوائه وغرائزه والفن الصحيح يسمو بالأخلاق كما يهذبها ويصقلها ، ومن الحق أن يقال أن شعوبا اضاعت ذائقتها وكيانها ومقدراتها لو انما أطلقت الفن من الضوابط الأخلاقية ، وفي مقدمة ذلك اليونان والرومان فإنها عند ما فصلت الفن عن الدين والأخلاق تسرب إليها الانحطاط ودب في جسمها عوامل الفناء ولقد تبين لكل المصالحين أن الفن إذا لم يسكب بلجام الأخلاق يفضي حتما إلى فساد الأخلاق ، وأن الفن إذا كانت غايته الفن وحده فإنه يهدم نفسه ويهدم أمته ، ومن هنا كان القانون الأخلاقي هو أساس الفن الإسلامي . والالتزام الأخلاقي يفرض أن يكون الأخلاقية مقدمة على الجمالية وأن تكون الجمالية في إطار الأخلاق ، ذلك لأن قانون الأخلاق هو الديدان القائم على حراسة المجتمع ويرى الإسلام أن كل العناصر (أدب وشعر وفن ورسم وموسيقى) لابد أن

تتحرك في إطار العقيدة وفي ضوابط الأخلاق ، وأن مهمة الفن ووظيفته الأصلية هي تهذيب النفوس ، ولذلك يجب أن يخضع للغاية العليا من وجوده .

(٦)

في الإسلام كل المعطيات تتحرك في دائرة الإسلام الثابتة والمرنة في نفس الوقت والفن واحد من هذه المعطيات يبدأ من نقطة النفع والمصلحة ويتحرك إلى غايته دون أن يكون مطلقا بغير هدف أو هادفا إلى غاية غير الحق والخير .

والإسلام لا يقر هو ايات الترف المطلقه . ولا الوسائل الدافعة إلى الإباحية والانحلال والفنان الذي لا يتحرك في إطار الوجهة العامة فهو نشاز في جوقه أمته ، أو هادم لوحدثها أو خاج على حدود مجتمعا أو مفسد لمنهلا الاعلى أو مبلى لخواطرها .

والعقلية الإسلامية هي عقلية راشدة وتحسن التلمذ على الطبيعة في تقدير لباب الأشياء ولا تسويها حياة القشور المزوقة والثرثرة والجدليات ولا الاستعراضات المسرحية والانطلاق وراء النوازع والشهوات أو التحلل من قيود الإجتماع بمجه الحرية الفكرية ، .

والإسلام لا يقر الصور الفنية المنحرفة إلى د زازل وتفسد عقلية ومشاعر الناس وتأخذهم إلى حياة اللذة والجموح الذي لا تحمي الحياة العميلة ، ولا عبره بتلك العبارات البراقة الخادعة التي ينظمها أولئك التغريبيون من دعاة الفن للفن من أن الفن له مطلق الحرية ، أو أن الفن ليس مصلحا أو أن الفن تنحى أمامه الحياء فذلك زيف يراد به تقديس الباطل وإعلاء الفاسد ، وهادام الفن ليس منطلقا من الفطرة ، مطيعا للحق والخير فهو باطل وفاسد ، والإسلام لا يقر إطلاق الفن من قيد الأخلاق أو من دائرة الخير والحق ، والفنان ليس مؤهلا

لأن تكون له قداسة من أي نوع ، لا هو ولا الأديب أو الشاعر ، وليس مطلوباً من الأديب أن تصور الذنوب بحيث ينرمي بها الذين لم يعرفوها ، وإنما تكون دعوة الفن ، موازية لدعوة الخير والفضيلة والهدى ، داعية إلى تطهير النفوس وتنقية القلوب وتحرير العقول من أهواء الشهوات والإباحيات والمحرمات .

ونحن نعرف أن الأمم لا تهزم إلا من الخراف فنونها وأدابها وخروجها على الضوابط والقيم ولقد دمرت الفنون المحرمة اليونان والرومان والفرس والفرانجة وكل المجتمعات لأنها خرجت عن الضوابط والحدود التي رسمها لها الدين الحق ، وأن الفن الغربي المادى اليوم ليسير في نفس الطريق الذي سار فيه الفن الرومانى الوثنى هادماً كل القيم متحلاً من كل الضوابط قائماً على الإباحية والشذوذ والتشاؤم وكلما تصدر عن الفكرة الغربية المضرة الخطيئة الأولى ، التي لا يعرفها الإسلام ولا يقرها .

وعلى الفنان الحق أن يبحث في تراث قومه ومجتمعه عن ينابيع وحيه وأن لا يفترض أساطير الآخرين وفلسفاتهم وأوهامهم ، إن الآداب العالمية مليئة بالوثنيات والأساطير والرموز والقضايا الفلسفية التي هي غريبة عن أمتنا وفكرنا ، ولا نفع لنا فيها ، وليكن الفنان على يقين من ضوابط أربعة لابد من حيادتها والحفاظ عليها :

١ - اليقين باليوم الموعود : يوم الحساب .

٢ - الخضوع للحق تبارك وتعالى .

٣ - العمل بما جاء في القرآن .

٤ - النظر إلى محمد صلى الله عليه وسلم كنبى بشر اصطفاه الله لتبليغ رسالته وأن يفرق بين الألوهية والنبوة ، وأن يفرق بين النبوة المحصورة

والبشرية التي تخطئ ، وتصيب والإسلام لا يقر العرى ولا التماثيل العارية ولا يقر الترف ولا استعمال الآواني الذهبية أو الموسيقى الصاخبة أو الأضواء الكاشفة التي تتمثل في المهرجانات اللاهية وإنما يعرف البساطة والتواضع والسلام بعيداً عن كل المظاهر البراقة .

ويؤمن الفنان المسلم بأن الفن أداة لغاية الإنسان السامية ، وأنه يسير دوماً وفق مجموعه السنن الأخلاقية ، والقيم العليا التي ترفع الإنسان فوق المادية والأهواء والفردية والأنانية وفوق اللذات والشهوات العاجلة . والفن بوصفه أداة يجب أن يخدم الغاية الكبرى وأن يسير وفق سنن الله ، غير متحرف لفساد أو متحيز لطوى إيماناً بأن الحياة الدنيا ليست في ذاتها غاية ولا نهاية .

(٧)

القرآن والفن

يقدر الإسلام الفن الجميل لأنه يقر حق الإنسان في زينة الحياة الدنيا ومتاعها من غير سرف ووفق ضوابط سمحة ، دون الجور أو الانحراف ويرتبط الفن في مفهوم القرآن بالأخلاق والتربية وإيجابية بناء المجتمع ولذلك فهو يثرى النفس الإنسانية ويتسامى بها نحو لا أن يحقق القوة والحركة والتقدم في الحياة . وتقدير القيم الأساسية : التوحيد والحق والخير والجمال والعدل .

والفنان في مفهومه الإسلامى ليس بعيداً عن الحب والعاطفة الحسية ولكنه يتمثل ذلك في إطاره الواسع الرفيع ، فهو يرفض إثارة الطاقة الغريزية السكائمة في أجواء النفس الإنسانية ولكنه يلفها ويعلمها ويسمو بها ،

ويجمل هذا قاموسه الأساسية في الرسم والنقل والموسيقى والفن ، وفق قاعدة
التحرر الكامل والافتتاح الواسع بمختلف الفنون والمظاهر ، ومنهجية
فيها الأخلاق والدين والفكرانية والمرونة والأريحية والشمسية .

وقد عني القرآن بالفن الجميل ووجه الأنظار إلى مفهوم الجمال
والزينة في المخلوقات بمنزلة في نفس الوقت بناحية المنفعة ، ووافقة القرآن
إلى الفن والمنفعة ومختلة في عبارة : « ولكم فيها جمال » ، وقد أباح الإسلام
الاستمتاع بالفن والزينة وخص من دائرة الاعتدال : « يا بني آدم خذوا زينتكم
عند كل مسجد وكُلُوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » ،
« قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق . قل هي للذين
آمنوا في الحياة الدنيا خاصة يوم القيامة » .

وبذلك دعا القرآن إلى تذيب الذوق وتربية حاسة الجمال . ودعا إلى
التأمل في مظاهر الجمال ، هذا التأمل الذي ينمي قوة الملاحظة وقوة الفكر
وقوة التدبر ، وهي العمدة التي يقوم عليها الفن .

وقد تأثرت الفنون الإسلامية بجوهر العقيدة التي رسمها القرآن والسنة ،
وكان لهذه المبادئ والأسس أثر كبير في صياغة الفنون الإسلامية بما ألبسها من
شخصية مستقلة لا تفرقت بها بين الفنون الأخرى ، وانطلاق الفن في جو
الحضارة الإسلامية مستمد من مفهوم الإسلام نفسه الذي لا يجعل مثله
الأعلى زهداً في زينة الحياة أو إمراً في متعة الحياة بغير ما أحل الله .

فقد كان مفهوم الإسلام مطابقاً لفطرة الإنسان ونزعاته وما ركب فيه
من غرائز وميول ، فلم يحاول كبتها بل أتاح له فرصة تلبية ما تنطوي عليه
النفس البشرية من غرائز وميول مع الاعتدال والتوازن ، وقد تقبل الإسلام
مناهج الحياة وامتتها ما دامت لا تتعارض مع أصوله ولا تخرج عن دائرة

الاعتدال والتوازن . وبذلك لم يجد المسلمون في دينهم ما يحول بينهم وبين الفنون الجميلة .

وقف الإسلام إزاء (الفن) موقفاً مختلفاً عن موقف اليهودية والمسيحية فاليهودية قد عادت عداً سافراً مظاهر الفنون . والمسيحية دعت إلى ترك الدنيا والتجرد منها والانقطاع إلى الآخرة والإقبال عليها ، ويقول محمد عبد العزيز مرزوق أن المسيحية لم تبدع فناً جيلاً وعندما ثبتت أصولها واعترفت الدولة الرومانية بها استعانت بالفن الروماني في نشر عقائدها ، أما الإسلام فلم ينكر الفنون الجميلة كما أنكرتها اليهودية ولم يستند إليها في نشر دعوته كما استخدمتها المسيحية ، ولكنه تضمن توجهات مختلفة كان لها أبعاد الأثر في تكوين الفن الإسلامي في نضوجه . وقد حظى المسلمون ما أخذوه من فنون الأمم السابقة عليهم وتمثلوه وأضافوا إليه وهذبوه ثم برز الفن الإسلامي وله طابعه الخاص الذي أخذ يؤثر بدوره في الفنون التي عاصرتة والتي جاءت من بعده .

(٨)

يتصل الفن الإسلامي في جوهره بالقرآن والتوحيد وإطاره أخلاقي ، بينما يقوم الفن الغربي على أساس الارتباط بين الوثنية والمادية . فالفن الأوربي وثني المصدر استمد مصادره من الصراع بين الآلهة والإنسان أو الصراع بين القدر والإنسان وكل المسرحيات اليونانية والفن اليوناني في النحت والرسم قائمة على هذا الصراع ، وتقع المأساة حين يتحطم البطل على يد القدر أو يد الآلهة الجبارة — في نظرهم — التي لا ترحم والآلهة في تقديرهم شريرة وظالمة ، يقول الدكتور هاس : « كان المثل الكامل عندهم الجسم الجليل المناسب ، وليس ذلك إلا اعتداداً بالمحسوسات اعتداداً كبيراً ،

وكان أكبر عنايتهم بالرياضة والرقص وكان التشويق الفنى الذى يحثون على الشمر والغناء والفلسفة وعلوم الطبيعة لا يتجاوز حداً خاصاً حتى لا يكون ارتقاء الذهن على حساب الجسم .

ويقول الراهب اوغسطين : إن الروم الوثنيين كانوا يعبدون آلهتهم فى المعابد ويهزأون بها فى دور التمثيل ، وأن الفكرة التى كانت تسيطر على الإمبراطورية الرومانية هى احتكار القوة لها واستغلال الأمم الأخرى لمصلحة روما .

فلما جاءت المسيحية دخلت الوثنية فيها على حد تعبير (درابر) بتأثير الذين تقلدوا وظائف رئيسية ، ونشأ عن هذا الاختلاط بين الوثنية والمسيحية ودين جديد تنجلي فيه النظرية الوثنية سواء بسواء ، وهنا يختلف الإسلام عن النصرانية إذ يحضى الإسلام على الوثنية قضاء تاماً ونشر عقائده خالصة .

وقد ورثت الحضارة الغربية مفهوم الوثنية المسيحية وورثت معها قيمها وأبرز هذه المفاهيم بند (اللاخلاقية) ومن ثم طغت فكرة الفن للفن على المفاهيم الأخلاقية السائدة واشتدت الحرب عندما شرع الزهاد وحماة الفضائل فى إدانة (الفن) على أنه لعب وحس شهوانى يحول بين الإنسان وبين الاستقامة ومن ثم شن رجال الفن حرباً ضروساً ضد التعسف والزهد وظهرت نظريات زولا وأوسكار وايلد ، وبذلك اتسعت الهوة بين الفن والأخلاق.

وفى مفهوم الإسلام أن الفن والأدب يقوم على أساس الالتزام الأخلاقى ويتحرك طبقاً فى دائرته ، ولذلك لم يقيم صراع فى الفكر الإسلامى بين

الفن والأخلاق أو بين وحدة الفن والأخلاق أو انفصالهما لأن مفهوم
الفكر الإسلامى قائم أساساً على التكامل الجامع، فلا الفن يستعمل على الأخلاق
ولا علاقة الفن بالأخلاق علاقة خضوع أو قسر أو إيقاف له عن انطلاقه .
وليس فى تحرك الفن الإسلامى فى دائرة الأخلاق ما يحاول بينه وبين
تحقيق هدفه من إبراز حقيقة الشر والخير بل هو فى التحرر من إبراز الصورة
فى قالب الإغراء بها والحض عليها اما حدود خلاقية العمل الفنى فإنه لا يهاجم
القواعد التى يقوم عليها المجتمع ولا يحاول أن يبرز الرزيلة أو يهدم نظم
نظم الدين والعدالة والتوحيد . والفن فى الإسلام متحرر من المادية الخالصة ،
جامع بين الروح والفكر ، بعيداً عن مفهوم الأوثان والتماثيل والأحجار .

الفصل الرابع

المسرح

حاول دعاة مذهب النقد الغربي الوافد إثارة اتهام باطل لا محل له يرمى إلى انتقاص الأدب العربي لخلوه من المسرح والدراما والملاحم ، غافلين عن أن لكل أدب فنونه التي تشكلها طبيعته وبيئته وأنه ليس من الضروري لوصف الأدب العربي بالبراعة أو النبوغ أن يكون مماثلاً للأدب اليوناني أو الأدب الغربي في كل فنونه ، واقعه كان الشعر ، هو ديوان العرب في الجاهلية فلما جاء الإسلام شكل للامة العربية مثلاً أعلى استمد أسلوبه ومنهجه من القرآن على التوحيد ذي الطابع الواضح الصريح في العبارة والآداء ، وجاءت القصة القرآنية على ذلك النحو الذي عرف عنها بعيدة عن الرموز والغموض والتفاصيل وبعيدة عن الكذب الفني والحيلة والتحوير الذي عرفته القصة اليونانية الغربية ، ولذلك فلم يكن الأدب العربي في حاجة إلى المسرح الذي كان يمدد المعبد والكنيسة والذي بدأ عند الأغريق أصلاً في أعياد باخوس إله الخمر ثم استعانت به الكنيسة بعد انتشار المسيحية في روما وباريس أثناء القرون الوسطى لعرض فكرتها عما ذهبت إليه من القول بصلب المسيح وآلام الشهداء .

أما المسلمون فإن بساطة مفهومهم الإسلامي ووضوحه وامتداداً لطبيعتهم التي عرفت بالصراحة والوضوح لم توجد عندهم الحاجة إلى المسرح ، ولذلك فقد انصرف العرب والمسلمون أبان حركة الترجمة عن نقل الأدهب اليوناني واكتفوا بترجمة العلوم والفلسفات من حيث أنهم لم يكونوا في حاجة إليه بوصفه أداة تعبير عن النفس اليونانية والأغريقية وحدها ، ومن حيث أنهم

لهم أداة تعبيرهم التي تحقق لهم ذلك عن طريق الشعر والنثر ، ولعل سبباً هاماً حال بينهم وبين ترجمة اللادب اليوناني هو أنه كان ينطوي على خرافات وأساطير لها جذورها الممتدة إلى عقائدهم الوثنية القائمة على تعدد الآلهة ، وصراع الإلهة مع نفسها وعلى الإنسان ولتعارض هذه الصور والأفكار مع إيمان العرب والمسلمين بالخالق الواحد وأكباره وتعاليه عن مثل ما توصف به آلهة اليونان من صراع وشهوات ، وما توصف به من ذكورة وأنات ، وآلهات للميد والحرب والحب ، فقد نأى الأدب العربي عن ذلك وسما بالآلومية عن مضاهاة البشر التي لا يقرها عقله ولا يرضاها مزاجه النفسي . ولقد كان الأدب العربي واضحاً في التمييز عن النفس وواضحاً في العقيدة وضوحاً لا يقبل التزويل ولا يحتمل الشك ولا يقبل التجسيم وكان هذا الوضوح هو لب العقيدة حيث لا يوجد ما يصعب فهمه أو تحتاج إلى مثل ما احتاجت إليه الوثنية القديمة والعقيدة المسيحية من بعد لعارضه وشرح تعقيداته وتفسيره وتعاليله عن طريق المسرح حتى يمكن الافتناع به وتقبله ومن هنا فلم تكن هناك حاجة في البيئة العربية ولا في الأدب العربي ولا في العقيدة التي اعتنقها العرب والمسلمون إلى المسرح .

ولقد افترض أدب القرآن طامعه على كل ما تخرجه القريحة العربية بعد أن بهرها بإعجازه في أسلوب السكتاب وتعاليمه ، هذه التعاليم التي أنشأت بعد ذلك فلسفة إسلامية تحترم العقيدة الدينية أكثر مما يتجه لحياة الفكر المجرد والتفكير عن مهاتات النفس وأصالة جلاء الغامض منها ،

وهناك وجه آخر من وجوه الخلاف والتباين بين الأدب العربي وبين الدراما أو المسرحية اليونانية الغربية ويتمثل ذلك في الصراع المأساوي الدرامي الذي هو حياة الحدث في المسرح مما لا يجد بيئة طبيعية في إيمان العرب ومعتقداتهم ، ذلك أن البطل المأساوي هو دائماً في صراع مع الآلهة بالقدر،

والإنسان العربي في سلام مع الله الواحد الأكبر ، وفي إيمان بالقدر لا يحول دون السعى وإن كان يحول دون المصارعة والصراع ، ومن هنا فإن العقل العربي لا يتصور الصراع بين الإنسان والله على نحو ما كان يتصور اليونان الذين يؤمنون بأن الحرب مع القدر وإن كانت نهايتها هي الهزيمة المأساوية فإنها حرب تدل على شجاعة الإنسان وجبروته وعلو شأنه .

وصراع الإنسان مع الله - جل شأنه - أمر لا يفهم و يقبل مع التوحيد الذي هو قمة العقائد في الإسلام ، ولذلك فإن العرب لم يجدوا أنفسهم في يوم من الأيام في صراع مع القدر، ذلك لاختلاف طبيعة البيئة الصحراوية عندهم عن طبيعة البيئة الجبلية في اليونان ومن هنا فإنهم لم يعرفوا هذا اللون من الصراع حتى في فترة جاهليتهم السابقة على الإسلام .

بل أن الوثنية العربية لم تكن مذهلة لهذه المفاهيم ، إذ لم تكن وثنية أصيلة بل كانت صورة مشوهة من دين قائم على التوحيد، لذلك لم تكن لها جذور عميقة أو تقاليد قديمة كما كان الشأن لدى الوثنيات الأخرى ، ومن هنا فقد ارتبط المسرح اليوناني بالأسطورة إلى حد بعيد ، وجد فيها المؤلفون إطاراً يصورون فيه الصراع بين الإنسان والقوى الإلهية ، ولما كانت هذه النزعة وثنية في طابعها فإن الإسلام لم يقرأها أو يقبلها .

كذلك لم يكن من الطبيعة العربية مثل هذه الاستعراضات التي تقوم على الترانيم والأناشيد والرقص . ولقد استعانت الكنيسة المسيحية في القرن العاشر بالمسرح أيضاً في عرض فكرها ، بعد أن سقط المسرح الوثني مع سقوط الإمبراطورية الرومانية فكانت تقدم القداس الديني ثم تتبعه بصورة تمثيلية طقوسية خطيرة كان يمثلها القساوسة بعد القداس في قلب الكنيسة ثم تطورت إلى التمثيلات الدينية الطويلة التي تمثل على أعتاب الكنيسة أو

ساحتها وهي المعروفة بتمثيلات الأسرار عن معجزة ميلاد المسيح ثم آلامه وآلام الشهداء الذين أوزوا في سبيل الدفاع عن المسيحية . وقد كان المسرح وسيلة لتفسير نظريات المسيحية الفلسفية التي لم تكن من اليسير فهمها إلا بعرضها على هذا النحو .

(٢)

تقوم فلسفة المأساة الغربية على : (الخطيئة والقصاص والغفران) وترى أن الإنسان مرتبط بخطيئة أولية وهي خطيئة آدم ، وهناك مفهوم الصراع بين الآلهة والقدر وبين الإنسان والخطيئة ، ويبدو البطل في صورة المتحدى لإرادة الله والمتحدى للقدر .

وفي رواية (فاوست) نجد أنه يتحدى إرادة الله ويتناول على الشجرة المحرمة ، وقد كانوا يرون أنه مجرم ومخطئ . يجب إرساله إلى الجحيم ثم تحول الرأي في المأساة مع تحول المجتمع الأوربي فقالوا : أنه صريع القدر .

ويمكن القول جملة بأن هذا اللون من الأدب غريب على الذوق العربي وعلى مزاج النفس العربية ، فهو خلاصة لمفاهيم دينية وثنية أوغربية مسيحية تقوم على فلسفة أساسية : قوامها الخطيئة ، التي لا يعترف بها الإسلام ولا يقرها والتي ليس لها أي صدى في الأدب العربي فضلا عن صراع القدر وصراع الآلهة وكلاهما غريب عن النفس العربية . بل أن نهاية القصص وخاتمة التراجم في مفهوم الأدب اليوناني والغربي ، يجب أن تكون ثمرة وأن مصدر هذا أن التراث اليوناني الغربي كله يرى أن الإنسان ثمرة الخطيئة وأن حياته تكفير عن هذه الخطيئة وأنه لا قيمة لها ، بينما يرى الأدب العربي وفكره وآدابه بأن الإنسان كائن حي وحياته لها قيمتها الخاصة وأنه ليس مسئولاً عن خطيئة غيره ، وأن الخطيئة التي تتردد في هذه الآداب هي خطيئة آدم وهذه في مفهوم الإسلام قد غفرها الله له ولم يحول جريرتها لأحد من بعده .

وفي مفهوم الأدب العربي المعتمد من الإسلام أن الخير لا بد أن ينتصر في النهاية وأن الشر لا بد أن ينهزم وينسحق ، وإذا كان المسرح وليد المبدع والكنيسة فإنه يعد غريباً عن الأدب العربي حيث لم يعرف العرب هذه الأعياد الصاخبة المعروفة بمواكب آخر باخريس ولا ما يتصل بها من تماثيل وأنشيد وطقوس ورقص وأباحة ؛ والعرب في صميم فكرهم أهل بديهة وارتجال ، وفي بيانهم أهل لإيجاز واختصار . لا يحتاجون إلى التحليل الطويل ولا يهتمون بالتفاصيل التي تخرج عن جوهر الحدث أو الخبر ، وقد علمهم القرآن ذلك ووضع لهم هذا المنهج ، والمجتمع الإسلامي لا يعرف التجسيم ولا يمجده فيه لذته الفنية ، كما يفعل اليونان والفرزيون ، والفكر الإسلامي لا يقر الأساطير ولا يقبل الخرافة ويعتمد على الحقيقة التي يقبلها العقل وتوافق للصدق الذي تؤكده طبائع الأشياء . ويقف من الخالق سبحانه موقف التكریم ويسمو بمفهوم الألوهية عن مشابهة الخلق ولا يقر بوجود أرباب .

ويصور هذا المعنى زكي طلبات تصويراً طيباً حين يقول :

الإسلام هو دين التوحيد فلا بدع أن يناهض الوثنية التي تقوم على تعدد الأرباب فلا غرابة في أن يعمل على هو آثارها المادية المجسمة واستئصال جذورها المعنوية في نفوس العرب ، أن العقيدة الإسلامية في وقفها الأولى لمحاربة الوثيقة أحداث في الفنون التشكيلية حدثاً ليس له مثيل إذ حولت مواضع الإلهام فيها من الطبيعة وصورها إلى الذهن وأخيلته .

وسبب آخر يصرف الذهنية الإسلامية عن الأخذ بأسباب التعبير عن طريق المسرحية واتخاذ المسرح وسيلة للدعاية والتفسير ذلك أن العقيدة الإسلامية على وضوح أركانها وجلالة تعاليمها ومنطق أحكامها عقيدة لا يهوديها لبس ولا غموض يتطلبان تمايلاً في التفسير ، فالوحدانية لا تقبل

التأويل ولا تحمل "شرك" ، ليس هناك أواب ولا أنصاف أرباب كما هي الحال في الوثنية ، كذلك لا يوجد عقدة يتعذر فهمها أو لا يوجد أب ولا ابن ولا روح قدس كما هو الحال في العقيدة المسيحية ، وشعائر الإسلام على بساطة غنية وتكشف ظاهر ، فليس في حاجة إلى عازف يمزق على آلة موسيقية أو نشد يلشد نداءات كهنوتيه أو راقص يدور على نفسه ، مثل هذه العقيدة القوية في معنوياتها البسيطة في شعائرها القائمة على منهضة كل مظهر من مظاهر تعدد الأرباب وما يتصل به من فنون السحر لاجياء طقوسه ومناسكها لا يمكن أن تتمخض عن فن تمثيلي فإذا أضفنا إلى ذلك أن العرب بطبيعة عملهم ينظرون إلى السكيات عرفنا إلى أى مدى نجد التباين الضخم بين الأدب العربي والأدب الغربية في مجال القصة والمسرح ، اهـ .

ومن ناحية أخرى فإن الصراع المأساوى أو الدرامى الذى هو عقدة المسرحية والقصة لا يجد بيئة طبيعية في إيمان العرب ومعتقداتهم ، ذلك أن البطل المأساوى هو في صراع دائم مع الآلهة والقدر ، أما المسلم بحكم وحدانيته فانه لا يستطيع أن يتصور الصراع مع القدر والآلهة على نحو ما كان يتصوره اليونان الذين يؤمنون بقوى متعددة ويؤمنون بأن الحرب مع العدو وإن كانت آخرتها الهزيمة المؤسفة فانها حرب تدل على تجبر الإنسان . إن الصراع مع الآلهة لا يفهم أصلا مع التوجيه ، أما الإنسان العربي فهو في سلام مع الله الواحد الأكبر لا يستطيع أن يتصور الصراع مع القدر والآلهة على نحو ما كان يتصوره اليونان .

ولاريب أن رؤيا العرب واضحة غير مضطربة ، ولا يشوبها سحاب من الغمام وليست بين بين ، وليست في صراع مع الطبيعة وكل هذه الرؤيا تنعكس في الأدب العربي ، وهي مضادة لرؤية الغربي :

يقول المرحوم على أحمد باكثير : إذا لم يوجد المسرح عند العرب في

جاهليتهم ، فأحرى ألا يوجد لديهم بعد الإسلام الذى قضى على تلك الوثنية وأعاد إليهم دين التوحيد كاصنى وأبقى ما يكون . وتقديس الأشخاص من مظاهر الوثنية فالإسلام ينهى عن ذلك نهياً تاماً بما أدى إلى عدم ظهور (الدراما) لأن نشأه الدراما فى عبودها الوثنية كانت تقوم على تقديس من كانوا ملوكاً أو أباطلة ثم الهوم بعد وفاتهم .

(٣)

وقد أشار زكى طليمات فى أكثر من بحث إلى أن المسرح باللسان العربى ليس فناً أصيلاً لا فى الأدب العربى وفى المجتمع العربى يقول : « فالمسرح لم يكن يوماً من الفنون التى عملت فيها الأفلام والقرائع كما أنه لم يؤلف شئ منه من العرض الجماهيرى أو لوناً من ألوان التسلية العامة التى يؤمها الجمهور ، ومعلوم أن الشرق العربى لم يمارس هذا الفن إلا فى أواسط القرن الماضى ، مارسه ضمن ما مارس من الوافدات والنحل الأوربية التى أفصحنا لها المجال فى مجتمعتنا بعد أن تهيأت واهبتنا إلى اعتناق مظاهر الحضارة الأوربية وذلك بتأثير التطور العام والتبادل الاقتصادى ثم بدافع الأحداث السياسية الكبرى .

ويقول : أن المتقصى مدارج المسرح باللسان العربى وباللهجات الإقليمية منذ قيامه على أيدي الرواد الأول ، يقف ولا شك أمام ظاهرة كاية اللون ، إن هذا المسرح على الرغم من قدامه ما يقرب من قرن وربع القرن وإمتداد جذوره له فى التربة العربية ما يرد لرجل الشارع وكأنه بضاعة مستوردة من الخارج أو هوى من أزياء التعبير لأهد له به ولكنه يتعاطاه من باب التظاهر بالإقبال على كل جديد وافد من أوربا ، ولعل أبرز دوافع يجمع بينها مظهر واحد تلحظه العين هو (فرقة) من ثمار القول السوداء واللب ، وعندنا ليس رجل الشارع فقط بل هى الطبيعة الاعمق التى ترى فى

المسرح شيئاً مما رضى لفطرتها وطبيعتها الصريحة القوية المستعانة في البيان العربي بغير حاجة إلى هذه الأساليب المعقدة . ذلك أن المسرحية كما تقول زكي طلبات : ما برحت أجنبية القالب ، أجنبية الحبكة . ، تقول وستظل كذلك بكل ما يحاول الآن أرباب الفن ، وامل أعرق العوامل لممارستها للفطرة الإنسانية للطبيعة العربية الإسلامية إنها صورة وهمية ليست من واقع الحياة وإنما تستعمل النصوص التاريخية بغير أمانه ويرى أصحاب هذا الشأن بأسهم من نجاح هذه المحاولة وذلك أن القالب الشكلي للمسرحية « أجنبي » من كل نواحيه ، « إذ أنه نقل (فوتغرافياً) سريعاً من غير تمعن عن المسرحية الغربية التي استوردناها مع كثير من النحل الغربية في أواسط القرن الماضي ويقولون أنه على الرغم من المحاولة التي جرت خلال أكثر من مائة سنة ، حل استنبات المسرح في التربة العربية ، فقد بقيت المسرحية على قالبها - غربية المذاق ، عن رجل الشارع على الرغم من الجهود الجارية التي بذلوا لنشرها لأنها « تدبو عن مألوفه في التذوق وتعالى على الأفق الذي ألف أن يتعاطى منه الترفيه النفسى ولطائف التسلية » .

يرى هذا الرأي زكي طلبات وتوفيق الحكيم وغيرهما من أساطين هذا الفن الوافد ، يرون أن هذا المسرح قام دخيلاً في الأقطار العربية من غير تمهيد ولم يستند في قالب صياغته الشكلية على ركائز ، إنما نقلنا القالب الغربي المستورد نقلاً عضوياً واكتفينا في أمر تعريبه بمسحة سطحية أي أنه لم يعرب تعريباً جذرياً مستمداً من المزاج العربي العام في مفاهيمه الأدبية والتعبيرية والجمالية . .

ولاريب أن كل هذه الدراسات والخاوف تكشف بوضوح عن أن المسرح ليس فناً أصيلاً في الأدب العربي وأنه يجافى المراج العربي والوجدان الإسلامى .

لا ريب أن من أقوى عوامل التطور بين الفن الإسلامى وبين المسرح روح الأباحة الواضحة في الآداب اليونانية والتي ورثها الأدب الغربى . ويقول أنيس فريجة أن مظاهر الأباحة والفسق والعريضة التي كانت تتمثل في حلقوس هذا الفن هي ذات مغزى دينى وأن شعار (البغاء المقدس) والذي يتضمن بيع النساء أجسادهن في أيام معدودات وشرايح ذبائح لمشتريات بأجورهن هي بقايا هي بقايا عادات قديمة سابقة عندما لم يكن زواج بالمعنى الذى نفهمه الآن ، بل عندما كان الزواج اجتماعياً مشتركاً (للنساء للرجال والرجال للنساء في القبيلة الواحدة فكانت المرأة عذراء ومتزوجة في آن واحد ، والربة الأم عذراء ومتزوجة وعشيقة طاهرة وغير ظاهرة . ويقول : والظاهر أن النساء كانت في طور من أطور حياتهن يقلدن هذه الربة الأم في بابل واشور وسوريا وجيل وفي باقوص في قبرص كانت عذراء تبيع نفسها قبل الزواج للبغاء ، هذه الصورة المفزعة التي سحقها الأديان وألغاهها الإسلام إلغاء تاماً هي ثمرة الفنون الغربية المسرحية وغيرها ، يوم كانت هياكل عشتروت وإفروريت والزهرة حافلة بالبغاء المقدس وهذا هو تراث الاسطورة الذي تحاول أن تجدد المسرحية الغربية وتعزبه وهو بعيد كل البعد عن القيم التي قدمها الإسلام وحررها الإنسان من عبودية الوثن وعبودية الأباحية ورفعها إلى مستوى الكرامة . ولقد وقف المسلمون عندما ترجموا الفكر اليوناني والفارسي والهندي موقف الأعراض التام عن هذه الآثار ورفضوها رفضاً تاماً لأنها لا تتفق مع طبيعتهم ولا قيمهم ولا مفهومهم للحياة ، كذلك رفضوا الملاحم الاسطورية لأنها قائمة على شطحات الخيال والتهويل والأغراب ، ولقد كان العصر الأغريقى الملحمى - كما يقول مفيد الصوباشي - يصور عالماً وهمياً لا يكاد يقوم صلة بينه وبين الحياة الحقيقية للمجتمع الإغريقى وقصص آلهة وعماقة وفساناً يتميزون بالدرات غير آدمية

ويتسامون وراء شهوات وأطماع وأحقاد ويألفون أن تغلب عليهم الرحمة
أو يمس قلوبهم حب أو حنان ويرتكبون في صيل تحقيق غاياتهم آثاما تنفوز
عنها النفوس ، ولا يعتدون على الأحياء فحسب ، ولكنهم يمثلون بالجنت
والمرأة قاسية كالرجل فهناك امرأة تترك مع عشيقها في قتل زوجها والانسكيل
بأبنائها وأخرى تتزوج بأبنا وبينما كان ذلك الشعر يرسم تلك الصورة
الشوهاء لمجتمعه ، حرص الشعراء العرب القدسي على تصوير عالمهم الحقيقي
بما فيه من خير وشر وتحليل عواطفهم كما أحسوها ووصف الأحداث على
تحورها وقعت لهم .

(٥)

وإذا كان العرب قد رفضوا تماما ترجمة هذه الألوان من المسرحيات
والملاحم في عصر نهضتهم فإن محاولة الزج بها الآن في الأدب العربية لم
يحقق نتائج ذات أهمية وظلت ظاهرة قلقه غريبة ، لأنها لم تلتق بالانفس
العربية ولا بالمشاعر والأشواق العربية .

وقد وجه سيد قطب إلى توفيق الحكيم رسالة مفتوحة عندما كتب مسرحية
الملك أوديب ، فلما أياها عن اليونانية :

قال : إنك لم تهتد بعد إلى النبع الأصيل الذي تستقي منه . أنتجت وأنت
تحاول وضع القالب الفني للتشيلية المصرية إلى الأساطير الإغريقية مستلهما
موضوعاتك ، لماذا ، لأن نشأة المسرح كانت إغريقية ولأن الأوربيين ورثة
الإغريق قد جعلوا المسرح الإغريقي والتشيلية الإغريقية والأساطير الإغريقية
أساساً لأعمالهم . لماذا لم ينقل العرب ذلك فيما نقلوا عن الإغريق ، إن كتاب
الجمهورية لأفلاطون قد ترجم إلى العربية وما أشك أن فيه من الأفكار حول

تلك المذنية المثالية ما يشق على العقلية الإسلامية أن تسيغه ولكن ذلك لم يمنع من نقله . إن الصعوبة الأساسية في الاساطير واستلزامها ليست في حاجة إلى الفهم ، ولكن الصعوبة الحقيقية كامنه في الشعور بها في أعماق الضمير .

لهذا لم يكن يمكننا أن بشعر العرب بجمال التراجيديا الإغريقية الممتدة من هذه الاساطير ولا أن ننقل إلى تراثهم الآلهة في الميثولوجيا الإغريقية تدفعها حيوية حارمة إلى كل تصرفاتها ، حيوية لا تعرف العدل والحق والخلق والضمير لأنها حيوية عاتية شهوانية باطشة ، فليس لديها ما يمنع من صب كل هذه اللغة على أوديب لمجرد شهوة حقد من أبولون ، كذلك صنعت مع هرقل .

أما الإسلام فإنه ينفذ نهائياً فكرة الشهوة والظلم عن ذات الله .

(٦)

يقول لويس جارديه : أن صراع العواطف النفسى الذى يعتبر المادة الأساسية للدراما والتراجيديا وتحايل الطباع الذى يقوم عليه كل الكوميديات الكبيرة لم يكن قط من خصائص المجتمع الإسلامى الكبير ، فهذا العدل بين الإنسان وقدره الذى مجده كتاب المسرح اليونانى لا يتناسب مع مفهوم الحياة ولا مع العلاقات التى تربط الإنسان بخالقه في المجتمعات العربية والإسلامية .

وبقول جوستاف جردنيوم : إن الإسلام السنى لم ينجح في خلق فن مسرحى رغم معرفته بالثقافة اليونانية والهندية ، وهذا لا يعود إلى سبب

تاريخي قدر ما يعود إلى مفهوم الإنسان في الإسلام وهو مفهوم يمنع وقوع
أى صراع درامى .

ولقد كشف الباحث التونسي الدكتور محمد عزيزه عن الاسباب الدينية
السكائمة وراء استئجاله ، : قيام صراع بين الإنسان المسلم وخالفه فقال :
إن الإسلام دين ودنيا وأنه قد نظم الامور الدينية وقواعد الحياة والسلوك
بالنسبة لكل فرد وبالنسبة للمجموعة كلها ، وكل من يخرج عن مجموعة
المسلمين ولو مقدار فارق شعره فإنه يموت كافراً .

إن صراع الإنسان مع القدر : أى مع التاريخ الدرامى شئ يصعب
تصوره فى إطار الإسلام ، ذلك إننا لا نواجه التاريخ إلا إذا أحسننا
بوجوده الموضوعى المستقل عن رغباتنا الشخصية والذي لا يخضع لها ، أما
بالنسبة للإسلام فالتاريخ لا يتطور جدلياً فهناك زمن بعينه عتد الله فيه
ميثاقاً مع المؤمنين وقال الرب لعباده :

ألسنت بربكم قالوا : بلى . وبين فترة وأخرى تأتى الأنبياء والرسل
يذكرون الناس بهذا الميثاق وهذا الزمن للبعيد غير المحدود ومهما كانت
الاحداث تبدو لنا من الوهلة الاولى مخالفة للمصالح العامة فإن الفكر
الإسلامى لا يشك لحظة واحدة فى تخطيط الله غير المكشوف للإنسان
والذى لا يمكن أن يودى إلا إلى الخير ولو بعد زمن طويل .

فهى حتمية متفائلة ترتكز على إنسجام نظام الكون وتجعل الإنسان
المسلم يتحرك بعيداً عن التناقضات والصراع .

وفى المفهوم الإسلامى للمجتمع فإن إرادة الفرد تنصهر برغبته فى إرادة
الجماعة وحيث يبدو أنها تسلبه كل شئ فهى توفر له كل شئ وتعوضه عن

ذلك ، في مثل هذا النظام الإجتماعى لإمكان الدراما لسبب بسيط هو أنها ليس لديها ما تقدمه .

ويقول : أن المجتمعات البشرية تمر بفترات أو مراحل عبر تطورها ، وتتميز المراحل البدائية بطغيان روح الجماعة على العلاقات جميعاً ، ولهذا السبب فإن أبرز ما يميز حياة هذه الجماعة البدائية ومنها البدوية : غياب الصراع بين الافراد والفتيات منها ، فالفرد هو مجرد لبنة صغيرة في بناء الجماعة يستمد منها عزها وكرامتها ، ترتب على ذلك رأى عام جماعى ونظرة إلى العالم وتصور للكون جماعيان فكل فرد كائى فرد آخر ، مثل هذه القربة غير صالحة لوجود أدب درامى وبالتالى مسرح ، حتى لو عرفت الاقليات الثابت مالم تتجاوزها إلى مرحلة إجتماعيه أخرى هى أعلى منها ، وذلك لسبب بسيط هو أن هذه الحياة تقتصر إلى كل مبررات الصراع بين فرد وفرد أو بين فرد وجماعة ، أو بين جماعة وجماعة وقد تضطع كل الجماعة مع جماعه أخرى غريبة ، (مجتمع آخر قبيلة مجاوره ، شعب آخر) غير أن مثل هذا النوع من الصراع يستدعى (الملحمه) لا الدراما .

فالملحمه هى السجل الخالد لجماعة : أعمالها وبطولاتها وآثرها وأبجادهما ولا يستدعى الدراما ، والعربى كان لا يزال بعيداً عن الإحساس بذاته المميزة عن ذات الجماعة لذلك لم يفكر بالأدب الدرامى .

إن اكتشاف الإنسان لنفسه كئند الآلهه أو كشخصية مستقلة تقف وحدها تجاهها يعنى القول بوجود إرادتين : إرادة الإنسان وإرادة الآلهه وبالنسبه للإسلام فإن مثل هذه الثنائية ليست غير موجودة ، فحسب ، بل وغير متصورة على الإطلاق ، فالله تبارك وتعالى فى الإسلام هو مصدر كل شئ وأس كل شئ وهو قف الإنسان إزاء إرادة الله هو موقف العبودية والتسليم الكامل ، ومن ثم فإن إرادة الإنسان هى جزء من إرادة الله الشاملة

ومن شأن هذا المفهوم أن يحرر النفس المسئلة من كثير مما تقاسى النفس الغربية من العذاب والآلام والتمزق والصراع .

هذا الصراع هو جوهر المسرحية والعمل الدرامي ، وهو غير متوفر إطلاقاً في أفق الإسلام أو المفهوم الإسلامى لعلاقة الإنسان بربه أو بالمجتمع الإسلامى نفسه .

وإذا كان هذا الصراع في الفكر الغربي من أربع أنواع نهى جميعاً تنصهر وتذوب في مفهوم الإسلام الرحيم السامح الذي ينقذ الإنسان والبشرية من هذا الدمار النفسى .

(أولاً) الصراع بين الحرية البشرية والإرادة الإلهية الذى يصوره (برومبوس) لوجود له في الإسلام حيث أن الإرادة الإنسانية الحرة ، تتحرك في إطار الإرادة الإلهية الكبرى وتخضع لها عن طواعية وتسليم ورضا كامل .

(ثانياً) الصراع الذى يجسد المواجهة بين حرية الفرد وبين الكيان الإجماعى لا وجود له في الإسلام حيث أن حرية الفرد تنمو بالغيرية والعطاء والإفناء والرحمة حتى تنصهر تماماً في المجتمع دون أن تفقد وجوده ذاته .

(ثالثاً) الصراع الذى يحدد المواجهة بين العقوبة البشرية وبين القدر لا وجود له في الإسلام حيث يؤمن المسلم بأن ما أصابه من شر فمن نفسه وما أصابه من خير فهو من رحمة الله الذى تطلب منه الهداية (اياك نعبد و اياك نستعين) فالمسلم يتحرك في الحياة فيعطى ثم يلتمس من الله العفو والغا فيه .

(رابعاً) الصراع الذى يجسد المتناقضات الداخلية في الإنسان ، لا وجود

له حيث أن المسلم يؤمن بأنه جماع روح ومادة وشهوة وأشواق عاوا وأنه قابل للرغبات الدنيا والمطامح الربانية فهو قادر على الموازنة بين ذلك وذلك دون أن تقع في التناقض أو الصراع .

ويسأل الباحث عما إذا كان المسلم حسب حضارته ودينه يستطيع أن يحيا إحدى هذه الحالات الصراعية الأربع ، هل يستطيع أن يضع المسلم حريته الشخصية أمام إرادة الله ، أو أمام الكيان الاجتماعي لمدينته أو يواجه بها منطق التاريخ والقدر أو أن يكتشف أخيراً في أعماقه إنساناً آخر يصارعه .

وتكون الإجابة أن أوجه الصراع المختلفة هذه التي يقاسيها الغربي وتمثل في المسرحية والدراما بالذات لا توجد في الفكر الاسلامي ولا في المجتمع الاسلامي ولذلك فإن الفكر الاسلامي لا يعرف هذا اللون الذي يتعارض مع عقيدته وطبيعته النفسية والعقلية والروحية .

وبعد قادر التغريب حين احتال إلى إدخال المسرحية إلى الأفق العربي الاسلامي وهي غريبة عنه غير معقولة لديه ، إنما كان يستهدف إدخال مفاهيم مسمومة تتعارض مع القيم الاسلامية الأصلية عن طريق الفن والقصة والمسرح ، نظراً للأقبال على هذا الفن والاعجاب به لغرابته ، ولما كانت المسرحية هي حوار معد أساساً لإدخال نكروه ما إلى النفس والعقل فإن هناك محاذير كثيرة تواجه الشباب المسلم الذي لم يتحصن تحصناً كافياً بالمفاهيم الاسلامية ، ومن ذلك مسرحيات سارتر وكامي وبكيت ويونسكو التي تحاول أن تسخر من قيم الأخلاق والدين وتصف كل شيء بأنه غير مقدس وتثير الشبهات في كل أفق سليم ولا شك أن مسرحيات اليبس وللا معقول والرفض المكشوب والمشاهدة تقدم سموها كثيرة للعقل الذي لم يتحصن بمعطيات اسلامية كثيرة في طور النشأة .

ولعل أخطر ما يواجهنا هو التفرقة بين الواقع الانساني القائم في المجتمع والصورة الفنية الخيالية المنسوجة على هيئة مسرحية ، ذلك أن هذا العالم الخيالي المزور المزيف يختلف عن عالم الواقع تماماً فهو مضاد له كثيراً، ولا شك أن في اعتباره حكماً على عالم الواقع تجاوز كبير وخطر مستطير، لأنه يخرج عن الحقيقة التاريخية وعن طبائع الأشياء ولأنه يتكئ على الجانب المظلم والأباحي من النفس الإنسانية ويسرف في الإباحة والتشاؤم ويركز على الأوضاع المسفهة المنحلة .

الفصل الخامس

السينما

الصور المتحركة أو السينما هي واحدة من أدوات التسلية والترفيه العصرية التي أصبح لها بعد المسرح مكاناً واسعاً في المجتمعات العالمية وقد استطاعت القوى المسيطرة أن توجهها توجيهاً خطيراً يستهدف بها دفع الشباب والفتيات إلى مفاهيم خطيرة في العلاقات الاجتماعية وخاصة في مشئون الزواج والحب والتعامل يتعارض تماماً مع كل القيم والمقررات والضوابط التي حملت لوائها الأديان وما يتصل بها من أخلاقيات وفضائل فكان لها أبعاد الأثر في خلق طابع من الشرعية على الفساد والانحرافات وأساليب الاغتصاب وخاصة فيما يتصل بمجال الجريمة والجنس .

وقد انتقلت السينما في العقود الآخرة إلى أجواء أشد فساداً وكانت نكسة ١٩٦٧ مطلقاً لدفع طابع الجنس في الصور المتحركة والروايات المعروضة إلى أقصى حد وطرح في أفق المجتمعات الإسلامية أفلاماً غاية في الإباحية والفساد وكان هذا دافعاً للسينما المحلية إلى أن تجرى هذا المجرى حتى لا تفوتها فرصة التجارة والتنافس .

وقد حفلت هذه الأفلام السينمائية التي يمكن القول بأنها أوقفت نفسها على الجنس والجريمة بالابتذال الرخيص ، وحفلت بسبيل متلاحق من العبارات والألفاظ والتلميحات والاسقاطات الجنسية التي تفيض بها مسرحيات الإضحاك والتسلية الرخيصة وقد تقذت هذه الأفلام إلى البيوت والأسر والأطفال عن طريق الإذاعة المرئية فأصبحت خطراً لا حصر له وأصبح على ألسنة الأطفال والشباب كلمات نارية وفي عقولهم وأذهانهم

لها أبعد الأثر على حركتهم في المجتمع وعلى فهم للعلاقات بين الرجل والمرأة
والأسرة والزواج وهي مفاهيم منحرفة بعيدة عن الإصالة والفطرة .

ولقد اشتهرت أفلام تمجد القسوة والتعذيب في مجال الجنس واستعلاء
المذاهب السادية والماشوسية وقد مدت مواقف ومشاهد جنسية يكاد المرء
لا يصدق نفسه إنها كتبت بكل هذه الحرية والصرامة التي تكاد تبلغ حد
الابتذال الفاضح .

وقد انطلقت هذه الظاهرة من مفاهيم فرويد التي طرحها منذ سبعين عاماً
والتي تلقفتها القوى الأجنبية ونبتها ودفعت بها إلى تدمير القيم الأخلاقية
والدينية في الجماعة البشرية المعاصرة ويقول الباحثون في هذا المجال إنه لم يخل كاتب
أجنبي في العصر الحديث من آثار هذه الدعوة ولكن عصراً من العصور لم
يشهد ما يشهده عصرنا من موجات الجنس المتلاحقة التي تكاد تغطي أوروبما
تفرق كل أنواع الفنون والآداب ومن ذلك الفيلم الأخير الذي قبل أنه
يجرى إخراجه عن حياة السيد المسيح الجنسية .

ويقول الباحث أن الحكومات الغربية قد عملت على وقف عرض هذه
الأفلام داخل ساحات عرض خاصة مع تحريم تعليق الإعلانات والصور .

وهذا ضرب من الإحلال المفروض على الحضارة الأوروبية بحكم تطورها
وتفسيخها ومن هذه الانهيارات أن القضاء أصبح يؤيد التعبير الفني المكشوف،
عن قصص كانت ممنوعة في الجيل السابق أمثال قصة لورانس : عشيق اللورد
تشارلي وهكذا فتحت الطريق أمام مسرحيات أشد عنفها مسرحيات الكونت
دي ساد وما تحويه من فحش السادية وبشاعتها ومسرحية برنادشو التي دمع
فيها القرن العشرين بأنه قرن تجارة الرقيق الأبيض والتي أشارت بأصبع الاتهام
العريضة لما تجولت إليه الحضارة الغربية كعبادة للصناعة الحديثة من إنتاج

الإساءة وتجارة وتسويق الجنس وتحقق نبوءه برناردشو وغرق الفن في الجنس حتى أخص القدمين وقوات موجاته فسيطرت على الافلام البوليسية والتحليل النفسى والافلام السياسية .

ويتصل بهذا ما يقوله مدير التليفزيون الفرنسى إنه سوف لا يوجد منذ سنين شريطاً واحداً يصلح للعرض التلفزى نظراً لاتجاه المستجيبين إلى إنجاز أفلام عنيفة أو جنسية وأكد علماء الاجتماع أن العنف ينتشر مع تمجيده على الشاشة فالمتفرج وخاصة المراهق أو الشاب وفي بعض الاحيان الطفل يتأثر بتلك المشاهد ، شيئاً فشيئاً تصبح عاديه لديه وربما تعجبه إلى درجة أنه يعتمد إلى تقليد أبطالها ثم تدخل في سلوكه وينحرف لأن الافلام الحالية تصور شباباً عادياً يمتسو ويفزع ويهاجم ويعذب ثم يقتل .

وقد بدأ العنف في ثوبه الجديد يكتسح السينما منذ أن شرعت السينما الإيطالية إنتاج أفلام الرعاة البقر وإنما في قالب طريف يغلب عليه العنف الشديد الذى يصل إلى حد الفظاظة والاشمئزاز .

هذه هي الصورة العالمية للسينما والاحطاط التي تتصل بها ومدى التحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية اليوم إزاء تصدر جانب من هذه الافلام إلى بلاد الاسلام مع كل المحيطه فإن عدداً ضخماً من الافلام الجنسية القاسية قد دخل وأحدث إثارة خطيرة وهدد نفسيات الشباب المسلم على نحو له أبعاده الخطيرة في مستقبل شباب السينما الجنسية .

والخطر اليوم ليس خطر السينما وحدها ولكنه قد تضاعف مع مجيء التليفزيون ونقله لهذه الافلام وتقديمها داخل البيوت وخاصة أفلام رعاة البقر التي تعتمد على العنف والمطاردات والقتل ومشاهد التعذيب والاختطاف وهي مشاهد قاسية بعيدة عن اللطف والبشاشة واللباقة .

وقد أشار كثير من الباحثين إلى مدى الخطر الذي يواجهه المجتمع الإسلامي نتيجة لهذه الظاهرة، التي وصفت بأنها تنفيذ خطة جهنمية وأنها ليست تصويراً الواقع المجتمع أو ثوره على تقاليده .

وايس صحيحاً - كما يقول الأستاذ محمد الصيحي - ما يقوله المدافعون عن هذه الأفلام من أنها تشخيص لحقيقة واقعية بشكل واقعي في مجتمع لم يعد أبناؤه يرغبون في غير الاطلاع على كل خاف وتعرية كل مستور ومن حيث تشكل العلاقات الجنسية غير الشرعية خلال خلقها واقعياً يجب معالجته وايس صحيحاً أن أفلام الجنس ليست إلا تعبيراً رمزياً عن معارضة المجتمع الحديث بكل تقاليده ومعتقداته حيث يمكن التعبير عن ذلك بوسائل غير هذه الوسيلة التي تدمر كل شيء والصحيح أن هذه الأفلام وسيلة سهلة الربح المادي حيث أن إنتاج هذه الأفلام لا يحتاج لقدرات فنية ولا إمكانيات مادية

ويقول أن هذه الأفلام هي الوسيلة الوحيدة لمنافسة الأفلام الجادة من إناس لا يستطيعون ولا يريدون عن قصد إنتاج أفلام جادة بنائه والنتيجة أن الأفلام الجادة تأخذ الإبتعاد ويدا رويداً أو أنها تصبح محدودة الجمهور عدداً ونوعاً وبالتالي تروج سوق الأفلام الرخيصة وينشأ نط ثقافي هزيل منحط .

ومن هنا فإن النتيجة هي إنصراف جمهور الشباب عن الأشياء الهادفة المفيدة بحكم الألفة والتعدد وتسيطر على عقولهم نزوات وفتن تدمر قيم المجتمع وتذشر فيه الجريمة والانحلال . وهذا هو الهدف الحقيقي من إنتاج الأفلام وكتب ومجلات الجنس الرخيص وأن وراء ذلك كله توسعات منتشرة في جميع أنحاء أوروبا وأمريكا وإن أغلب أصحابها يهود وإذا تذكرنا ذلك فسوف تعود بنا الذاكرة تلقائياً إلى بروتوكولات حكماء صهيون حيث تقرر

أن تدمير القيم والأخلاق في العالم مستمد من الجنس كأحد الأسلحة الفعالة
ليتسنى لهم أن يحكموا كل الشعوب .

ولا ريب أن المراقبين يذكرون كيف غزت الأسواق في الشرق العربي
بعد حرب ١٩٦٧ موجة من هذه الأفلام الجنسية ما زالت مستمرة ومتزايدة .
وقد صبغت صناعة السينما المحلية بلونها القاتم ومفاهيمها المسمومة ،
والمقصود هو : عيم جر الهزيمة والخيول بدون نشوء جو من المقاومة واليقظة
بين الشباب وقد فعل اليهود ذلك في المناطق المحتلة وعلى مدار التاريخ .

فقد كان اليهود ينشرون الفساد الخلقى في كل بقعة يحملون بها أو يحتلون
ليركن غيرهم إلى الذات فلا يتنبهون لخطرهم فيقاومونهم .

وقد واجهت هذه المحاولات الخطيرة مقاومة ونقداً من كثير من العلماء
الإجتماعيين فقالوا : لا للسينما الفاضحة ، ، بعد أن ترددت السينما في حماة
الكتاب الداعية التي تؤلف لاستثارة إحدى الغرائز الحيوية في الإنسان
لأهداف من كتابتها سوى الكسب المضمون فالخيال في غريزة الجنس عنصر
مشديد الفاعلية .

وقد تطور أدب العصر عن بعض أهله إلى ما يوصف : البورتوجرافيا
(الكتابة الداعية) والمثل الذي يحضر في هذا الصدد هو روايه عشيق اللبلى
تشارلى تأليف د . هـ . لورنس وهو المعبود من أوائل من كشفوا الستار
عن ميكولوجية تلك الغريزة ولا ريب أن أسوأ ما يدعو إليه كتاب السينما
هو قولهم أن أهم عنصر في السينما هو الجنس والجريمة .

وأن التصوير السينمائي تحول من التصوير الجانبي إلى التصوير المكشوف
للعلاقات الجنسية ، وأصبحت المناظر الداعية شيئاً عادياً وإن واحد من ثلاث أفلام

تعرض الآن في الغرب بعضها واحداً من هذا النوع حتى أصبح لا يمكن التمييز بين دور السينما وبيوت الدعارة .

وتؤكد الأبحاث أن وراء هذه الظاهرة الخطيرة : تحقيق الأرباح الخيالية وتنفيذ الاستراتيجيات التي ترمي إلى تدمير القيم الإنسانية والأخلاقية في الشعوب والأمم : العربية والإسلامية .

وإن وراء طرح هذه الأفلام الرديئة العمل على إستعباد الإنسان أينما كان .

وإن محاولة خطيرة تحاول محاصرة الإنسان للتقضاء على وجوده وتدميره داخلياً وذلك عن طريق أفلام اللامعقول والأفلام الخيالية والجنسية وقصص الرعب وأفلام الكوارث وأفلام الحيوان التي تقول أن الحيوان هو عدو الإنسان الأوحده حيث تطرح أفلام متعددة عن وحوش مجسدة بميته وقاتله وضفادع ضخمة بشععه ورهيبة أبتلع إنساناً ، وجرز وافاعي وحيثان وزواحف تدمر المدن ويتفقق هدف هذه الأفلام من أفكار دموية مفرقة زادت حدة الفرع لدى المشاهدين . ومن بين هذه الأفلام فيلم البلعوم ، عن حوت مصنوع يقوم بأعمال بشعة ومفرقة على الشاشة ، وقد حقق الفيلم في إحدى عشر أسبوعاً من العرض رقماً خالياً من الدخل بلغ (١٢٤ مليون دولار)

ولا ريب أن هذه الأفلام التي تخصص للعالم الإسلامي والبلاد العربية تستهدف أمراً خطيراً هو إلهاء هذه الشعوب عن حقيقة واقعها وظروفها والتحديات التي تواجهها .

أما السينما المحلية فقد جرت هذا المجرى فافسدت أذواق الجماهير بعرض

أشياء لا هدف لها، الضحك للضحك ، ولم يعد عالم السينما سوى مايوهات
وصدور عارية، وأن الجبل الجديد من الممثلين والكتاب والمخرجين قد
أجرم إجراماً شديداً فقد عمل إلى صهر الإنسان وراء الرمزيات والجرائم
والإباحيات مما أفسد كثيراً من الأذواق وتصل إلى الواقع الخفية للشباب
مفاهيم فاسدة مسمومة ستظل بعيدة التأثير في حياتهم كلها .

ولا ريب أن أخطر ما في هذا العمل كله هو عمل المخرج : الذي تنقف
ثقافة الغرب واحتوته مفاهيم التلموزية والباطنية والمفاهيم التي يقدمها
الدراما الغربية واليونانية والمفاهيم المسمومة التي تطرحها عن العلة بين
الخالق تبارك وتعالى وبين الناس .

كل هذا ينقل لتصر فيه مسرحيات وروايات عربية أو شرقية تختلف
في قيمها واتجاهها عن المفهوم الغربي الفاسد فالفكر العربي الإسلامي يقوم
على الساحة والرحمة والكرامة وتبزيـد الفرائز وليس على القتل البشع
والجريمة الجنسية ومشاهد التعذيب والموت البطيء والاغتصاب والتشيل
بالجثث، تلك صفة المجتمع الغربي وهي مضادة للفطرة ومعارضة للمفاهيم والقيم
التي عرفها العرب والمسلمون منذ أربع عشر قرناً وهي تدخل قلوب وعقول
مجموعات من الشباب الصغير الذي لم يستوعب ثقافة الإسلام ولا مفاهيمه
التي قدمتها له الأديان وقدمها له الإسلام .

وهي في مجموعها تهدف تدمير النفس العربية الإسلامية والعقل العربي
الإسلامي ، ونصويره بصورة المغلوب على أمره خاصة عندما يرى أمثال
طرزان ودريكولا من أبطال وهميين غربيين يقهرون السود والشرقيين ،
والمشاهد القياسية البعيدة عن اللطف والبشاشة واللياقة .

ولقد وصف كتاب الغرب السينما بأنها افيموز الإنسان المتمدن وأنه يذهب إليها هارباً من نفسه لينسى واقعه السيئ بأن يعيش في خيال كاذب مدمر وإذا عاد إلى حياته وجد أنه لم ينتقل خطوة واحدة ، وهذا ما يعترض عليه المفهوم الإسلامى الذى يدعو المسلم أن يواجهه لحياه بطبيعتها ويعالج واقعها وأزماتها دون أن يهرب منها أو يخفى رأسه كالنعام فى الرمال .

وما نقوله عن السينما نقوله عن الأغنية التى فسدت وانهارت وقامت فى تصميمها على محور الحب المريض الذى تدور حوله كلمات الأغاني وهذه الحركات المبتهلة التى يؤدى بها المطرب أو المطربة اللحن بترقيص الحواجب وغمز العينين وهز الثديين ، وتوظيف الوسط والردفين وتحريك الرأس وتقليص عضلات الوجه بصورة متشنجة تعبيراً عن الألم الشديد للفراق والهجر . ويتصل بهذا الموسيقى الرخوة المعبرة عن أجواء قصور الحریم وتملق عواطف الطرب الرخيص والإحساسات السوقية .

كل هذا يكشف عن فساد الأعمال الفنية المطروحة فى أفق المجتمع الإسلامى وما لها من آثار بعيدة المدى فى تكوين الأجيال الجديدة .

ملاحق البحث (أولا)

عودة المرأة إلى البيت

- لماذا تقف جماعة دعاة التقدم لتحول دون تصحيح وضع خاطئ ؟
- لقد أثبتت التجربة فشلها أليس من الحق أن تعود إلى الصواب
- لقد تعالت صيحة المرأة الغربية في العودة إلى البيت بعد أن دمرت الأسرة وتحطمت الطفولة فهل نتظر حتى نصل إلى هذه المأساة ؟

. . .

منذ وقت طويل ، والصيحات تتعالى في الغرب تطالب فيها المرأة بالعودة إلى البيت ، المرأة هي التي تطالب العودة بالرغم من كل وسائل المواصلات المتاحة وأجور التفرغ وغيره من الامتيازات ، وقد جاء ذلك نتيجة إحساس داخلي بالضياع وفقدان الهوية فلم تكن المرأة في الحقيقة هي التي خرجت للعمل ولكن الرجل هو الذي أخرجها . ومن يدرس قضية المرأة في الغرب يعلم أن لها خلفيات خطيرة وبعيدة المدى ، أبرزها محاولة إخراجها من البيت ومن الأسرة ومن الأوضاع الطبيعية إلى أن تكون أداة ، تجري وراء التفسير المادى للتاريخ فيحاول أصحاب المصانع تشغيلها بأجور أقل من أجور الرجال ، ويحاول أصحاب التفسير السيكولوجى الفرويدى جعلها أداة ، ترفيه ومتعة في مراكز العمل ، ولقد كانت أبحاث العلماء واحصائيات الدارسين كلها تكشف عن أن صلاحية المرأة للعمل صلاحية جزئية وأن إنتاجها ضعيف ورندي وإنها تحتاج إلى مساعدة الرجل ومجاملته من أجل الوصول إلى أدنى درجة من التقدير العملى ، ودن وراء ذلك فلسفة مادية خطيرة يرددها البعض إلى محاولة قوى الغزو التلوىدى المجتمع الغربى في هدم الأسرة وتدمير الطفولة

وانقاص النسل وشغل المرأة بالزينة والسهرات والأندية وبذلك يمكن تدمير المجتمع . وقد كشفت دراسات الباحثين عن نتائج خطيرة في هذا المجال ، ثم جاء دور الشرق ، ولسنا نحاول أن نستعرض التاريخ والمؤامرة ونوصي من يريد أن يلم بها أن يقرأ كتاب الأستاذ محمد عطية خميس : مؤامرات ضد الأسرة المسلمة ، ولكن نقول ماذا عن عصارة التجربة بعد خمسين عاماً أو يزيد . . . وانتحدث بمقاييس العصر . . . هل استطاعت المرأة أن تقدم إنتاجاً نافعاً أو تعطى مجالات العمل ما يحقق التنمية أو زيادة الدخل ؟

إن كل الإحصائيات التي قامت بها الدوائر المختصة قد كشفت عن عجز المرأة ، وأن عملها في مجمله لا يحقق للأمة أى نتيجة لو أن هذه الوظائف كان يشغلها رجال ، وذلك راجع لأن عملية تشغيل المرأة لم تتم على وجه سليم ، بل أن تعليم المرأة لا يزال يتم على أسس غير طبيعية ، فالمرأة ذات الكيان الخاص والطبيعة الخاصة يجب أن تكون لها مناهجها الدراسية المختلفة عن مناهج الرجل والتي يجب أن تعمل على أعدادها لمهمتها الأساسية والخاصة والتي هي أكبر من كل عمل ، تلك هي الأسرة والامومة وتثقيف الطفل وإعداد المنزل . هذه هي مهمتها الاولى التي إذا تعرضت للخطر كان على المرأة أن تضحي بكل عمل في سبيل حمايتها وإقامتها على أصولها ، أما نحن الآن فإننا نعرض مليوني طفل على الأقل لرعاية الخدم ونتركهم في البيوت معرضين لخطر الرضاعة الصناعية وظروف البيوت من بوتا جازومرض وهم في تلك الفترة ينفقون أكبر مقوم لحياة الطفولة وهو الحنان حيث يعاملون عن طريق الخاديمات ومراكز الطفولة بأسلوب جاف ويتعرضون لمخاطر متعددة في الحركة أو الطعام أو الشراب ولا يجدون يد الام الحانية خلال هذه الفترة التي تمتد إلى الساعة الثالثة بعد الظهر فإذا عادت الام إلى البيت كانت منهكة من العمل والمواصلات وكانت ملهوفة على إعداد طعام

الغذاء وبذلك لا يعود الحنان إلى الطفل إلا في المساء بعد يوم كامل قاس ،
 فإذا جاء المساء كانت الزوجة تستعد للسهرة وللخروج للزيارة أو للسبيل أو
 للسهرة في هذا الندى أو ذلك فإذا الطفل يفقد بقية اليوم إلا من الحظرات
 قليلة لا تكفي لتكوين حياته وللملء نفسه ومن ثم ينشأ الطفل محروماً من
 حنان الأمومة الذي يتصل بمباشرتها ورعايته ومن ثم يمرض في حياته
 المستقبلية لاضطرابات عصبية ونفسية لا حد لها ، ونحن نرى ، الأم ، الآن
 تعيش ظاهرة خطيرة : تلك هي ظاهرة كراهية الأطفال فهي تنجب بمفهوم
 الزوجة التي تريد إرضاء الرجل بالولادة ، وهي في نفس الوقت تكره تربية
 هذا المولود وتحرص على هجرانه والابتعاد عنه وتسليمه للخادمات وإذا كبر
 وأخلقه معها في زيارة أو خروج فإن عبارات تعاملها معه ، وما فيها من
 جناف تكشف عن هذه الظاهرة الخطيرة ، ظاهرة انفصام شديد بين المرأة
 والطفل ، هي في الصباح مشغولة عنه في عصبية شديدة لأنها استيقظت
 متأخرة وتريد أن تلحق بالعمل ، وفي المساء مشغولة عنه بزياراتها ووقتها
 الذي تريد أن تستمع به ، والضحية في هذا كله هو الطفل ، ذلك لأن هذه
 الفتاة لم تعلم مهمتها الأساسية : مهمة الأمومة ومهمة الزوجية ومهمة البيت
 ولكنها تعلمت تعليم الرجال لكي تحصل على شهادة وبعدها تعمل وتقبض
 مرتباً تنفقه على الفسائين والاحذية ، وعلى الكماليات دون أن ينتفع منه
 البيت بلملم واحد ، فإذا جاء اليوم داع يدعو المرأة إلى تحقيق رغبتها بعد
 شغرة شديدة شاهدها مرارا والمرأة داخلة إلى عملها بعد أن تمثلت قسوة
 المواصلات والزحام والخروج المبكر وترك الطفل المريض المرتفع الحرارة
 أو ترك الطفل قريباً من الموقد أو البوتاجاز وتظل تلك الفترة في ذلك القلق
 الشديد ، الذي لا يمكنها من أن تعمل عملاً نافعاً ، أو مجدياً ، إذا جاء هذا
 الداعية الطيب الكريم ليحقق لها ذلك الأمل : أمل العودة إلى البيت ورعايته

طفلها بنصف أجر وتبدى من وراء ذلك أمل جديد هو قيام حياة الأسرة مرة أخرى على أساس طيب ، تنفرغ فيه المرأة لبيتها وزوجها وطفلها وجدنا أولئك الكارمين للأسرة الراغبين في تدميرها أو الداعين لهدف بروتوكولات صهيون الذين عاشوا حياتهم يزينون المرأة الخروج والتحلل من مسؤوليتها ، وبدفوعها إلى مسابقات الجمال ، ومسابقات الأزياء ، والسهرات والنوادي ، نراهم وقد قامت قيامتهم الآن يقولون وهم الكاذبون المضللون .

د ليس من السهل إرجاع المرأة إلى البيت فإنه مخالف للتطور والاتجاه العام وأنه ردة إلى الوراء ليست مقبولة بأي منطق أو تبرير ،

لماذا : أليس رجوع المرأة إلى البيت هو رجوع إلى الأعالة والنفقة والطبيعة ، أليست تلك تجربة قد تصلح وقد تبوء بالفساد ، وإذا كان قد تبين فشل التجربة ، بالإحصائيات في مجال العمل الذي يدفع لها الأجر ، وإذا تبين مدى الاخطار التي لحقت بالأسرة ولحقت بالطفل ، أليس من الخير الرجوع إلى الحق وهو أولى من التنادى في الباطل .

وما هو هذا التطور الذي يتشدد به أولئك المضللون ، وما هو الاتجاه العام ، أليس الاتجاه العام هو بناء الأمة وبناء أبنائها ، وأجيالها ، أليست لنا مفاهيم وقيم عربية إسلامية تختلف عن غيرنا ثم أليست أمانتنا تجربة الغرب الفاسدة التي دمرت الأسرة والطفولة ، هل علينا أن نستمر حتى نصل إلى تلك النتائج الشريرة ، أم أنه من الخير لنا ما دمنا قد رأينا فساد تجربة ما أن نرجع في منتصف الطريق ، ما دمنا قد رأينا فساد تجربة أن نرجع في منتصف الطريق ، أن ما يدعونا إليه هؤلاء من الاستمرار في تجربة خاطئة

إنما هو الحق بعينه ، إنما هو الضلال والباطل ، والكذب على الأمة ،
والتغريب بها وغشها .

أن هذه الملايين من الأطفال مستكون في القريب شباب هذه الأمة
وعمادها فإذا نشأت هذه النشأة الحزينة الضارة ، محرومة من ابن الأم ومن
حنان الأم ومن الأسرة الطيبة الجامعة ، حيث تحرم آفاق الفهم والعلم
والتعرف إلى الرغبات والظروف عن طريق الأب والأم في إجتماعها بأبنائها
يوماً بعد يوم ، أى خير في هذه الحياة المضطربة التى تقضيها المرأة في دوائر
العمل اليومى ، ولا عمل لها إلا التريكو ، أو الحديث أو قراءة الصحف أو
قراءة القصص ، ودون أن يحقق لأسرتها شيئاً ، على العمل وعلى الدولة ،
ودون أن يحقق لأسرتها شيئاً ، فإذا عادت منهوكة القوى فإنها لن تجد في
بيتها شيئاً ، وأى حياة تلك التى يحياها الرجل وزوجاتهم لا وقت لديهم لإعداد
بيت أو إطعام طفل ، إنها حياه تافهة فارغة لا قيمة لها .

من الحق أن تعمل المرأة في ظروف خاصة ، وأن تعمل المرأة في نوع
معين من العمل يتفق مع طبيعتها ولسكن العمل على إطلاقه على النحو القائم
الآن ، لا يؤدى إلى شيء ، فلا هو منتج في دائرة العمل ولا هو صالح في
دائرة البيت . ولا يصح في مفهوم الإسلام توضحية الأسرة والبيت والطفل
من أجل العمل ، من أجل مورد ضئيل يضع أغلبه على ملابس الخروج
ومصاريف الانتقال ، وعلى كميات تافهة لا قيمة لها ولا وزن لها أزاء الخسارة
الكبرى البالغة التى تخسرها الأسرة والمجتمع والأمة والبيوت .

نحن في هذا الحديث لا نعمم القول إلا بقدر ، ولسكننا في الواقع نتحدث
إلى المرأة المسلمة التى تريد أن تعرف حكم دينها والتى ترغب في تحكمه في كل
شئون حياتها فيما أباحه الإسلام فهو عندها المحرم .

أحب أن تعلم المرأة أنها لم تخلق لتنافس الرجل وإنما خلقت لتعينه
وليكمل أحدهما الآخر ، وليسكن إليها :
[ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها] ومن سنن
الحياة وطبائعها التي لا تبدل ، أن الرجل قوامه تنظيم أهول الحياة ، وقد
توات الطبيعة قسمة القوة والضعف بين الرجل والمرأة ، فجعلت القوة من
نصيب الذكر والضعف من نصيب الانثى وجعلت الرجل أقوى قوة وأمن
بناء وأكثر احتيالا وأقداما وأكثر استعدادا لحل المسئويات الجسام وجعل
المرأة أكثر احتمالا لمهمة الولادة والرضاعة والقيام على الأسره فيها بذلك
يتكاملان . ومن أجل ذلك فقد أعفى الإسلام المرأة عنهم من الولاية العامة
بل حرم الولاية العامة عليها فليس لها أن تؤم الرجال ولا أن تأمر عليهم
ولا أن توجههم فليس للمرأة المسلمة إذن أن تتمنى الوصول لمكانة الرجل
أو أن تطلب هذا النوع من المساواه فيما فضل الله به بعضهم على بعض .
ولكن لها أن تفهم مهمتها ورسالتها وتؤديها وعلى الامة أن تعدها لذلك
وأن توجهها إليه .

وأن المرأة الآن تؤيد العوده إلى البيت ، تلك المملكة الضخمة التي
يحاول أن بغض من قدرها الكاذبون الذين يصورونها بأنها المطبخ او غسيل
ملابس الأطفال ولكن الرجل هو الذى يعوقها ، فلماذا ، هل لانه يريد ان
يجعلها موردا له ، يزيد به دخله ويحسن به وضعه المادى ، وهذا حرام فان
أجر المرأة هو من حقها ، ام ان الرجل يريد هافى دوائر العمل لاسباب اخرى
اما الكتاب الذين يحاربون القسكه فنحن نعرف خلفياتهم ونعرف اهداف
المأسونية واندية الروتارى والليونز التي تريد ان لا تعود المرأة إلى البيت
لان ذلك سيحول دون تحقيق هدف الصيريه في تدمير الأسره المسلمة
والقضاء على وجودها .

ومع ذلك فسوف تنصر فكرة الاصاله ، والفطرة ، وسوف تمتلك
المرأة إرادتها الحقه في العمل الذى خلقت له :

ثانياً : عندما دخلت بلادنا رياح السموم :

الماركسية والفرويدية والوجودية والمادية والشيوعية والعلمانية لإزالة
الذاتية العربية وإذابة الكيان الإسلامى .

هذا الانحراف الخطير الذى تردى فيه شبابنا وبناتنا فى غياب المنهج
الإسلامى الأصيل .

إن النظرة السريعة إلى الصحف المصرية فى هذه الأيام تكشف عن
ظاهرة خطيرة ، قد أصبحت واضحة فى مجتمعنا عميقة الأثر والدليل على
ذلك : الانحراف الخطير الذى يتردى فيه شبابنا وبناتنا فى غياب منهج
التربية الإسلامية بصاحب ورافق بناء هذه الأجيال الجديدة فى الأسرة
وفى المدرسة وفى الشارع وفى المجتمع على النحو الذى يحميه من غائلة الاخطار
والتحديات التى تحتاجه بشدة . وإن هذه المادة التى تقدمها الصحف لتلك
الأحداث المتوالية لتلفت النظر إلى أن هناك شيئاً من وراثتها هو غيبة الآباء
والامهات غيبة تامة عن واجبهم المقدس فى رعاية هذه الاجيال وتوجيهها
وحمايتها مما توى فيه من أخطار على نحو يكاد يصل إلى القول بأن الآباء
والامهات يشاركون أو يحرضون أبناءهم وبناتهم على سلوك هذا الطريق
المنحرف .

وأن مجرد مراجعة العبارات التى يقال ليدل دلالة أكيدة على مدى عمق
الخطر السامن فى نفوس الاجيال الجديدة والمماهيم الوافدة المسمومة التى
اعتنقت هذه القلوب والعقول .

وعندما نرى مثلاً : فتاة تقول : (من أين إذن نأتى بمثل هذه الملابس
العالية التى يبلغ ثمن الواحدة منها ثلاثون جنيهاً) فى الرد على استفهام المستفهم

عن الأوضاع التي يقارفونها ندهش أشد الدهشة ونعرف مدى الخطر الذي لحق أمتنا وأجيالنا الجديدة نتيجة تلك المعطيات الخطيرة التي أصبح يقدمها الراديو والتلفزيون والسينما والمسرح للشباب من خلال المسرحية والأغنية :

ذلك أن (أيولوجية كاملة) خطيرة أشد الخطر مسمومة أشد السم ، نقدم لشبابنا وأبنائنا من خلال ذلك الحوار الذي يجري في التمثيليات والمسرحيات ، ومن خلال تلك الكلمات التي تشبه المصطلحات التي تجري على ألسنة أبطال هذه التمثيليات ثم تصبح من الأمثلة التي يرددها الناس كأنما هي حقائق أو قوانين أو مسلمات . هذه المفاهيم الخاصة بالعلاقة بين الرجل والمرأة ، وقضية الحب العريضة الواسعة التي تناقش بأساليب غاية في الكشف والإباحية . . والعلاقة بين الأب والابن وتلك الصور التي تقدم وفيها ائتمان للأباء . . وفيها احتقار للزوج وما يتصل بهذا بما تصوره فيلم (أريد حلا) وما يفهم الشباب والفتيات من هذا الحوار الخطير ، وذلك الأسلوب الرديء البذيء الذي يجري به الحوار ، وتلك التأنوهات والتنهيدات والصيحات التي تملأ أثناء الحوار المسرحي ، كل هذا قد انطبع على ألسنة الناس وعلى ألسنة الشباب وفي التعامل بين النساء والرجال ، وبين الذين في موضع خدمة الناس وبين المتعاملين معهم . . وتستطيع أن ترى هذه الصورة في وضوح تام إذا ركبنا (أنوبيسا) أو دخلت سوقا أو وقفت في طابور جرميه تعاونيه . . أسلوب الحديث كله تحفز ، وعباراته قاسية ورديته ، ونبات مطوية على دخل وكرامية ورغبة في أخذها ليس لها بحق ، سواء في علاقات الحب أو الزواج أو الأسرة أو التجارة أو التعامل .

هذه الظاهرة الخطيرة التي تسيطر على مجتمعنا الآن تكشف بوضوح مدى الخطر الذي يهدد الأجيال الجديدة في علاقاتها الاجتماعية وفي مفاهيمها ،
(م ١٤ - المجتمع الإسلامي)

وفي التروايا التي تعنى تعاملها والتي تشمل في رغبة مبارقة إلى الغواية، مدخلا إلى الانحطاط، ونجد كتاباً من كتاب القصة يتخصصون في هذا الفن، في إعطاء الشباب والفتيات مفاتيح التردى، وأسلوب التعامل في هذه اللعبة الخطرة، وذلك بتقديم تلك الصور المكشوفة والإباحية والجنسية المفرقة التي لا تقوى قدرات الشباب والفتيات النفسية على قبولها أو هضمها، بالإضافة إلى أفلام العنف وأفلام الجنس والإباحية والمخدرات والسرقات التي هي دعوة مباشرة إلى الانحراف في هذا السبيل حتى لتكاد المسرحيات والتيليغرامات والأفلام تقتصر على محورين اثنين: (الجريمة والجنس) هذا بالإضافة إلى ظاهرة الكتب الرخيصة المبثوثة على الأسوار وفي الطرقات وكلها تتحدث عن الجريمة والجنس على نحو يخلق في نفوس الشباب إحساساً عميقاً بشرعية هذه التيارات لأنها لا تهالج إلا في صور التقبل والإعجاب والاستحسان ولا تشر في الصحف إلا في أسلوب البطولات.

وتلك الإعلانات السيئة بوضوحها الصارخ وعباراتها القاسية (المرأة والنشاب) الكوسة الخ وهذه الأظاني التي تدعو إلى الرغبة الجنسية وتجرح عيالها وتكاد تستوجب ساعات الليل والنهار وبرامج إذاعة كاملة هي إذاعة الشرق الأوسط المفتوحة منذ الصباح إلى ما بعد منتصف الليل في كل المقاهي.

من شأن هذا الجو كله أن يعطى منطلقاً واحداً للشباب والشابات، أن الحياة كلها هو وفراخ وجريمة وجنس وطغى وتسليمه وخداع وصراع وتحريض وانتقام وغواية واصطباغ وليس لهذا كله حدود ولا عقوبات، هكذا تصور التيليغرامات من خلال حوارها وتعطى الشباب التحريض على أسرته وأهلها، والفتاة الانسحاق إلى عالمها وأهلها. والروسية أن تبحث عن طريق غير طريق البيت أو الأسماء لأنها لم تأت عوجاً.. وما هكذا

يمكن أن يكون المجتمع الإسلامي الذي يقوم منذ أربعة عشر قرناً على منهج من الرحمة والأخلاق والكرامة والعفة تضبطه حدود وضيوابط وزواجر حتى لا يتعدى أحد حقه على حق غيره: من مال أو عرض ومن وراء ذلك كله لباس شفاف كاشف ، وشعور مرخاة ، وخطب عجيب بين أزياء الرجال وأزياء النساء ومخالفة فيها ترجل المرأة ، وتأنث الرجل . . وصدق المثل حين قال « استنوق الحمل » .

جاء في البروتوكول التاسع من بروتوكولات حكماء صهيون : ولقد خدعنا الجيل الناشئ من الأتقيين (غير اليهود) وجعلناه فاسداً متعفنأ بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام ولكننا نحن أنفسنا الملقون لها . .

هذه الأجيال التي نحن مسئولون عنها أمام الله وأمام التاريخ وأمام هذه الأمة إننا لم نمد لها طريق الحق ، ولم ندلها على منابع الخير ، ولم نقوم ببناءها على أساس الإيمان هناك مسئولية الآباء ومسئولية الأمهات أولاً ، وهناك مسئولية وسائل المسرح واللبث الإذاعي والسينمائي والتلفزيوني . وهناك الصحافة بما تقدمه من صورة مكشوفة وقصة عارية ، وحديث عن كتب غريبة فاضحة تمثل مجتمعا ولا تمثلنا . هذه الأجيال التي يجب أن تعرف التحديات الخطيرة التي تواجهها وتواجه أمتها ، وذلك الخطر المائل في هذه المنطقة العربية الإسلامية من صهيونية واستعمار وماركسية ، وما تحاول به كل القوى احتواء هذه الأمة بالسيطرة على شبابها وإخراجها من منطقة الإيمان ومزحاج الدين ومن منهج الخلق ليكون عاجزاً بالتحلل والإباحية والفردية والأهواء عن مقاومة الخطورة التي تضمرها الصهيونية للمجتمعات البشرية والاستيلاء عليها ، وإن ما زام الآن لينذر! بالخطر وليكشف بصورة واضحة ما أضمرته بروتوكولات صهيون التي ركزت على هدم شباب

الأمم وتمزيق قلبه وتزييف عقله ، واحتوائه ، والسيطرة عليه ، وصبره في بوتقة الإيماء عن طريق حرية الجنس والجري ، وعن طريق لغة التمثيليات والحوار الهابط ، وعن طريق الأغنية المكشوفة ، والصورة العارية ، والقصة الإباحية ، وعن طريق ذلك الاحتواء الذي تفرضه لعبة كرة القدم على تلك الجماهير المكشوفة فتحررها من أن تفهم رسالتها في بناء هذه الأمة ، وتفهم رسالتها البشرية في هذا الوجود ، وتعرف حق الله عليها والتزامها الأخلاقي ومسئوليتها التي يقوم عليها الحساب والجرااء الأخرى .

كل هذا تقتحمه الدعوات والتيارات والأيدولوجيات التي تواجه مجتمعنا اليوم حين دخلت إلى بلادنا رياح الماركسية والفرديية والوجودية والمادية تحت تأثير غيبة نور الإيمان بالله ، كما يقدمه الدين الحق . في هذه السنوات التي سيطرت فيها محاولات تغريب العرب والمسلمين واحتوائهم وتغيير منابهم ودفعهم إلى الحلقة المغلقة التي يدورون فيها دائرة السوء ، دائرة العليانية والإيماء من أجل أن يفقدوا ذاتيتهم وكيانهم الأصيل .

جاء في البروتوكول الثاني عشر : الأدب والصحافة هي أعظم قوتين تعليميتين خطيرتين : ولقد نشرنا في كل الدول الكبرى ذوات الزعامه أدباء مريضاً قدراً يقذى النفوس .

وفي ظل الفراع الموحش في النفس الإنسانية من ثقافة الروح والنفس والمعنويات وهطام الأديان استطاعت هذه الرياح أن تنفذ إلى القلوب والعقول حيث لم تجد ما يصدها عنه ويرجع إلى نقص أسلوب التربية القويمة التي لم تجعل لبناء النفس الإنسانية أهمية بقدر ما عملت على بناء العقل والتعليم ، وحين أصبحت هذه النظريات الغريبة المتضاربة التي لم تصل إلى درجة العلم والتي عجزت أن تحقق شيئاً مجتمعا ، أن تصبح هذه النظريات مناهج عليية

تدرس في كلياتنا وجامعاتنا وهي تتعارض تعارضاً تاماً مع جوهر الدين الحق ، وتبدو وكأنه لا يوجد للفكر الاسلامي والعربي وجهات نظر أو مناهج أصيلة في السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية والقانون ، وهكذا وجد شبابنا أنهم ليسوا إلا شظايا طائرة لا جذور لها ولا أصالة تمتد إلى ثقافتها ودينها وعقائدها ، وإن كل شيء في الفكر والثقافة هو غربي الأصل والواقع ، ومن ثم تشكل في النفس والعقل العربي ذلك الإحساس بالانتقاص للامة والفكر والثقافة العربيين الاسلاميين ، ثم فتحت له هذه المفاهيم الوافدة التي تدرس في جامعاتنا على أنها علوم ، خاصة ما يتعلق منها بالأخلاق والنفس والاجتماع ومسألة خلق الانسان في كليات العلوم كل هذا خلق ذلك الاحساس الخطير الذي يتمثل الآن في الاندماج بالحياة على أنها مهزلة أو لعبه ، وأن الأخلاق نسبية وأن الحياة لقمة عيش عند ماركس وعطاء جنس عند فرويد ، كل هذا يتلقاه أبنائنا على أنه مناهج علمية مع أنه لم يصل إلى درجة الحقائق العلمية وما تزال مذاهب دارون وماركس وفرويد وسارتر تجذب نقيضها وتنكشف كل يوم عن زيفها واضطرابها . وأخطر ما في ذلك كله أن نجد هذه المذاهب تقاوم منهج الايمان بالله والالتزام الأخلاقي والارادة الفردية والمسئولية والجزاء وتدفع الشباب نحو الاهواء والرغبات والمطامع دون تقدير لحدود الله وضوابط المجتمعات . ومن هنا نجد ذلك الاضطراب الذي يسود الحياة الاجتماعية ، ويدفع إلى هذه التجاوزات الخطيرة نريد أن نضع العلوم والدراسات في إطار القيم الدينية والخلقية . فيكون الايمان بالله موجهاً لها وحامياً ومحافظاً ، ولا يكون متعارضاً ولا خصيماً .

تقول بروتوكولات حكماء صهيون : لا تتم وروا أن نصريحاً أننا كلمات جوفاء ، لاحظوا أن نحاح دارون وماركس ونيثشه قد رتبناه من قبل .

والآثر الأخلاقي لانتهاكات هذه العلوم في الفكر الأسمى (غير اليهودي) سيكون واضحا لنا على التأكيد .

ويكفي أن نضع تحت أبصار الغيورين على هذه الأمة هذا الخبر الذي نشرته الإهرام يوم ٢٠ فبراير ١٩٧٦ .

• طابخة بالشقق المفروشة مستدرجت جارتها التليذة بالثانوى فجرت خلفها طابورا من التليذات تحت إغراء المال والملابس .

هذا عن انحراف الطالبات . أما انحراف الطلاب فإليك هذا الخبر الذي نشرته الصحف في هذا التاريخ :

• عصابة أخرى يزعمها طلبة تزوير الشهادات الدراسية : شهادة مزورة مقابل ٨٠٠ جنيه لكل طالب .

وفي أخبار اليوم ٧٥/١١/٢٩ :

• حرض المدرس تليذه على سرقة أبيه .

• طالب سرق من شقة جاره الموظف منقولات ومبالغ ٦٠٠ جنيه .

وفي الأخبار ١٩٧٦/٢/٢ :

• طالبة جامعية تقول للنيابة : طلقوني . اتضح أن زوجي الطبيب طالب بالثانوى .

ومنها :

• لإخالة المحاسب قاتل ابنه إلى محكمة الجنايات .

ومنها :

• لإعدام سفاح المحلة الذي اعتدى على فتاة ثم قتلها .

وفي الأخبار ١٩٧٦/٢/٨ :

. طالب يقتل فتاة في الشارع بقلوب .

ومنها :

. شبان يحاولان خطف فتاة بشارع مجاس الأمة .

ومن قبل نشرت الصحف هذه العناوين :

. عصابة لتجارة الرقيق الأبيض تزعمها صاحبة محل كوافير وزوجها

ومن هذه الإشارات نعرف مجرى الريح ونكشف مصدر الخطر
الذي يواجه الأجيال الجديدة .

أما الشقق المفروشة وما وراها من محاذير تتعلق بالسياسة وغيرها
وأثر ذلك على الأسرة المصرية فذلك موضوع آخر ، أما موضوع اليوم
فهو هذا الخطر الذي يحيط بالشباب والشابات . يقول الأستاذ حسين
نعمان مدير النيابة :

إن نسبة طالبات الثانوى المتهمات في جرائم الآداب في ارتفاع ..
وهذا مرجعه في الأصل كما أسفرت التحقيقات إلى تفكك أسر هؤلاء
الطالبات وانشغال رب الأسرة وانصرافه عن رعايته بناته .. حيث لوحظ
أن الطالبات يخرجن في أوقات متأخرة دون أن يتعرضن للسؤال عن كيفية
قضاء هذا الوقت بعيداً عن منازلهم .. وعند حضور ولى الأمر للاستلام
أبنته من النيابة يصاب بالذهول عندما يجد ابنته في مثل هذا الموقف ويعمل
ذلك بانشغاله طوال الوقت ويتعهد أن يتعهدا بعد ذلك بالإشراف
والقسوة .. يضاف إلى ذلك عدم إشراف المدرسة على تلميذاتها الإشراف
الكافى من حيث إخطار أهلهن بغيابهن وانقطاعهن عن المدرسة . وهناك

نوع من الطالبات ابتمدن عن تعاليم الدين وقيم المجتمع الشرقى حيث يعتبرن قضاءهن الوقت مع بعض الشبان داخل مساكنهم نوعاً من الحرية الشخصية تتطلبه المدنية والحضارة . والاسف يمدن استجابة من أمرهن وهؤلاء أكثر انتشاراً فى الأوساط الاجتماعية الراقية وحقى نحد من هذه الظاهرة يجب تعديل قانون الاحداث بإرجاع سن الحدث كما كان ١٥ سنة بدلاً من ١٨ لأن معظم الطالبات بالانافوى يعتبرن أحداثاً طبقاً للقانون الجديد مما تضطر معه النيابة إلى تسليمهن لأهلن أو أحالتهن لنيابة الاحداث لعدم الاختصاص وتخرج الفتاة بدون عقاب والطباخت فى الشقق المفروشة يلعبن الدور الرئيسى فى التعبير بالطالبات .

ويرد دكتور عاطف وصفى أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة عن أسباب نفشى ظاهرة المعاكسات وحوادث خطف الفتيات إلى عدة عوامل منها ما تقدمه أجهزة الإعلام من تصورات للعلاقة بين الشاب والفتاة وما تقدمه الأغاني مثل أغنية « فانت جنبنا ، وأغنية « ساكن قصادنا ، وغيرهما وكذلك جميع الأفلام التى بها نمط المعاكسة مثل « مدرستى الحسنة ، و « مدرسة المشاغبين ، كذلك الموضوعات الحديثة فى ملابس المرأة وأثر ملابس الموضة المثيرة . وقال إن العوامل الاجتماعية السابقة لا تؤدى وحدها للجريمة فهى تؤثر على نمط معين من الشخصية يتسم بالتهور والجرأة وحب المغامرة وتحت تأثير كل هذه العوامل يتصور الشخص المريض أن خطف فتاة والاعتداء عليها ليس جريمة ويرد الدكتور عاطف هذه الانحرافات إلى التطور الحضارى السريع الذى لا يسير مع نفس الخط مع التطور الاجتماعى ويرى أن القانون الجنائى جاء فى ظروف اجتماعية مخالفة لما هو سائد الآن فهو يحتاج إلى تعديل شامل نظراً لظهور أنماط اجتماعية

ناشئة عن التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي أصابت المجتمع وأن أحكام جرائم الخطف والاختصاب الموجودة الآن غير رادعة وغير كافية بإصلاح المجتمع ..

ونحن نرى غير ما يرى الدكتور : نرى أن السبب الوحيد هو أن القوانين الوضعية والمناهج التربوية والتعليم مقصرة وقاصرة وعاجزة عن استيعاب حقيقة النفس الإنسانية وعلاجها ، وأن التعلل بالحضارة وتطورها أو العوامل الاقتصادية هذا كله لا يستطيع أن يقدم الإجابة الصحيحة لهذا الموقف وأن منهج الشريعة الإسلامية والتربية الإسلامية هما وحدهما صمام الأمن الوحيد الذي يلزم الأب والأم بالرعاية ويحمل المدرس والمعلم مسؤولية موجهاً وقوده .. ولا بد من أن تصبح القيم العقائدية والأخلاقية في نفوس شبابتنا ذات قوة فاعلة وأثر كبير ، وأن تكون حدود الله وضوابطه لحماية النفس الإنسانية والمجتمع موضع الرعاية والتطبيق ولذلك فإنه :

لا بد من أن يتقرر منهج تربوي إسلامي كامل يحمي المجتمع من هذه الأخطار ويحمي الشباب والشابات من هذه التحديات التي تواجههم .

• لا بد أن تقدم الثقافة النفسية والروحية والدينية لتكون إطاراً للثقافة العقلية والعلمية .

• لا بد من تحرير مناهج التعليم من الآفان التي تركتها عهود الاحتلال ومن الأهداف التي قصد إليها الاستعمار والفرز الثقافي والتي تحول دون قيام أجيال جديدة من الشباب القادر على الربط بين الثقافة والخلق والجمع في التربية بين النفس والعقل والجسم وهو ما تزال مناهج التربية والتعليم قاصرة عن بلوغه .

• لا بد من قيام التعليم في إطار التربية الخلقية والدينية أصحاً وأن تكون التربية والتعليم متكاملة : روحاً وجسماً وعقلاً .

• لا بد كأساس من وجود تعليم مستقل للشباب وتعليم مستقل للمرأة لأن كلا منها يجب أن يتلقى ثقافة خاصة تشكله حسب تركيبه العقلي والجسمي وحسب هدفه ومسؤوليته في الحياة وحسب العلاقات بينه وبين الآخر على نحو يحقق حسن الاتصال بينهما على شرم الله ووفق الأهداف التي رسمها الدين الحق وطبقاً لرسالة الرجل ومسؤوليته في الحياة ورسالة المرأة في البيت والأسرة والطفل .

• كل هذه الأخطار والتحديات التي يواجهها جيلنا هذا من الشباب والفتيات إنما تعود إلى تقصير الآباء والأمهات أولاً عن مسؤوليتهم الحقيقية في محيط الأسرة على النحو الذي كشفت عنه تحقيقات النيابة مما أوردناه . وأن الرجل مغفول والمرأة مشغولة عن نتائجها الذي يحميانه ويتمنيانه ويرعاه حتى يكبر .

• لا بد أن تكون العلاقة بين الأب والام ، وبين الاب والام والابناء ، وبين الأبناء والفتيات في الأسرة الواحد وفي المجتمع كله واضحة وصريحة وسليمة وقائمة على غير أساس « الغواية » التي دعا إليها وحسبها وقدمها للشباب وقصص وتمثيلات ومهرجيات وأفلام سينمائية جماعة من أبناء هذا البلد متتابعين في ذلك ما حدث من زيف فلسفات الفرويدية والوجودية والإباحية وللملاذية .

فإذا هي فاعلة تلك السلطات الثلاث : التشريعية والتنفيذية والاعلام .

لقد وجدنا الشريعة الإسلامية أنصلاً فهل نجد التأسيسية الإسلامية أعواناً ... ذلك ما نرجوه ونحن نقدم صورة هذا الخطر إلى القلوب المؤمنة والعقول الواعية لتحمل مسؤوليتها أمام الله وأمام أوطانها وأمتها وقد بلغت اللهم فاشهد .

آفاق البحث

ص

٣١

مدخل البحث

- ١٠ الباب الأول : رياح السموم التي طرحتها النظريات المادية
- ١٣ الفصل الأول : أثر الروافد الثلاث
- ٢١ الفصل الثاني : هدم الأسرة المسلمة
- ٢٨ الفصل الثالث : محاولة القضاء على وظيفة المرأة الأساسية
- ٣٤ الفصل الرابع : محاذير تواجه رسالة الأمومة
- ٤١ الفصل الخامس : أخطار في وجه الطفل المسلم
- ٤٩ الفصل السادس : فساد أسلوب العيش الغربي
- ٦٣ الباب الثاني : التحديات في وجه المرأة
- ٦٥ الفصل الأول : التحديات في وجه المرأة المسلمة
- ٧٧ الفصل الثاني : عطاء الإسلام وعطاء الحضارة
- ٨٦ الفصل الثالث : تحديات الأمومة المسلمة
- ١٠١ الفصل الرابع : اللباس والزينة
- ١١٠ الباب الثالث : التحديات في وجه الشباب
- ١١٢ الفصل الأول : التحديات في وجه الشباب
- ١٢٢ الفصل الثاني : الجريمة والجنس

١٤٣

الفصل الثالث : الفن

١٦٢

الفصل الرابع : المسرح

١٧٨

الفصل الخامس : السينما

ملاحق البحث

٢٨٢

(أولاً) عودة المرأة إلى البيت

١٩٢

(ثانياً) عندما دخلت بلادنا رياح الماركسية